

جامعة القاهرة
كلية الآداب

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية محكمة

٦

يناير ١٩٩١

يصدرها قسم التاريخ

محتوى العدد

الصفحة

قـــواعد النشـــر

* ترحب المؤرخ المصرى بنشر الأبحاث والدراسات الأصـيلة ذات المستوى الأكاديمى الجاد بعد التحكيم ، فضلا عن مراجعات وعرض الكتب الجديدة .

* تقبل المؤرخ المصرى للنشر الأبحاث التاريخية والحضـارية المكتوبة باللغتين العربية والانجليزية على ألا يزيد عدد صفحات البحث أو المقال عن ٣٠ صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة على ورق حجم كوارتر بما فى ذلك الهـوامش والجـداول وقائمة المراجـع .

* يجب أن يكون واضحا أن المؤرخ المصرى لا تنشر بحوثا سبق أن نشرت أو معروضة للنشر فى مكان آخر ، وتقوم رئاسـة التحرير باخطار المؤلفين باجازة بحوثهم للنشر بعد عرضها على هيئـة التحكيم .

* النشر فى المؤرخ المصرى متاح لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية والعـربية والأجنبيـة وسـائر المهتمين بالدراسـات التاريخيـة .

* الآراء الواردة بالمؤرخ المصرى تعبر عن وجهة نظر أصحابها .



المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية محكمة

العــدد السادس | يناير ١٩٩١

رئيس التحرير : أ. د/ حامد زيان غـانم

مـدير التحرير : د/ محمود عرفة محمـود

المراسـلات :

ترسـل البحـوث والمقـالات باسم السـيد الاسـتاذ الدكتور / **حامد زيان غانم** على العنوان التالى :

كلية الآداب ــ جامعة القاهرة (قسم التاريخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

يسعدنا أن نقدم العدد الســـادس من « المؤرخ المصرى » متضمنا عدداً من المقالات العلمية الجادة .

ويشـــتمل هذا العدد على أبحاث باللغة العربية فى التـــاريخ الاسلامى والوسيط ، وأخرى فى آثار نفس هذه الفترة .

أما الأبحاث التى كتبت باللغة الانجليزية فتتناول جوانب من التاريخ الحديث .

و « المؤرخ المصرى » إذ تؤكد حرصها على نشر الأبحاث العلمية الجادة سواء كانت باللغة العربية أو اللغات الأجنبية ، فهى تقـــدم الشـــكر إلى كل من ســـاهم فى تحـــرير هذا العـــدد ســـواء من الباحثين أو من السادة المحكمين .

والله المـــــــوفق ، ، ،

دكتور

حـــامد زيان غـــانم

رئيس تحرير « المؤرخ المصرى »

البحـــوث والدراســـات

أعـــلام النهضـــة الثقافية بالعـــراق
فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى

دكتور / محمـــود عرفة محمـــود
كلية الآداب ـــ جامعة القاهرة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وبعد .. فلا شك أن الحركة العلمية والادبية تمثل الوجه المشرق للحضارة الاسلامية التى حمل مشعلها الفقهاء والعلماء والادباء وساروا بها عبر العصور والقرون .

يتناول هذا البحث دراسة علماء النهضة الثقافية بالعراق فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى ، ودورهم فى هذا الحقل ، وما ترتب عليه من نهضة أدبية وازدهار علمى فى مختلف العـــلوم والآداب .

على الرغم من أن كتب التراجم والطبقات تضم عددا كبيرا من تراجم علماء العراق فى مختلف العصور ، فان هـــذا النوع من الدراسات يعد من أشق ما يتعرض له الباحث ، لأنها تتطلب التدقيق فى دراسة سير العلماء فى العديد من الكتب التى اختصت بهذا النوع من العلوم ، وقد تاقت نفسى لدراسة علماء هذا العصر موضوع البحث والقاء الضوء على دورهم فى حقول المعرفة المختلفة ، وما أسهموا به من انتاج علمى متميز وتصانيف رائعة حفظت لنا سيرهم .

كان لتشجيع الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة الحركة العلمية والادبية أثره فى شحذ أذهان العلماء والمفكرين وانصرافهم لتحصيل العلوم والآداب فى مختلف مجالات الدراسة ، التى تشـــمل العلوم الدينية ، والادب والنحو وعلوم اللغة ، فضلا عن العلوم الانسانية ، والعلوم الطبيعية التجريبية .

كان لاهتمام فقهاء العلوم الدينية بالثقافة المذهبية أن نبغ فى العراق كثير من علماء المذاهب المختلفة ، فاشتهر من الحنابلة عبد الله ابن سعيد بن حاتم أبو نصر الوائلى[1] ، الذى سمع الحديث وفقه وفهم وصنف ، وكان ملما بالاصول والفروع ومن تصانيفه « الابانة على الرافعين » ، وقد توفى سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م[2] .

واشتهر منهم أيضا محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن على ابن الحسين بن هارون أبو الحسن البردانى[3] ، استوطن بغداد ، وكان رجلا صالحا صدوقا ، حافظا لكتاب الله تعالى ، عالما بالفرائض وقسمة التركات ، وله عدة تصانيف ، منها كتاب « فضيلة الذكر والدعاء » وقد توفى سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م[4] .

كان عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد ابن موسى ، عالما فقيها زاهدا لا تأخذه فى الله لومة لائم ، تفقه على القاضى أبى يعلى[5] ، وكان يقوم بالتدريس فى مسجده بسكة الخرقى بالقرب من باب البصرة ، وبجامع المنصور ، ثم انتقل الى الجانب الشرقى وقام بالتدريس فى مسجده المقابل لدار الخلافة ، وبجامع المهدى ، وقد بدأ حياته العلمية باعادة الدرس فى الفروع وأصول الفقه ، وبرع فى المذهب الحنبلى ودرس وأفتى ، وكان مختصر الكلام ،

---

(١) الوائلى : نسبة الى قرية على ثلاثة فراسخ من سجستان يقال لها وائل .

ياقوت : معجم البلدان م ٥ ص ٣٥٦ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم جـ ٨ ص ٣١٠ .

(٣) البردانى : نسبة الى البردان — احدى قرى بغداد على سبعة فراسخ منها .

ياقوت : المصدر نفسه م ١ ص ٣٧٥ .

(٤) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة م ١ ص ١٣ — ١٤ .

(٥) القاضى ابو يعلى ، هو العالم القاضى ابو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء ، شيخ الحنابلة ، توفى سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م عن ثمان وسبعين سنة . انظر : الذهبى : دول الاسلام جـ ١ ص ٢٦٩ .

جيد الحديث والمناظرة ، عالما بالفرائض وأحكام القرآن ، وكان له مجلس للنظر في كل يوم اثنين يقصده جماعة من الفقهاء ، وقيل عنه : « امام الحنابلة في عصره بلا مدافعة » ، وفضلاً عما سبق كانت له منزلة خاصة عند الخليفة المقتدى بالله ، وله تصـانيف عدة منها : « رؤوس المسائل » ، و « شرح المذهب » وقد تفقه عليه طائفة من العلماء وتوفى سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م[٦] .

أما شيخ الحنابلة أبو على الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البنا البغدادى فكان مقرئا فقيها محدثا ، صنف في كل فن حكى عنه ، وله خمسون ومائة مصنف ، وكانت له حلقة بجامع القصر يفتى فيها ويقرىء الحديث ، وحلقة أخرى بجامع المنصور ، ومن مصنفاته : « الكامل في الفقه » ، و « الخصال والاقسام » ، و « نزهة الطالب في تجديد المذاهب » ، و « آداب العالم والمتعلم » ، و « طبقات الفقهاء » ، و « مناقب الامام أحمد » ، و « أخبار القاضى أبى يعلى » ، و « أخبار الاولياء والعباد بمكة » ، و « كتاب الزكاة » ، و « مختصر غريب الحديث لابى عبيد مرتب على حروف المعجم » ، وقد توفى سنة ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م[٧] .

ومن أشهر فقهاء الحنابلة طاهر بن الحسين — الذى تفقه على القاضى أبى يعلى ولازمه حتى برع في الفقه وأفتى ودرس ، وكان يعد من أعيان الحنابلة وزهادهم ، وكانت له حلقة بجامع المنصـور للمناظرة والفتوى ، وكان ورعا ثقة ، ولازم مسجده المعروف بباب البصرة نحو خمسين عاما وتوفى سنة ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م[٨] . وشافع ابن صالح بن حاتم بن أبى عبد الله ، كتب معظم تصانيفه في الاصول

---

(٦) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة م ١ ص ١٥ — ١٨ .
(٧) ابن الجوزى : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم م ٨ ص ٣١٩ .
، ابن رجب : المصدر نفسه م ١ ص ٣٢ — ٣٦ .
(٨) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ٨ — ٩ .
، ابن رجب : المصدر نفسه م ١ ص ٣٩ .

والفروع على مذهب الامام أحمد ، ودرس الفقه فى مسجد الشريف أبى جعفر بدرب المطبخ شرقى بغداد وتوفى سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م[٩] . والفقيه الزاهد عبد الله بن نصر أبو محمد ، الذى تفقه على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، وكان خشن العيش ، حج على قدمية بضع عشرة حجة وتوفى سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م[١٠] .

كان يعقوب بن ابراهيم بن أحمد بن سطور العكبرى البرزبينى[١١] ، قد ولى القضاء بباب الازج بعد أن تفقه على القاضى أبى يعلى ، وسمع الحديث وكان على دراية تامة بأحكام القضاء والشروط ، وكانت له هيبة ، وفضلا عن ذلك كان متقنا لعلوم القرآن والحديث والفقه ، وقرأ عليه عامة الحنابلة ببغداد وانتفعوا به ، وصنف كتبا فى الاصول والفروع ، ومن تصانيفه فى المذهب الحنبلى : « التعليقة فى الفقه » فى عدة مجلدات ، توفى سنة ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م[١٢] .

ومن الحنابلة الذين بلغوا مكانة رفيعة عند الخليفة المقتدى بالله وابنه المستظهر بالله ، الفقيه رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز ابن الحارث بن أسد بن الليث التميمى البغدادى ، الذى أوفده الخليفة الى ملكشاه برسائل عديدة ، واجتمع له القراءات والفقه والحديث والادب والوعظ ، وكانت له حلقة فى الفقه والفتوى والوعظ بجامع المنصور ، وجامع القصر ، وكان يقال له رئيس الحنابلة ، وله تصانيف

---

(٩) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة م ١ ص ٤٩ .

(١٠) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم م ٩ ص ٣٩ .
، ابن رجب : المصدر نفسه م ١ ص ٤٩ .

(١١) البرزبينى : نسبة لبرزبين وهى قرية كبيرة على خمسة فراسخ من بغداد .
ياقوت : معجم البلدان م ١ ص ٣٨١ .

(١٢) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ٨٠ .

منها : « شرح الارشاد » ، و « الخصال والاقسام » ، توفى سـنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م[١٣] .

كما اشتهر منهم ، عبد الملك بن ابراهيم بن أحمد الهمذانى — الذى كان عالما يتقن العلوم الشرعية والادبية ، فضلا عن الحساب والفرائض ، وكان عفيفا زاهدا ، توفى سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م[١٤] . ومحمد بن على بن محمد بن عثمان بن الحلوانى ، الفقيه الزاهد ، سمع الحديث ، وصحب القاضى أبى يعلى وتفقه ودرس الفـروع والاصول حتى برع فيهما ، وأفتى وصنف ، وله كتـاب : « كفاية المبتدىء » فى الفقه ، و « مختصر العبادات » ، توفى سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١ م[١٥] .

ومن أئمة المذهب على بن محمد بن على بن أحمد بن اسماعيل الانبارى ، سمع الحديث وبرع فى الفقه ، وأفتى ووعظ بجامع القصر والمنصور والمهدى ، وولى القضاء بباب الطاق وتوفى سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م[١٦] . والفقيه محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد ، سمع الحديث ، وبرع فى الفقه الحنبلى ، وصنف فيه كتبا كثيرة منها : « الهداية فى الفقه » ، و « الانتصار فى المسائل الكبار » ، و « رؤوس المسائل » ، و « التهذيب » ، و « التمهيد » ، و « العبادات الخمس » ، و «مناسك الحج » ، وكان عدلا ثقة وتوفى سنة ٥١٠ هـ / ١١١٦ م[١٧] .

وكان الحنابلة أكثر أئمة المذاهب تشددا لتعصبهم وميلهم الى تنفيذ آرائهم بالقوة ، فضلا عن اراقة الخمور ومحاربة المنكرات[١٨] ،

---

(١٣) الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ٨ .
، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة م ١ ص ٨٠ .
(١٤) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم م ٩ ص ١٠٠ .
(١٥) ابن رجب : المصدر نفسه م ١ ص ١٠٦ .
(١٦) ابن رجب : المصدر نفسه م ١ ص ١١١ .
(١٧) ابن رجب : المصدر نفسه م ١ ص ١١٦ — ١١٨ .
(١٨) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٢١٥ .

وكانوا يصبرون على المحن أسوة بامامهم أحمد بن حنبل[١٩] .

أما فقهاء الحنفية فمنهم محمد بن على بن محمد بن الحسين بن عبد الملك بن عبد الوهاب بن حمويه ، أبو عبد الله الدامغانى ، ولد بدامغان[٢٠] سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٣ م ، وتفقه ببلده ثم رحل الى بغداد سنة ٤١٩ هـ / ١٠٢٣ م ، فتفقه وسمع الحديث وبرع فى الفقه ، وانتهت اليه الرياسة فى المذهب الحنفى ، وكان فصيح العبارة شديد التواضع ، ولى القضاء سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٣ م وخلع عليه وقرىء عهده ، واستمرت ولايته نحو ثلاثين سنة وعين نائبا عن الوزارة خلال عهد للخليفة القائم بأمر الله والمقتدى بالله بالاضافة الى عمله قاضى القضاة ، وكان شديد التعصب لمذهب الحنفى ، ولما توفى سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م دفن بداره ثم نقل الى مشهد أبى حنيفة[٢١] .

ومن أشهر فقهاء الحنفية ابن المرحى ، محمد بن أبى طاهر العباسى الذى شهد عند قاضى القضاة أبى عبد الله الدامغانى ، وناب فى القضاء فحمدت طريقته وتوفى سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م[٢٢] . وعبد الملك بن محمد بن الحسن السامرى — الذى كان كثير الحج فعهد اليه بكسوة الكعبة وعمارة الحرمين ، والنظر فى البيمارستانين العضدى والعتيق ، والاشراف على الجوامع بمدينة السلام والجسر والترب بالرصافة وتوفى سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م[٢٣] . والفقيه أحمد بن محمد بن أحمد ابن حمزة أبو الحسين ، دخل بغداد وتفقه على أبى عبد الله الدامغانى ، وبرع وكان خيرا ثقة وتوفى سنة ٤٩٦ هـ / ١١١٢ م[٢٤] .

---

(١٩) احمد امين : ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٢٥ — ٢٢٦ .

(٢٠) دامغان : بلد كبير بين الرى ونيسابور .
ياقوت : معجم البلدان م ٢ ص ٤٣٣ .

(٢١) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم م ٩ ص ٢٢ — ٢٤ ، الذهبى : دول الاسلام جـ ٢ ص ٨ .

(٢٢) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ٢٤ .

(٢٣) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ١١٧ .

(٢٤) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

أما الفقيه الحنفى ، الحسين بن محمد بن على بن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب أبو طالب الزينبى فقد قرأ القرآن بالقراءات وسمع الحديث ، وانفرد فى بغداد برواية الصحيح ، وتفقه على قاضى القضاة أبى عبد الله الدامغانى ، وبرع فى الفقه ، ودرس وانتهت اليه رياسة أصحاب أبى حنيفة ببغداد ، ولقب « نور الهدى » ، وولى نقابة الطالبيين والعباسيين ، وكان شريف النفس ، كثير العلم ، غزير الدين ، وتوفى سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م ، فحمل الى مقبرة أبى حنيفة فدفن داخل القبة[٢٥] .

يعد قاضى القضاة على بن محمد بن على بن محمد بن الحسن بن عبد الملك بن حمويه الدامغانى أبو الحسن بن أبى عبد الله ابن قاضى القضاة أبى عبد الله الدامغانى من أئمة الحنفية الذين كانت لهم منزلة رفيعة عند الخليفة المستظهر بالله فشهد عند أبيه أبى عبد الله الدامغانى سنة ٤٦٦ هـ / ١٠٨٩ م ، وفوض اليه القضاء بباب الطاق ، واشتغل بالعلم والتفقه ، فقلده المستظهر بالله قضـاء القضـاة سنة ٤٨٨ هـ / ١١١١ م ، وكان فقيها متدينا ، له بصر جيد بالشروط والسجلات ، وسمع الحديث من علمائه وحدث ، ولما توفى سنة ٥١٣ هـ / ١١١٩ م دفن فى داره فى الموضع الذى دفن فيه أبوه ثم نقل الى مشهد أبى حنيفـة[٢٦] .

كان عالم العـراق أبو اسـحق ابراهيم بن على بن يوسـف الفيروزأبادى الشـيرازى من وجوه فقهاء الشـافعية ، ولقبـه : « جمال الدين » ، سـكن بغـداد وأسـس له نظام الملك مدرسة بنهر المعلى ، وارتحل فى طلب العلم الى فارس والبصرة ، ولما استقر فى بغداد كثر أتباعه ومالوا اليه ، وكان متورعا متقشفا ، وكان الناس يستقبلونه بالحفاوة البالغة ، فلما قدم رسـولا الى نيسابور تلقاه

---

(٢٥) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم م ٩ ص ٢٠١ .
(٢٦) ابن الجوزى : المصدر نفسـه م ٩ ص ٢٠٨ — ٢١٢ .

الرجال والنساء وأولادهم ، ولما وصل الى ساوة[٢٧] خرج جميع أهلها ولقيه أصحاب الصناعات ، وله تصانيف كثيرة منها : « المهذب » ، و « التنبيه » ، و « النكت فى الخلاف » ، و « اللمع » ، و « طبقات الفقهاء » وتوفى سنة ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م[٢٨] .

أما الفقيه أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد ابن جعفر بن الصباغ البغدادى فكان يلقب بشيخ الشافعية ، وكان فقيها فى المذهب يضاهى أبا اسحق الشيرازى ويقدم عليه فى معرفته ، وكان ثقة خيرا ، ولى التدريس بالنظامية ببغداد بعد وفاة أبى اسحق ، ومن تصانيفه : « الشامل » ، و « الكامل » ، و « تذكرة العالم » ، و « الطريق السالم » ، وتوفى سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م[٢٩] .

ومن أشهر فقهاء الشافعية ، الحسين بن أحمد بن على المعروف بأبى عبد الله ابن البقال ، الذى كان فقيها فاضلا ، مدققا ، زاهدا ، وقد تفقه على القاضى أبى الطيب الطبرى ، وكانت له مجالس فى النظر والجدال وتوفى سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م[٣٠] . والفقيه عبد الرحمن ابن مأمون بن على أبو سعد المتولى ، سمع الحديث وقرأ الفقه على جماعة من العلماء ، ودرس بالنظامية ببغداد ، ودرس الاصول ثم قال الفروع ، وكان فصيحا فاضلا ، توفى سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م[٣١] .

ومنهم عبد الرحمن بن أحمد بن مالك ، المكنى بأبى طاهر ، الذى ولد بأصبهان وسمع الحديث وتفقه بسمرقند وقد لعب دورا فى فتحها ،

---

(٢٧) ساوة : مدينة تقع بين الرى وهمذان .
ياقوت : معجم البلدان م ٣ ص ١٧٩ .
(٢٨) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم م ٩ ص ٧ — ٨ .
، ابن خلكان : وفيات الأعيان م ١ ص ٢٩ — ٣٠ .
(٢٩) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ١٢ — ١٣ .
، الذهبى : دول الاسلام جـ ٢ ص ٨ .
(٣٠) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٣ ص ١٤٧ .
(٣١) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ١٨ .

وكان من أئمة الشافعية ، قيل أنه كان أنصف وأعلم فقهاء المذهب ، وكان بهيج المنظر ، فصيح اللسان ، توفى ببغداد سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م[٣٢] .

كما اشتهر من الشافعية الفقيه محمد بن المظفر بن بكران الحموى الشامى ، الذى قدم بغداد وتفقه وشهد عند قاضى القضاة أبى عبد الله الدامغانى ، وناب فى القضاء بربع المدينة ، وكان حسن الطريقة ثقة عفيفا ، وكان متشددا لا يقبل من سلطان عطية ولا من صديق هدية ، ولى منصب قاضى القضاة بعد وفاة أبى عبد الله الدامغانى ، وكان لا يحابى مخلوقا ، وقد تفقه فى المذهب حتى قيل : « لو رفع مذهب الشافعى أمكنه أن يمليه من صدره » وتوفى سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م[٣٣] . والفقيه أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد ، أبو منصور ابن الصباغ البغدادى ، وهو امام عالم جليل القدر ، وكان فقيها فاضلا حافظا للمذهب ، وكان ينوب عن القاضى أبى محمد بن الدامغانى فى القضاء بربع الكرخ ، ثم ولى الحسبة بالجانب الغربى ببغداد ، وتوفى سنة ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م[٣٤] .

ومن فقهاء الشافعية الامام الحسين بن على الطبرى — الذى برع فى المذهب ودرس فى النظامية وكان اماما كبيرا أشعرى[٣٥] العقيدة ، دارت بينه وبين الحنابلة محاورات جليلة وتوفى سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م[٣٦] . ومنهم أحمد بن على بن بدران ، وكان بغداديا صالحا ،

---

(٣٢) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم م ٩ ص ٥٨ — ٥٩ .
(٣٣) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ٩٤ — ٩٦ .
، الذهبى : دول الاسلام جـ ٢ ص ١٧ .
(٣٤) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٣ ص ٣٤ .
(٣٥) الاشعرية : هم اتباع أبى الحسن على بن اسماعيل الاشعرى ، وهو من علماء السلف الذين يثبتون الصفات لله تعالى ، وتوفى سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م .
الشهرستانى : الملل والنحل جـ ١ ص ٩٣ — ٩٤ .
(٣٦) السبكى : المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٥٢ — ١٥٣ .

سمع الحديث من القاضى أبى الطيب الطبرى ، وتفقه فى المذهب وصنف ومنها : « لطائف المعارف » ، توفى سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م[٣٧] .

لم يكن للمذهب المالكى نصيب وافر من الانتشار مثل المذاهب الاخرى ، الا أن الفقيه أحمد بن محمد بن عبد الله بن عمروس أبو العباس كان من أشهر فقهاء المالكية بالعراق فى هذه الحقبة ، وقد توفى سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م[٣٨] .

أما أشهر فقهاء الشيعة فمنهم ، أحمد بن محمد بن عمر بن اسماعيل بن الاخضر . الذى كان حسن الطريقة ، حميد السيرة ، مقلا من الدنيا قنوعا ، وكان من أحسن الناس تلاوة للقرآن فى المحراب ، توفى سنة ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م[٣٩] .

أما الفقيه يحيى بن محمد بن القاسم ، أبو المعمر ، المعروف بابن طباطبا العلوى ، فكان من شيوخ الطالبيين ويذهب مذهب الامامية[٤٠] ، وتوفى سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ هـ[٤١] ، ومنهم يحيى بن الحسين بن اسماعيل بن زيد الحسنى ، الذى اشتغل بالفتوى لطائفته على مذهب الزيدية[٤٢] ، وكان له معرفة بالاصول والحديث ، وتوفى سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م[٤٣] .

---

(٣٧) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٤ ص ٤٢ .
(٣٨) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم م ٩ ص ١٧٥ .
(٣٩) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٨ ص ٣٢٧ .
(٤٠) الامامية : احدى طوائف الشيعة تذهب الى ان الامامة تكون فى سلالة على بن ابى طالب عن طريق ابنه الحسين ، وانها لا تنتقل من أخ الى أخ بعد أن انتقلت من الحسن الى الحسين ولا تكون الا فى الاعقاب .
النوبختى : كتاب فرق الشيعة ص ٥٧ — ٥٨ ، ص ٧١ — ٧٢ .
(٤١) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ٢٥ — ٢٦ .
(٤٢) الزيدية : احدى طوائف الشيعة اتباع زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن ابى طالب ، الذى قتل سنة ١٢٢ هـ .
ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١١٣ .
(٤٣) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ٣٥ .

ومن أئمة الشيعة محمد بن محمد بن أحمد بن حمزة ، أبو الوضاح العلوى الذى تفقه على أبيه وبرع فى الفقه ، وتوفى سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م[٤٤] • ومنهم محمد بن على بن ميمون بن محمد أبو الغنائم ، الذى ارتحل فى طلب العلم ، وسمع الكثير ، وكان ثقة حافظا ، توفى سنة ٥١٠ هـ / ١١١٦ م فحمل الى الكوفة[٤٥] •

وكان محمد بن أحمد بن طاهر بن أحمد بن منصور فقيه مذهب الامامية يفتى به ، وقد عمل خازنا لدار الكتب القديمة وتوفى سنة ٥١٠ هـ / ١١١٦ م[٤٦] •

ومن العلوم الدينية التى اهتم بها العلماء القراءات ، وقد عنى الفقهاء بدراسة علم القراءة ، وما يتصل به من أحكام ، واشتهر عدد كبير من القراء فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى ، فمنهم على بن عبد الملك أبو الحسن ، الذى قرأ بالقراءات الكثيرة ، وتوفى سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م[٤٧] •

كان محمـــد بن على بن محمـــد بن موسى بن جعفر ، أبو بكر البغدادى ، المعروف بالخياط شيخ القراء فى عصره ، بصيرا بالقراءات فضلا عن اهتمامه بالحديث وكان صالحا عابدا ثقة ، توفى سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ م[٤٨] • ومنهم أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب الرزاز ، المقرىء الزاهد ، تفقه على القاضى أبى يعلى ، وكان ثقة زاهدا متعبدا ، كثير القراءة للقرآن عالما بالقراءات ، توفى سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م[٤٩] •

---

(٤٤) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم م ٩ ص ١٠٧ .
(٤٥) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ١٨٩ .
(٤٦) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ١٨٩ .
(٤٧) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٨ ص ٢٩٦ — ٢٩٧ .
(٤٨) ابن الجزرى : غاية النهـــاية فى طبقات القـــراء ج ٢ ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .
، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة جـ ١ ص ١١ .
(٤٩) ابن رجب : المصدر نفسه جـ ١ ص ٣١ .

أما محمد بن أحمد بن على بن حامد أبو نصر المروزى ، فكان اماما فى القراءات ، صنف فيها التصانيف ومنها : « كتاب المعول » ، و « كتاب التذكرة » ، وارتحل فى طلب علم القرآن الى مرو ونيسابور ودمشق ومصر والموصل وانتهى الى بغداد ، وتوفى سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩٥ م[٥٠] . وكان الامام أحمد بن على بن عبيد الله بن عمر بن سوار ، أبو طاهر البغدادى ، ثقة ، قرأ على عدد كبير من عظماء عصره ، وصنف : « المستنير فى العشر » ، وتوفى سنة ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م[٥١] .

وكان الوزير البغدادى الشافعى أبو الخطاب بن الجراح ، على ابن عبد الرحمن بن هارون بن عيسى ، اماما مقرئا ، حسن الكتابة ، مجود التلاوة ، وانتهت اليه رئاسة القراءة ، وهو امام فى اللغة والنظم ، وتوفى سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م[٥٢] . كما كان محمد بن عبد الرازق أبو منصور البغدادى ، المعروف بالخياط ، أستاذا كبيرا فى القراءات وصنف كتاب : « المهذب بالقراءات » ، توفى سنة ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م[٥٣] .

كان أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر السراج يعرف بالقارىء البغدادى وذلك أنه كان حافظ عصره ، وعلامة زمانه ، وله التصانيف الكثيرة ، وقد أخذ عنه مشاهير القراء ، وتوفى سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م[٥٤] . كما كان أحمد بن عبد العزيز بن بعراج أبو نصر كثير التلاوة بالقرآن ، وقرأ القراءات على أبى الخطاب

---

(٥٠) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم م ٩ ص ٦٠ .
، ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ٢ ص ٧٢ .
(٥١) ابن الجزرى : المصدر نفسه جـ ١ ص ٨٦ .
(٥٢) ابن الجزرى : المصدر نفسه جـ ١ ص ٥٤٨ — ٥٤٩ .
(٥٣) ابن الجزرى : المصدر نفسه جـ ٢ ص ٧٤ .
(٥٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٥٧ — ٣٥٨ .

الصوفى ، وتوفى سنة ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م[٥٥] . ومنهم المبـارك بن الحسين بن أحمد أبو الخير المقرىء ، سمع أبا يعلى بن الفراء وكثيرا من العلماء ، وقرأ القرآن بالقراءات وأقرأ ، وحدث كثيرا وكان ثقة ، توفى سنة ٥١٠ هـ / ١١١٦ م[٥٦] . ويحيى بن عثمان بن الشـــواء أبو القاسم الفقيه ، سمع أبا يعلى بن الفراء ، وتفقه على القاضى أبى يعلى ، وكان فقيها حسنا ، وسماعه صحيح وقرأ بالقراءات ، توفى سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م[٥٧] .

كذلك اهتم العلماء بعلم التفسير لارتباطه الوثيق بالقرآن الكريم ، ومن بينهم عبد الخالق بن هبة الله بن سلامة بن نصر ، أبو عبد الله المفسر الواعظ ، توفى سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م[٥٨] . وأبو الحسن على بن فضال بن على بن غالب بن جابر ، وكان اماما فى اللغة والنحو والتفسير والسير ، ارتحل الى أقطار عديدة ، وله تصانيف فى علم التفسير منها : « برهان العميدى فى التفسير » ويقع فى عشرين مجلدا ، و « الاكسير فى علم التفسير » ويقع فى خمسة وثلاثين مجلدا ، وتوفى سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م[٥٩] .

وكان محمد بن على بن يحيى بن يونس بن الحسين بن عبد الله ابن هبيرة ، أبو الرضى النسفى ثم البغدادى ، ملما بالتفسير والنحو والأدب ، وتوفى سنة ٥١٠ هـ / ١١١٦ م[٦٠] .

أما علم الحديث فمن أشهر العلماء الذين اتقنوا روايته محمد بن على بن محمد بن أحمد بن محمد بن موسى الهاشمى ، سمع الحديث

---

(٥٥) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم م ٩ ص ١٨١ .
(٥٦) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ١٩٠ .
(٥٧) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ٢٠٣ .
(٥٨) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ٣٢ .
(٥٩) السيوطى : طبقات المفسرين ص ٢٤ .
(٦٠) السيوطى : المصدر نفسه ص ٣٨ .

وحدث به ، وولى نقابة الهاشميين وتوفى سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ م[٦١] .

كان عبيد الله بن محمد بن الحسين الفراء ، أبو القاسم بن القاضى أبى يعلى ، قد قرأ بالروايات على أبى بكر الخياط ، وسمع الحديث من والده ، ورحل فى طلب الحديث والعلم الى واسط والبصرة والكوفة وعكبرا[٦٢] والموصل والجزيرة وآمد ، وكان يحضر مجالس النظر فى الجمع وغيرها ، ويتكلم فى المسائل مع شيوخ عصره ، وكان حسن التلاوة للقرآن ، كثير الدرس له ، مع معرفته بعلومه ، وبرع فى علوم الحديث ، فكانت له معرفة بالجرح والتعديل[*] ، وأسماء الرجال والكنى وتوفى سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م[٦٣] . ومنهم أحمد بن محمد بن عبد الله أبو الحسين بن النقور الرزاز ، وكان صدوقا متحريا فيما يرويه من الاحاديث ، توفى سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م[٦٤] .

كان مسعود بن ناصر بن أبى زائدة عبد الله بن أحمد الحافظ الفقيه الرحال ، يعد من أجود المحدثين اتقانا وضبطا ، وقد ارتحل فى طلب الحديث الى سجستان وهراة[٦٥] ونيسابور وأصبهان ، وكان شيخه ببغداد أبو بكر الخطيب ، وكان بارعا فى الحفظ والاتقان والصدق وأخرج كثيرا من المصنفات ، توفى سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م[٦٦] .

---

(٦١) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم م ٨ ص ٢٩٩ .

(٦٢) عكبرا : بليدة من نواحى دجيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ .
ياقوت : معجم البلدان م ٤ ص ١٤٢ .

(*) الجرح والتعديل : الجرح هو الطعن فى الراوى وانتقاصه بما يترتب عليه عدم قبول روايته ، والتعديل هو الحكم بعدالة الراوى ، وجعله موثوقا به تقبل روايته .
انظر ، ابن كثير : الباعث الحثيث فى شرح اختصار علوم الحديث ص ٩٢ وما بعدها .

(٦٣) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة جـ ١ ص ١٢ ، ١٣ .

(٦٤) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٨ ص ٣١٤ .

(٦٥) هراة : مدينة عظيمة من مدن خراسان .
ياقوت : معجم البلدان م ٥ ص ٣٩٦ .

(٦٦) الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ١٦ .

أما محمد بن محمد بن زيد بن على بن موسى بن جعفر بن الحسين ابن على بن الحسن بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب ، المرتضى ذو الشرفين ، فسمع الحديث الكثير وصحب أبا بكر الخطيب ، وأخذ عنه علم الحديث ، فصارت له به معرفة حسنة ، وكان يتمتع بعقل راجح ورأى صائب وفضل وافر ، وصنف فأجاد ، وارتحل الى سمرقند وأصبهان وحدث بها ثم عاد الى بغداد ، وتوفى سنة ٤٨٠ ه / ١٠٨٧ م(٦٧) .

وكان محمد بن أبى نصر بن فتوح بن عبد الله بن حميد ، أبو عبدالله الحميدى الاندلسى ، قد سمع ببلده الكثير وارتحل الى مصر ومكة والشام واستقر فى بغداد ، وكان حافظا عفيفا ، صنف الكثير ووقف كتبه على طلبة العلم ، وتوفى سنة ٤٨٨ ه / ١٠٩٥ م(٦٨) . ومنهم أبو الفضل أحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون البغدادى ، الذى سمع الحديث ، وكان ثقة متقنا واسع الرواية ، كتب بخطه الكثير ، وكان فى روايته يذكر الشيخ وما يرويه وما ينفرد به ، وله دراية تامة بالجرح والتعديل ، توفى سنة ٤٨٨ ه / ١٠٩٥ م(٦٩) . وعبد المحسن بن محمد بن على بن أحمد أبو منصور ، الذى ارتحل فى طلب الحديث الى مصر والشام وبغداد ، وكان ثقة خيرا ، أهداه الخطيب البغدادى نسخة بخطه من تاريخ بغداد ، توفى سنة ٤٨٩ ه / ١٠٩٦ م(٧٠) .

أما المؤتمن بن أحمد بن على بن الحسن بن عبيد الله أبو نصر فتفقه على أبى اسحق الشيرازى ، ورحل فى طلب الحديث الى بيت المقدس وأصبهان وخراسان والجبل ، وقرأ على عبد الله الأنصارى الحديث وحصل الكثير منه ، وكان حافظا عارفا بالحديث معرفة جيدة خصوصا

---

(٦٧) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٩ — ١٠ .
(٦٨) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم م ٩ ص ٩٦ .
(٦٩) الذهبى : المصدر نفسه ج ٤ ص ٧ — ٨ .
(٧٠) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ١٠٠ .

المتون ، وكان حسن القراءة ، والخط ، صحيح النقل ، ووصف فضلا عن ذلك بالثقة والورع والصدق والامانة ، توفى سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م[٧١] .

ازدهرت الحركة الادبية فى العراق بجانب العلوم الدينية ، خاصة بعد انشاء المدارس النظامية والتاجية[٧٢] وغيرها ، وانتشارها فى بغداد والبصرة والموصل ، فضلا عن أصبهان وآمد ومرو ونيسابور وهراة وبلخ[٧٣] ، كما أن الخليفة المقتدى كان يقول الشعر ويتذوقه[٧٤] ، ولذلك أحب الشعراء وأكرمهم ، وكان نظام الملك يقوم بتشجيع الكتاب والشعراء والادباء ويغدق عليهم . ومن أشهر علماء اللغة ناصر بن محمد بن على التركى الضافرى أبو منصور ، الذى قرأ القرآن بالقراءات ، وسمع الحديث وكتب الكثير من اللغة ، وقال الشعر ، فكان أبو بكر يقدمه على الادباء والفقهاء ، توفى سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ م[٧٥] .

وكان الحسين بن عبد الله بن يوسف أديبا فاضلا وشاعرا مجيدا ، أخذ عن أبى نصر يحيى بن جرير التكريتى وغيره ، وهو صاحب القصيدة الرائية التى تدل على مدى ما كان يتمتع به من الحكمة ، ومن أشعاره :

قالوا القناعة عز والكفاف غنى
والذل والعار حرص المرء والطمع

صدقتم من رضاه سد جوعته
ان لم يصبه فماذا منه يقتنع

وقد توفى سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م[٧٦] .

---

(٧١) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ١٧٩ — ١٨٠ .

(٧٢) المدارس التاجية : نسبة الى تاج الملك المرزبان بن خسرو — مستوفى مملكة ملكشاه .

(٧٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ٢٠٨ .

(٧٤) الاصبهانى : خريدة القصر وجريدة العصر ص ٢٣١ .

(٧٥) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم م ٨ ص ٣٠١ .

(٧٦) ياقوت : معجم الادباء م ١٠ ص ٢٣ ، ٣٨ .

كان الحسن بن أسد بن الحسن الفارقى أبو نصر ، نحويا اماما لغويا ، شاعرا مليح النظم ، كثير التجنيس ، وله تصانيف منها : « شرح اللمع » ، و « الافصاح فى شرح أبيات مشكلة » ، توفى سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م[٧٧] .

وكان للوزير محمد بن الحسين بن عبد الله بن ابراهيم ، ظهير الدين أبى شجاع نصيب وافر فى النهوض بالحركة الادبية ، فعرف بتعمقه فى دراسة العربية والمامه بالادب ، وكان قد سمع الحديث من جماعة من العلماء ، منهم أبو اسحق الشيرازى ، وصنف كتبا منها : كتابه الذى ذيله على تجارب الامم ، وولى الوزارة للمقتدى بالله ، وكان خيرا ، يبالغ فى التواضع حتى ترك الاحتجاب ، وقد أنشأ مدرسة ببغداد وجعلها وقفا على أصحاب المذهب الشافعى ، وتوفى سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م[٧٨] .

ومن أشهر أدباء هذا العصر محمد بن عمر بن أبى الصقر محمد ابن على بن الحسين ، الذى كان فقيها أديبا شاعرا ، غلب عليه الادب والشعر فبرع فيهما ، كما أتقن الخط فبلغ فيه درجة رفيعة ، وجمع ديوانه فى مجلد ، ومن شعره :

من عارض الله فى مشيئته
فما لديه من بطشه خير

لا يقدر الخلق باجتهادهم
الا على ما جرى به القدر

وتوفى سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م[٧٩] ، كما كان جعفر بن الحسين ابن أحمد أبو محمد أديبا شاعرا لطيفا ، ارتحل الى عدة بلدان ، ونظم

---

(٧٧) السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة م ١ ص ٥٠٠ .
(٧٨) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم م ٩ ص ٩٠ — ٩٤ ، السبكى : طبقات الشافعية جـ ٣ ص ٥٨ .
(٧٩) ياقوت : معجم الادباء م ١٨ ص ٢٥٧ .

كتبا كثيرة شعرا فمنها : « المبتدأ » ، و « التنبيه » ، وكان شـــديد الاعجاب بأصحاب الحديث فامتدحهم فى قصائده التى تمتاز بالسهولة والبعد عن التصنع ، توفى سنة ٥٠٠ ﻫ / ١١٠٦ م[٨٠] .

يعد أبو زكريا يحيى بن على بن محمد بن الحسن الشيبانى أحد أئمة اللغة ، كانت له معرفة تامة بالادب والنحو واللغة ، وروى عنه الخطيب البغدادى صاحب تاريخ بغداد ، وصنف فى الادب كتبا منها : « شرح الحماسة » ، و « شرح ديوان المتنبى » و « شرح المعلقات السبع » ، و « تهذيب غريب الحديث » و « الكافى فى علم العروض والقوافى » ، و « الملخص » فى أربعة مجلدات ، وارتحل الى مصر ، ثم عاد الى بغداد واستوطنها وتوفى بها سنة ٥٠٢ ﻫ / ١١٠٨ م[٨١] .

وكان الشريف أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح بن حمزة بن عيسى الهاشمى ، المعروف بابن الهبارية ، الملقب نظام الدين البغدادى ، شاعرا مجيدا كثير الهجاء لا يكاد أحد يسلم من أشعاره ، وهو من شعراء نظام الملك ، وله مصنفات منها : « نتائج الفطنة فى نظم كليلة ودمنة » ، و « الصادح والباغم » ، نظمه على أسلوب كليلة ودمنة ، وهو أراجيز نظمها فى عشر سنين ، توفى سنة ٥٠٩ ﻫ / ١١١٥ م[٨٢] .

تجلت النهضة الادبية فى حرص الكتابة على الصناعة اللفظية وتنميق العبارة فى رسائل الخلفاء ، وكانت الكاتبة فاطمة بنت على المؤدب المعروفة ببنت الاقرع تتمتع بخط حســن ، وتجيد اختيار العبارات الجميلة ، فعهد اليها بكتاب الهدنة الى ملك الروم ، وذهبت برسالة من الديوان العزيز الى عميد الملك أبى نصر الكندرى ، فأعطاها ألف دينار ، وسمعت الحديث وروى عنها بعض الفقهاء ، توفيت سنة

---

(٨٠) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم م ٩ ص ١٥١ — ١٥٢ .

(٨١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٦ ص ١٩١ — ١٩٦ .

(٨٢) ابن خلكان : المصدر نفسه ج ٤ ص ٤٥٣ — ٤٥٦ .

٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م[٨٣] . وممن برع فى هذا الفن أبو سعد بن الموصلايا ، كاتب الانشاء فى عهد الخليفة المقتدى بالله ، وقد نال منزلة رفيعة عند الخلفاء ، فناب عن الوزارة فى أيام المقتدى وأيام المستظهر ، وكان فصيحا ، ويدل على فصاحته وغزارة علمه ما كان ينشئه من مكاتبات الديوان والعهود ، توفى سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م[٨٤] .

وكان الاستاذ مؤيد الدين أبو اسماعيل الاصبهانى المعروف بالطغرائى[٨٥] ، آية فى الكتابة والشعر ، خدم السلطان ملكشاه ، وولى ديوان الطغراء ، وصاحب ديوان الانشاء ، له فى العربية والانشاء قدم راسخ ، وله ديوان شعر كبير ، ويمتاز أسلوبه بالسهولة والسلاسة والبعد عن التكلف ، وتدل عباراته على الثقافة العالية التى كان يتمتع بها ، توفى سنة ٥١٥ هـ / ١١٢٠ م[٨٦] .

شهدت بلاد العراق فى هذه الحقبة حركة تجلى فيها اهتمام بعض الكتاب بتدوين التاريخ ، وسير وتواريخ الدول ، وتراجم المشاهير والأعلام ، ومن أشهرهم : أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدى الخطيب أبو بكر ، من أوسع علماء بغداد ثقافة فى الادب وعلوم القرآن والفقه والشعر والتاريخ ، نشأ ببغداد وسمع الحديث ، وقرأ القرآن بالقراءات ، وتفقه على أبى الطيب الطبرى ، ورحل فى طلب العلم الى البصرة ونيسابور وأصبهان وهمذان والجبال وعاد الى بغداد ، ثم ارتحل الى الشام وسمع بدمشق وصور ، ووصل مكة وقرأ صحيح البخارى ، وصنف فأجاد ، وله أكثر من خمسين مصنفا بعيدة المثل منها : « تاريخ بغداد » ، و « شرف أصحاب الحديث » ، و « كتاب الجامع

---

(٨٣) ياقوت : معجم الأدباء م ١٦ ص ١٧٢ .
(٨٤) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم م ٩ ص ١٤١ .
(٨٥) الطغرائى : نسبة الى من يكتب الطغراء وهى الطرة التى تكتب فى أعلى المراسيم فوق البسملة ، وهى كلمة اعجمية محرفة من الطرة . انظر ، ياقوت : المصدر نفسه م ١٠ ص ٥٧ .
(٨٦) ياقوت : المصدر نفسه م ١٠ ص ٥٦ — ٥٩ .

لأخلاق الراوى وآداب السامع » ، و « الكفاية فى معرفة أصول علم الرواية » ، و « كتاب السابق واللاحق » ، و « كتاب الرحلة » ، و « كتاب روايات الصحابة عن التابعين » ، وفضلا عن ذلك كان حسن القراءة ، فصيح اللهجة ، عارفا بالادب ، يقول الشعر الحسن ، الا أنه نال شهرته الواسعة فى علم التاريخ ، فقال ابن خلكان : « كان من الحفاظ المتقنين والعلماء المتبحرين ، ولو لم يكن له سوى التاريخ لكفاه ، فانه يدل على اطلاع عظيم »[٨٧] ، توفى سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ — ١٠٧١ م[٨٨] .

ومن أشهر المؤرخين محمد بن هلال بن المحسن بن ابراهيم أبو الحسن الصابى ، الملقب بغرس النعمة ، ذيل على تاريخ والده ، وتوفى سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م[٨٩] .

ويعتبر ابن ماكولا من أعلام مؤرخى هذا العصر ، وهو الامير سعد الملك أبو نصر على بن هبة الله بن على ، كان أبوه وزيرا للخليفة القائم بأمر الله العباسى ، وهو من كبار الحفاظ والمحدثين ، وكان نحويا مجددا ، الا أنه شغف بالتاريخ وصنف التصانيف ، فمنها : « الاكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف فى الاسماء والكنى والالقاب » وهو معجم تاريخى ، و « الاكمال » ، و « كتاب الوزراء » ، وكان كثير الرحلة فى طلب العلم فذهب الى الشام ومصر والجزيرة والثغور والجبال وخراسان وماوراءالنهر ، وتوفى سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٣ م[٩٠] .

---

(٨٧) انظر ، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٩٤ .

(٨٨) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم م ٨ ص ٢٦٥ — ٢٧٠ .
، السبكى : طبقات الشافعية جـ ٣ ص ١٢ .

(٨٩) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم م ٩ ص ٤٢ .

(٩٠) ابن خلكان : المصدر نفسه م ٣ ص ٣٠٥ — ٣٠٦ .

ومن المؤرخين الرحالة يعقوب بن سليمان بن داود ، أبو يوسف الخازن ، فارتحل الى العراق والشام وأقام ببغداد ، وتفقه على القاضى أبى الطيب الطبرى ، وكان خازنا للكتب النظامية ، وهو فقيه فاضل ، وله معرفة بالأدب ، وصنف كتبا فى التاريخ منها : « كتاب المستظهرى » و « كتاب سير الخلفاء » ، ومن الكتب الادبية : « محاسن الآداب » ، و « بدائع الاخبار وروائع الاشعار » ، توفى سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٤ م[٩١] . ومنهم عبد الله بن الحسن بن أبى منصور أبو محمد الطبسى ، الذى جال الاقطار ، وسمع من الشيوخ الكثير ، وكتب لهم فى التاريخ ، وكان يعد من الحفاظ الثقة العدول ، توفى سنة ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م[٩٢] .

أما محمد بن أبى العباس أحمد بن محمد بن اسحق الأبيوردى فكان من نوابغ المؤرخين ، ومن أعلام النهضة الثقافية بالعراق ، فاضلا فى العلوم الادبية ، حجة فى الانساب ليس له مثيل ، سمع من قراء أبيورد[٩٣] ، كبير النفس عظيم الهمة ، ولى ادارة خزانة دار الكتب بالنظامية فى بغداد ، ومنصب الاشراف فى عهد السلطان محمد بن ملكشاه ، وكان متبحرا فى الادب ، له تصانيف جليلة فى التاريخ منها : « كتاب تاريخ أبيورد و نسا » ، و « كتـاب المختلف والمؤتلف » ، و « قبة العجلان فى نسب آل أبى سفيان » ، و « كتاب ما اختلف وائتلف فى أنساب العرب » ، و « الدرة الثمينة » ، و « طبقات العلم فى كل فن » ، توفى سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م[٩٤] .

ومن مؤرخى هذه الفترة هبة الله بن المبارك بن موسى بن على ابن يوسف السقطى أبو البركات الرحال ، سمع الحديث نبلده بغداد

---

(٩١) الكتبى : فوات الوفيات م ٢ ص ١٨٥ — ١٨٦ .
(٩٢) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم م ٩ ص ١٢٥ .
(٩٣) ابيورد : مدينة بخراسان بين سرخس ونسا .
ياقوت : معجم البلدان م ١ ص ٨٦ .
(٩٤) الفارقى : تاريخ الفارقى ص ٢٨٥ — ٢٨٦ .
، ياقوت : معجم الادباء م ١٧ ص ٢٣٤ — ٢٤٤ .

وتفقه ، وارتحل فى طلب العلم الى واسط والبصرة والكوفة والموصل وأصبهان والجبال ، جمع معجما لشيوخه فى نحو ثمانية أجزاء ضخمة ، وجمع تاريخا لبغداد ذيل به على تاريخ الخطيب وتوفى سنة ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م[٩٥] .

كان محمد بن عبد الملك الهمذانى بن ابراهيم بن أحمد أبو الحسن من مشاهير المؤرخين ، فجمع تاريخا فى الملوك والدول والحوادث ، ومن مصنفاته : « الذيل على تاريخ الطبرى » ، و « عنوان السير » ، و « أخبار الوزراء » ، و « كتاب طبقات الفقهاء » ، توفى سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م[٩٦] .

على الرغم من سيطرة فقهاء المذاهب على النهضة الثقافية وتعصبهم ضد الافكار الفلسفية ، الا أن أبا المعالى الجوينى عبد الملك ابن عبد الله بن يوسف الملقب بامام الحرمين استطاع أن يتبوأ مكانة عالية فى علم الكلام بعد أن سمع الحديث الكثير ، وكان قد تفقه على أبيه ونبغ حتى زاد عليه فى التحقيق والتدقيق ، ولما توفى والده سافر الى بغداد ولقى بها جماعة من العلماء ثم خرج الى الحجاز وجاور بمكة والمدينة أربع سنوات يدرس ويفتى فلهذا قيل له امام الحرمين ، وعاد الى نيسابور فبنى له نظام الملك المدرسة النظامية وتولى الخطابة بها ، كما عهد اليه بالخطابة والمنبر ومجلس التذكير فى بغداد ، وكان يحضر مجلسه العديد من طلاب علم الكلام ، وتخرج عنه جماعة من أكابرهم ، وصنف التصانيف منها : « كتاب نهاية المطلب فى دراية المذهب » ، و « الشامل » فى أصول الدين ، و « البرهان » فى أصول الفقه ، و « تلخيص التقريب » ، و « الارشاد » ، و « مدارك

---

(٩٥) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم م ٩ ص ١٨٣ .
(٩٦) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ١٠ ص ٨ .

العقول » ، و « مغيث الخلق فى اختيار الأحق » ، وتوفى سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م[٩٧] .

ومن فلاسفة هذا العصر أبو يوسف القزوينى عبد السلام بن محمد بن يوسف — أحد شيوخ المعتزلة[٩٨] المجاهرين بالمذهب ، رحل الى مصر وحمل الكتب الكثيرة الى بغـداد ، وكان قاضى القضـاة أبو عبد الله الدامغانى يكرمه ويقوم له ، روى الحديث ببغداد وفسر القرآن الكريم ، وتوفى سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٤ م[٩٩] .

كما اشتهر من الفلاسفة أبو المعالى الجيلى عزيزى بن عبد الملك ابن منصور القاضى ولى القضاء بباب الأزج ، وسمع الحديث وكان شافعيا لكنه كان يتظاهر بمذهب الاشعرى وتوفى سنة ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م[١٠٠] . وأبو المؤيد الغزنوى عيسى بن عبد الله أبو القاسم ، وكان واعظا شاعرا كاتبا ، قدم بغداد ووعظ بها ، وتوفى سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م[١٠١] . ومنهم أيضا محمد عبد الله بن يحيى أبو البركات بن الشيرجى ، قرأ القرآن وسمع الحديث وتفقه وسكن الكرخ وكان من المعتزلة وتوفى سنة ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م[١٠٢] .

---

(٩٧) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم م ٩ ص ١٨ — ١٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان م ٣ ص ١٦٧ — ١٦٩ .

(٩٨) المعتزلة : خلاصة مذهبهم القول بنفى التشبيه وتأويل الآيات التى وردت مما تشعر بالتشبيه ، وارجاع صفات الله تعالى كلها الى ذاته ، وراوا ان ذلك أدل على التنزيه . ولما انتشرت الفلسفة بالعراق ، دخـل كثير منها فى الاعتزال .

أنظر ، احمد امين : ظهر الاسلام جـ ٤ ص ١٠ .

(٩٩) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ٨٩ — ٩٠ . ، الذهبى : دول الاسلام جـ ٢ ص ١٧ .

(١٠٠) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ١٢٦ .

(١٠١) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ١٤٥ .

(١٠٢) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ١٤٧ .

نشطت الحركة الصوفية فى العراق وكان نظام الملك يقدر الصوفية ويغدق عليهم ، كما أثرت فى فئات المجتمع العراقى ، لأن نزعة الزهد فى الدنيا والتطلع للآخرة وحب العبـادة وتطهير النفس استهوت فئات عديدة من أجل البعد عن مشاكل الحياة ومتاعبها ، ومن أشهر أعلام التصوف أحمد بن محمد بن دوست أبو سعد النيسابورى الصوفى ، الذى كان يجمع الفقراء فى جماعات، ويدور فيهم فى قبائل العرب وتوفى سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م[١٠٣] . ومحمد بن محمد بن على بن الحسن أبو نصر بن أبى طاهر ، الذى تزهد فى شبابه فانقطع الى رباط أبى سعد الصوفى وكان ثقة ، توفى سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م[١٠٤] .

وكان أردشير بن منصور أبو الحسين العبادى من أعلام التصوف ، فدخل بغداد وجلس فى النظامية وكثر الوافدون على المدرسة حتى عجز المكان ، وكان صمته أكثر من نطقه ، اذا تكلم ضج الناس وهاموا ، وحلق أكثر الصبيان شعورهم تأثرا به ، وآووا الى المساجد وأريقت الأنبـذة والخمـور وكسرت آلات الملاهى وتوفى سنة ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م[١٠٥] . كما اشتهر أبو الحسن البسطامى — شيخ رباط ابن المحلبان — على دجلة غربى بغداد بأنه كان لا يلبس الا الصوف شتاءا وصيفا وتوفى سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م[١٠٦] .

أما أبو المعالى الصالح فكان يقيم بمسجد بباب الطاق ، وكان لا يلبس الا ثوبا واحدا شتاءا أو صيفا ، وكان يصبر على الجوع ، زاهدا فى الدنيا من كبار علماء التصوف ، فذكر ابن الجوزى أن سعد الدولة شحنة بغداد دخل عليه مرة فأغلق الباب بوجهه ، فألح عليه

---

(١٠٣) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم م ٩ ص ١١ .
(١٠٤) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ٣٣ — ٣٤ .
(١٠٥) ابن الجوزى : المصرد نفسه م ٩ ص ٧٥ — ٧٦ .
(١٠٦) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ١١٦ .

سعد الدولة فأدخله ، وجعل يوبخه على ما هو فيه ، وسعد الدولة يبكى بكاء كثيرا ، توفى سنة ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م[١٠٧] .

لاشك أن الحركة الصوفية بلغت درجة عالية عندما انضم اليها حجة الاسلام أبو حامد الغزالى ، وهو محمد بن محمد بن أحمد ، ولد بطوس[١٠٨] سنة ٤٥٠ هـ ، وكان والده يغزل الصوف ، قرأ فى صباه طرفا من الفقه ، وارتحل الى جرجان ونيسابور ، ولازم امام الحرمين ، وبرع فى المذهب والخلاف والجدل وقرأ الحكمة والفلسفة وتصدى للرد عليهم ، وكان شديد الذكاء عجيب الفطرة ، صنف فى الاصول والفروع ، ودرس بنظامية بغداد بعد أن تلقاه الوزير نظام الملك بالتعظيم والتبجيل ، ثم ترك التدريس وتزهد ، ورحل الى الشام ، ودخل بيت المقدس وصنف هناك كتاب « احياء علوم الدين » ، على مذهب الصوفية ، ثم قصد الاسكندرية وأراد أن يذهب الى يوسف بن تاشفين — صاحب مراكش فبلغه نعيه فعدل ، وعاد الى وطنه طوس وبنى مدرسة ورباطا للصوفية وتشاغل بحفظ القرآن ، وله كتب عديدة فى مختلف فروع العلم فمنها : « البسيط » ، و « الوسيط » ، و « الوجيز » ، و « الخلاصة » ، و « المستصفى » ، و « شفاء العليل » ، و « الاسماء الحسنى » ، و « الرد على الباطنية » ، و « منهاج العابدين » ، الا أن كتابه احياء علوم الدين — الذى حدث به فى بغداد ، أمد الحركة الصوفية بروح علمية جديدة بعيدة عن الجهل والخرافات ، فهو يدعو فيه لاحياء القلوب بالايمان وتربية النفس على طاعة الله تعالى من خلال الالتزام بالفرائض والسنن ، ومحاسبة النفس والزهد والتقشف ، وتحرى الحلال من الحرام ، فقال :

---

(١٠٧) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم م ٩ ص ١٣٦ .

(١٠٨) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ .

ياقوت : معجم البلدان م ٤ ص ٤٩ .

« اعلم أن الزهد فى الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين »[١٠٩] ، وقال « التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق ، والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى فى ملكوت السماوات والارض » ، وقال : « اعلم أن الحرام كله خبيث ، لكن بعضه أخبث من بعض ، واعلم أن الحلال كله طيب ، لكن بعضه أطيب من بعض وأصفى من بعض »[١١٠] ، وتوفى سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١ م[١١١] بعد أن أثرى النهضة الثقافية بمصنفاته القيمة .

تجلى نشاط الحركة العلمية فى العراق فيما حققه العلماء من انجازات كبيرة فى مجال العلوم الطبيعية التجريبية . فقام العلماء بضبط التقويم[١١٢] وانشاء الرصد[١١٣] ، وكان من أبرز علماء الفلك أبو المظفر الاسفزارى بن اسماعيل ، وهو فلكى مهندس ، كان معاصرا لعمر الخيام وبينهما مناظرات ، غلب عليه الاشتغال بعلوم الهيئة والاثقال والحيل الهندسية ، واهتم بعمل ميزان يعرف به « الغش والعيار » وله تصانيف فى الرياضيات منها « مقدمة فى المساحة » ، توفى سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م[١١٤] . كما نبغ فى علم الفلك عمر بن ابراهيم الخيام النيسابورى أبو الفتح ، وهو شاعر فيلسوف فارسى مستعرب من أهل نيسابور ، كان عالما بالفقه واللغة والتاريخ والرياضيات ومبدعا فى علم الفلك ، وله تصانيف عديدة قيمة كان لها أثرها فى الحياة

---

(١٠٩) الغزالى : احياء علوم الدين جـ ٤ ص ٢١٦ .

(١١٠) الغزالى : المصدر نفسه جـ ٢ ص ٩٤ ، ص ٢٢٦ .

(١١١) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم م ٩ ص ١٦٩ — ١٧٠ .

، الذهبى : دول الاسلام جـ ٢ ص ٣٤ .

(١١٢) كان النيروز عند حلول الشمس نصف الحوت ، فجعله الفلكيون اول نقطة من الحمل .

(١١٣) ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى ص ٥٦٩ .

(١١٤) الزركلى : الاعلام م ٨ ص ١٦٣ .

العلمية بالعراق ومنها : « رسائل فى الجبر والمقابلة » ، و « شرح ما يشكل من مصادرات اقليدس » ، ومن ناحية أخرى حاول تصنيف المعادلات الرياضية وحسب درجاتها ، واشتهر بمقطوعاته الشعرية والرباعيات ، توفى سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م[١١٥] .

وفى مجال علم الحساب نبغ عبد الملك بن ابراهيم بن أحمد الهمذانى ، وكان يعرف العلوم الشرعية والادبية ، الا أن علم الفرائض والحساب انتهى اليه ، فضلا عن أنه كان عفيفا زاهدا ، توفى سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م[١١٦] . كما برع عبد الباقى بن حمزة بن الحسين أبو الفضل الحداد القرشى فى الفرائض والحساب وكان ثقة توفى سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م[١١٧] . وكان أبو عبد الله الشقاق الفرضى وهو الحسن بن أحمد بن جعفر ، فريد عصره فى علم الفرائض والحساب وقد توفى سنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م[١١٨] .

لقى الطب عناية كبيرة من العلماء ، وكان من أشهر الاطباء أبو نصر يحيى بن جرير التكريتى ، الذى كان كثير الاطلاع فى العلوم ، فاضلا فى صناعة الطب وله تصانيف عديدة منها : « كتاب الاختيارات فى علم النجوم » ، و « كتاب فى منافع الرياضة وجهة استعمالها » ، توفى سنة ٤٧٢ هـ / ١٠٧٨ م[١١٩] .

أما أبو على يحيى بن عيسى بن جزلة فكان واسع الثقافة من المشاهير فى علم الطب ، وضع التصانيف المفيدة فى مجال الطب فمنها : « المنهاج » — الذى رتبه على الحروف وجمع فيه أسماء الحشائش

---

(١١٥) الزركلى : الاعـلام م ٥ ص ١٩٤ — ١٩٥ .
(١١٦) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم م ٩ ص ١٠٠ .
(١١٧) ابن الجوزى : المصدر نفسه م ٩ ص ١١٦ .
(١١٨) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ٥٣٢ .
(١١٩) ابن أبى اصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٢٤٣

والعقاقير والادوية ، و « كتاب تقويم الابدان » — الذى صنفه للخليفة المقتدى بالله ، و « منهاج البيان فيما يستعمله الانسان » ، و « الاشارة فى تلخيص العبارة وما يستعمل من القوانين الطبية فى تدبير الصحة وحفظ البدن » ، و « رسالة فى مدح الطب وموافقته للشرع والرد على من طعن به » ، وكان خيرا يعالج أهل محلته ومعارفه بغير أجرة ، ووقف كتبه قبل وفاته وجعلها فى مشهد أبى حنيفة ، توفى سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م[١٢٠] .

وكان من أشهر الاطباء أبو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين أبو الحسن ، وهو طبيب متميز واسع الاطلاع فلقى رعاية الخليفة المقتدى بالله وابنه المستظهر ، وقيل أن الطب انتهى اليه فى هذا العصر ، ومن مصنفاته الطبية القيمة : « المغنى فى الطب » — صنفه للمقتدى بالله و « خلق الانسان » ، و « اليرقان » ، و « الشامل فى الطب » ، وكان يتولى مداواة المرضى فى البيمارستان العضدى ، وتوفى سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م[١٢١] .

ومما يجدر ذكره أن العلاج والتطبيب كان يقدم للناس فى البيمارستانات بدون أجر عندما تنتشر الأوبئة والامراض السارية ، فلما اشتد الطاعون ببغداد سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م ، وأهلك أعدادا كبيرة من أهلها ، كان المال يقدم للفقراء فضلا عن التطبيب والادوية[١٢٢] .

---

(١٢٠) ابن القفطى : اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ٢٤٠ .
، ابن أبى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٢٥٥ .
، ابن خلكان : وفيات الاعيان م ٦ ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(١٢١) ابن ابى اصيبعة : المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .

(١٢٢) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم م ٩ ص ١٤ ، ١٥

خاتمـــة البحـــث

شهدت بلاد العراق فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى نهضة ثقافية شاملة فى مختلف أفرع العلوم والآداب بفضل جهود العلماء الذين تحملوا الصعاب والمشاق فى سبيل التطـــوير والتقدم الحضـــارى .

يتجلى من دراسة سير فقهاء المذاهب السنية الاربعة أن ثلاثة منها كانت تتمتع بمكانة كبيرة وشهرة واسعة فى العراق وهى الحنبلى والحنفى والشافعى ، بينما لم يحظ المذهب المالكى بذات المكانة ، كما يتضح بجلاء سيادة المذهب الحنبلى ـ الذى تصدى لعلم الكلام والدفاع عن العقائد السلفية ، وذلك على الرغم من حدوث خلافات بين أئمة هذا االمذهب بسبب تشددهم فى محاربة المنكرات . ويلى الحنابلة فى المكانة الحنفية ، الذين حظى فقهاؤهم بمكانة خاصة عند الخلفاء والسلاطين وتولوا أكثر الوظائف أهمية ومنها قاضى القضاة ، والسفارة الى الملوك والامراء .

كما يتضح من اتجاهات فقهاء المذهب الشافعى أن الشافعية كانوا ينقمسون الى شافعية سلفية ، وشافعية أشعرية[1] ، وقد ولى بعضهم القضاء والتدريس فى النظامية .

أما فقهاء الشيعة فامتازوا بالثقافة العالية وانقسموا الى شيعة زيدية وشيعة امامية ، ومنهم من عمل فى خزانة دار الكتب .

كان علماء التفسير على درجة عالية من الثقافة ، جعلتهم فى منزلة

---

(١) يقول السبكى : « وقد أخذ عامة اصحاب الشافعى بما استقر عليه مذهب أبى الحسن الاشعرى وصنف اصحاب الشافعى كتبا كثيرة على وفق ما ذهب اليه الاشعرى » .

، انظر : طبقات الشافعية م ٢ ص ٢٦١ .

رفيعة علميا واجتماعيا ، وقد قدموا للحضارة الاسلامية خدمات جليلة بمجموعة التفاسير النفيسة الجليلة ومنها تفسير النسفى ، وتفسير أبى القاسم التميمى ، فضلا عن الاسـهام الرائع للامام أبى نصر القشيرى فى علم التفسير ، وتفسير الامام أبى القاسم الهمـذانى المعروف باسم « كتاب البديع فى البيان عن غوامض القرآن » .

وفى مجال علم القراءات يتجلى حرص العلماء على تأليف الكتب والمصنفات وذلك للحفاظ على القراءات الصحيحة لكتاب الله العزيز ، ومنهم من نذر حياته لتعليم القرآن وفنون القراءات المختلفة .

أما أعلام الحديث فقد اتصفوا بالدقة البالغة بالاحاديث وأسانيدها فقد اتصف المشتغلون بهذا الفرع من العلوم الدينية بالصدق والامانة والتثبت وتحمل الصعاب فى الرحلة من أجل الحديث الصحيح .

لما كان الخلفاء والسلاطين وكبار رجال الدولة يشجعون الدراسات الادبية لذلك أحاطوا الادباء برعايتهم ، وقد تميز الشـعراء فى هذه الحقبة باتساع مجال ثقافتهم ، ويتجلى من دراسة سير أعلام الادب مدى حرصهم على وضع المصنفات فى الانساب واللغة والشعر والنحو ومختلف فروع الادب ، وكان لعلو شأنهم عند الخلفاء أن ولى بعضهم المناصب الكبيرة فى الدولة مثل الطغرائى — صاحب ديوان الانشاء ، بل أن بعضهم بلغ منزلة رفيعة لدى السلاطين فأنشأ نظام الملك مدرسة ببغداد للشيخ أبى اسحق الشيرازى لمكانته الادبية الرفيعة .

كما بلغت علوم اللغة درجة كبيرة من النضج ، وتميز علماء اللغة باتساع مجال ثقافتهم ، فأضافوا الى علم النحو اضافات ، يتجلى منها تفوقهم فى دراسته .

يتضح من دراسة سير كتـاب التاريخ أنهم كانوا الى جانب اجادتهم دراسة التاريخ ، ملمين بالحديث والتفسير ، مما أعانهم على استجلاء الحقائق التاريخية . وقد اختص البعض بالتأريخ للمدن مثل الابيوردى ، كما اهتم عبد المـلك الهمـذانى بالتذييل على تاريخ الطـبرى .

لم يكن للفلسفة مكانة مرموقة فى هذه الحقبة بسبب تعصب فقهاء المذاهب ضد الافكار الفلسفية ، كما كان لبعض أئمة التصوف تأثير على العلوم الفلسفية ، وبخاصة الامام الغزالى — الذى عمد الى احياء القلوب بالايمان وتربية النفس ، كما أن دعوته للزهد والتقشف وجدت قبولا فى قلوب العامة •

وفى مجال العلوم الطبيعية التجريبية يتجلى مدى اهتمام سلاطين السلاجقة وولعهم بالتنجيم والفلك ، فكانوا لا يتوجهون الى ميادين الحرب دون استطلاع رأى الفلكيين والمنجمين • لذلك حظى هؤلاء العلماء بمكانة مرموقة عند الخلفاء والسلاطين على السواء • وقد أثبتوا تفوقهم فى مجال الرياضيات والفلك مثل عمر الخيام ، كما تجلى تفوق علماء الحساب فى بحوثهم العلمية التى كان من ثمارها وضع مقدمة فى المساحة ، واختراع ميزان يعرف به « الغش والعيار » على يدى الفلكى المهندس أبو المظفر الاسفزارى ، الذى عاصر عمر الخيام •

كان لتشجيع الخلفاء والسلاطين للاطباء وانشاء البيمارستانات والانفاق عليها أثره الواضح فى ازدهار علم الطب والصيدلة ، وليس أدل على ذلك من مجموعة المصنفات الضخمة التى تزودت بها المكتبة العربية والتى تضم كتب هؤلاء العلماء ، ومما يجدر ملاحظته أن أعلام الطب كانوا يحرصون على الالمام بمختلف العلوم والثقافات •

وصل بعض الاطباء الى منزلة رفيعة عند الخلفاء حتى قربوهم اليهم ، فكان لابن الواسطى مكانة عالية عند الخليفة المستظهر بالله لدرجة أن كبار رجال الدولة كانوا يطلبون منه التوسط لدى الخليفة فى الامور الصعبة المعقدة •

وصفوة القول ، قام علماء النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى بخدمات جليلة فى سبيل ازدهار الحركة العلمية والادبية ، فوضعوا كثيرا من المصنفات التى أثرت النهضة الثقافية فى مختلف العلوم والآداب خلال هذه الحقبة التاريخية الهامة من تاريخ العراق •

المصـــادر والمراجـع

* ابن الاثـير : عز الدين أبو الحســن على بن أبى الـكرم : ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م .

١ ـــ « الكامل فى التاريخ » ١٣ جـزءا (جـ ١٠) ، بيروت ـــ دار صادر ١٩٧٩ م .

* أحمـــد أمين :

٢ ـــ « ظهـر الاســلام » ٤ أجزاء ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٢ م .

* الأصبهانى : عماد الدين الكاتب محمد بن محمد بن حــامد : ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م

٣ ـــ « خريدة القصر وجريدة العصر » ، بغداد ١٩٥٥ م .

* ابن أبى أصيبعة : موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس : ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م

٤ ـــ « عيون الانباء فى طبقات الاطباء » جزءان ، القــاهرة ١٣٠٠ هـ .

* ابن الأنبارى : أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد : ت ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م

٥ ـــ « نزهة الالباء فى طبقات الادباء » ، بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٥٩ م .

* ابن الجزرى : شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزرى : ت : ٨٣٣ هـ / ١٤٢٥ م

٦ ـــ « غاية النهــاية فى طبقات القــراء » عنى بنشره ج.

برجستراسر ، مطبعة السعادة ، مكتبة الخانجى بمصر ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م .

* ابن الجوزى : أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على : ت : ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م

٧ — « المنتظم فى تاريك الملوك والامم » ، حيدر آباد الدكن ١٩٤٦ م .

* ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر : ت : ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م

٨ — « وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان » ، ٨ أجزاء ، بيروت ١٩٦٨ م .

* خير الدين الزركلى :

٩ — « الأعـلام » ، مطبعة كوستاتسوماس ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .

* الذهبى : الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان : ت ٧٤٨ هـ / ١٣٥٢ م

١٠ — « كتاب دول الاسلام » ، جزءان ، الهيئة المصرية لاعامة للكتاب ١٩٧٤ م .

١١ — « تذكرة الحفاظ » ، حيدر آباد ، مطبعة دائرة المعارف النظاميـة .

* ابن رجب : الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن حسـن بن رجب البغدادى ثم الدمشقى الحنبلى : ت ٧٩٥ هـ / ١٣٩٤ م

١٢ — « كتاب الذيل على طبقات الحنابلة » ، مجلدان ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م .

* السبكى : أبو نصر عبد الوهاب بن تقى الدين :
ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٢ م

١٣ ـــ « طبقات الشافعية الكبرى » ، المطبعة الحسينية ١٣٢٤ هـ .

* السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر :
ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م

١٤ ـــ « كتاب طبقات المفسرين » نشر ميورسنيئج ، طهران ، ١٩٦٠ م .

١٥ ـــ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة » ، مجلدان ، المطبعة العصرية ، بيروت ١٩٦٤ م .

* الشهرستانى : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم : ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م

١٦ ـــ « الملل والنحل » ، مؤسسة الحلبى ، القاهرة ١٩٦٨ م .

* ابن طباطبا : محمد بن على بن طباطبا : ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ ـ ١٣١٠ م

١٧ ـــ « الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية » ، مطبعة الموسوعات ١٣١٧ هـ .

* الغزالى : الامام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد :
ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م

١٨ ـــ « احياء علوم الدين » ، المكتبة التجارية بمصر .

* الفارقى : أحمد بن يوسف بن على بن الأزرق : ولد ٥١٠ هـ / ١١١٦ ـ ١١١٧ م

١٩ ـــ « تاريخ الفارقى فى الدولة المروانية » ، تحقيق د.

عبد اللطيف عوض ، دار الكتــاب اللبنــانى ، بيروت ١٩٧٤ م •

* ابن القفطى : جمــال الدين على بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الوهاب : ت ٦٤٦ ﻫ / ١٢٤٨ م

٢٠ ــ « اخبار العلماء بأخبار الحكماء » ، دار الآثار ، بيروت •

* الكتبى : محمد بن شاكر بن أحمد : ت ٧٦٤ ﻫ / ١٣٦٧ م

٢١ ــ « فوات الوفيات والذيل عليها » ، ٤ مجلدات ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٣ م •

* ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا : ت ٧٧٤ ﻫ / ١٣٧٢ م

٢٢ ــ « الباعث الحثيث فى شرح اختصار علوم الحديث » ، مكتبة محمد على صبيح ، القاهرة •

* محمــد جمال الدين سرور :

٢٣ ــ « تاريخ الحضــارة الاسلامية فى الشرق » ، دار الفكر العربى ١٩٦٥ م •

* النوبختى : أبو محمد الحسن بن موسى : ت ٢٠٢ ﻫ / ٩١٤ م

٢٤ ــ « كتاب فرق الشيعة » ، استامبول ١٩٣١ م •

* ابن الوردى : زين الدين عمر : ت ٧٥٠ ﻫ / ١٣٤٩ ــ ١٣٥٠ م

٢٥ ــ « تاريخ ابن الوردى » ، جمعية المعارف ، المطبعة الوهبية ١٢٨٥ م •

* ياقوت : شهاب الدين أبو عبد الله الحموى : ت ٦٢٦ ﻫ / ١٢٣٦ م

٢٦ ــ « معجم الادباء » ، ٢٠ مجلدا ، القاهرة ١٩٣٦ ــ ١٩٣٨ م

٢٧ ــ « معجم البلدان » ، ٥ مجلدات ، بيروت ١٩٧٧ م •

إتجاه جديد نحو تفسير ظاهرة وجود الرموز الأبجدية على السكة الإسـلامية

د. / مايسة محمـود محمد داود
كلية الآثار ـ جامعة القاهرة

لفت أنظار المشتغلين بعلم النميات ظاهرة وجود بعض الرموز الأبجدية على مجموعة من السكة العباسية فالطولونية ثم الإخشيدية ، كما وجدت هذه الرموز أيضا على بعض الدنانير الفاطمية . ومن الجدير بالملاحظة أن تلك الرموز بدأت تظهر على السكة العباسية منذ خلافة المأمون ١٩٨ ـ ٢١٨ هـ مثل الرموز (د ـ ذ ـ ح ـ س ـ ع) كما ظهرت بعد ذلك على بعض دنانير مصر الطولونية مثل الرموز (ع ـ ط ـ ق ـ ر ـ ج ـ خ ـ هـ) كما أمدتنا بعض الدنانير الإخشيدية بالحروف (ح ـ خ د ـ ذ) . وقد لاحظت بعض هذه الرموز أيضا على بعض الدنانير الفاطمية بمجموعة متحف الفن الإسلامى بالقاهرة مثل الحروف (ق ـ د ـ ع ـ م ـ ر ـ جغ) وتعتبر دنانير الخليفة الحاكم بأمر الله[1] من أقدم الأمثلة عليها حيث يشاهد ظهور حروف (ع أو م) أسفل الكتابات المركزية لظهر بعض دنانيره ذات الطراز الثـانى التى تتألف من كتـابات مركـزية من أربعـة سـطور باسـم الحاكم بأمر الله أمـير المؤمنين وعبد الرحيم ولى عهـد المسـلمين يحيـط بها هامش من كتـابة دائرية تحمـل ضرب المهـدية سـنة إحدى عشر وأربعمائة (شـكل ١ لوحة ١) يفصل بينهما فراغ دائرى . بينما ظهـرت الحروف (ع ـ ق ـ ر ـ د ـ جغ) بعد ذلك أسفل الكتابات المركزية بالوجهين لبعض دنانير إبنه الخليفة

---

(١) ارقام سجل ١٦٦٧٤ ، ١٨٤٢١/٢ ، ١٨٤٢٩ .
انظر حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات عن الحضـارة العربية بافريقية التونسية ، تونس ، جـ ١ ، ص ٤٤٢ ـ ٤٤٤ .

الظاهر لاعزاز دين الله[٢] ذات الطراز الاول التى تتألف من كتابة مركزية من سطرين يحيط بها هامشان من كتابات دائرية يفصل بينهما فراغ دائرى . أو ظهور الحروف (ق — ن — د) فى مركز الوجهين لدنانيره من الطراز الثانى التى تتألف من حرف أو كلمة بالمركز يحيط بها ثلاثة هوامش من كتابات دائرية (أشكال ٢ — ٤ لوحات ٢ — ٤) .

وقد اختلف المتخصصون فى علم النميات وعلى رأسهم المستشرق روجر (Rogers) [٣]ونوتــزل (Nutzel) [٤] والاســـــــتاذ النقشـــبندى[٥] ، والدكتور عبد الرحمن فهــمى[٦] فى تفســـــير ظاهرة وجود هذه الرموز على مجموعة من السكة العباسية والطولونية والاخشـــيدية فذهب روجر الى تفسير الحرف (ت) بأنه يرمز الى الحرف الاول من كلمة (تم) وأن حرف (ر) يعنى الحرف الاول من كلمة رائج ، وحرف (ج) يعنى الحرف الاول من كلمة (جائز) أو (جيد) ، وحرف (خ) يشير الى (خير) و (ه) تعنى الحرف الاول من كلمة (هبرزى) أى الذهب الجيد ، وحرف (ع) يشير

---

(٢) ارقــام ســـجل ٤٣٥٦ ، ٤٣٥٨ ، ١٦٦٥٣/١ ، ١٦٦٥٤ ، ١٦٦٧٢/٧ ، ١٦٦٧٢/٨ ، ١٦٦٧٢/٩ ، ١٨٤٣٦ ، ١٨٤٣٧ ، ١٨٤٣٨ ، ١٨٤٣٩ .

Balog : Monnaies Islamique Rares Fatimites, et Ayoubites, Bulletin de l'Institut D'Egypte, t. 36, Fas 2 (1953 — 54) pp. 325 — 341.

(٣) Rogers : The Coins of the Tuluni Dynasty. The International Numismata Orientalia part IV, London 1877, p. 16.

(٤) Nützel H. : Katalog der Orientalischen Munzen, Berlin 1898, 1902 Nos. 1798, 1851, 1799 - 1851.

(٥) ناصر النقشبندى : الدينار الاسلامى فى المتحف العراقى ، بغداد ١٩٥٣ ، ص ٤٤ .

(٦) عبد الرحمن فهمى : موسوعة النقود العربية وعلم النميات ، فجر السكة العربية ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ١٣٧ — ١٤٠ .

الى كلمة (عدل) وحرف (ط) يشـــــير الى (طيب) و (ذ) يعنى (ذهب) .

غير أن رأى المستشرق (روجر) فيه كثير من المبالغة لا سيما وأن هذه العملات يتداولها كافة الناس من الخاصة والعامة والتجار والصيارفة، ولابد أن تكون كتاباتها واضحة ومفهومة لهم جميعا ، لاسيما وأنه قد سبق أن استخدمت كلمات صريحة وواضحة على الفلوس المبكرة وصنج السكة مثل كلمة (طيب) و (جائز) و (واف) وهى تشير جميعها إلى شرعية القطعة من حيث سلامة الوزن والعيار ، غير أن روجر ترك الباب مفتوحا أمام الباحثين للتوصل إلى تفسير لهذه الرموز .

كما ذهب الاستاذ النقشبندى فى تفسير هذه الرموز إلى أنها تعبر عن الحروف الأولى من أسماء المشرفين على العيار ودور الضرب ، واتفق معه فى هذا الرأى الدكتور عبد الرحمن فهمى معللا ذلك أن السكة كانت تضرب تحت إشراف أكثر من (متول للضرب) وذلك لتحديد مسئولية كل منهم خاصة وأن السكة الزجاجية فى عصر الانتقال كان ينقش عليها أسماء صناعها أحيانا[٧] . كما أضاف أيضا الأســـتاذ النقشبندى فى تفسيره للحروف التى ظهرت على السكة الإخشيدية أنها ربما كانت ترمز الى أسماء الولاة المحليين الذين لم يمنحوا من الخلافة العباسية حق ضرب السكة بأسمائهم ، وقد لاحظ اقتصار سكة الخليفة الراضى سنة ٣٢٢ هـ (٩٢٣ م) غالبا على الحرفين (د ، ح) اللذان كانا يظهران أسفل اسمه على سكته ضرب مصر ، كما ظهـرت أيضا الحروف (ح) أو (د) أو (ذ) على سكته ضرب السنوات ٣٢٣ هـ (٩٣٤ م) و ٣٢٨ هـ (٩٣٩ م) وقد فسرها الدكتور عبد الرحمن فهمى على أنها إما أنها تشير إلى أسماء المشرفين على دار الضرب أو أسماء الولاة المحليين الذين لم يستقلوا بحق ضرب السكة ، كما فسر الحرف (ح) على أنه ربما يكون (خ) نظرا لأن الخط الكوفى لم يكن تثبت

---

(٧) عبد الرحمن فهمى : موسوعة النقود ، ص ١٤٠ .

عليه النقط وعلى ذلك فهو يشير إلى إسم الإخشيد • غير أنه لم يتوصل إلى تفسير للحروف (د) •

وبدراسة هذه الآراء مجتمعة نلاحظ أنها قد ابتعدت عن الصواب فيما ذهبت اليه من أن هذه الرموز قد تمثل الحروف الاولى من أسماء المشرفين على العيار أو الضرب أو أسماء الصناع كما هو متبع أحيانا على السكة الزجاجية فى عصر الانتقال[٨] ، أو فيما أنها قد ترمز الى أسماء الولاة المحليين الذين لم يمنحوا من الخلافة العباسية حق ضرب السكة بأسمائهم لاسيما اذا وضعنا فى الاعتبار ما يلى : —

أولا : أن السكة التى ظهرت عليها مثل هذه الرموز تمثل شارة من شارات الخلافة ومظهر من مظاهر سلطة وسيادة الخليفة وحق شرف له دون غيره لذلك فمن غير الجائز أن يظهر على السكة الرئيسية الذهبية للدولة اسما غير اسم الخليفة لأنه صاحب الحق الشرعى الوحيد فى ضرب السكة باسمه الا اذا منح طواعية منه هذا الحق لغيره كما حدث فى عهد الخليفة هارون الرشيد[٩] ١٧٠ — ١٩٣ هـ (٧٨٧ — ٨٠٨ م) •

---

(٨) عبد الرحمن فهمى : صنج السكة فى فجر الاسلام ، القاهرة سنة ١٩٥٧ رقمى ٩٩، ١٠٠ ، ص ٩١ ، ٩٢ ، ورقم ١٤٦ ص ١١٦ وأرقام ١٤٨ — ١٥١ ص ١١٧ .

(٩) أمر الخليفة هارون الرشيد صراحة بأن يكتب اسمه واسم ابنه الامين على السكة الذهبية كما وهب نفس الحقوق لوزرائه والولاة وعمال المال وتنازل الخليفة من هذا التاريخ عن حقوقه فى مباشرة السكة ومشارفتها وقد عبر المقريزى عن ذلك بقوله (وهرون الرشيد اول خليفة ترفع عن مباشرة العيار بنفسه وكان الخلفاء من قبله يتولون النظر فى عيار الدراهم والدنانير بأنفسهم) كما تمتع بهذا الحق الولاة والعمال فى مصر وكان أول من تمتع بهذا الحق (على بن سليمان بن على العباسى) الذى تولى إمرة مصر سنة ١٦٩ — ١٧١ هـ (٧٨٦ — ٧٨٨ م) اذ يظهر اسم (على) فى نهاية حقل الدينار ثم تعددت بعد ذلك دنانير الولاة وعمال الخراج العباسيين فى مصر مثل دنانير والى مصر (موسى بن عيسى العباسى)
=

وقد لا يمنح الخليفة حق ضرب السكة لحاكم الولاية وفى هذه الحالة يتعين على الوالى ، اما أن يرضخ لذلك — كما حدث بالنسبة للسكة الطولونية والاخشيدية حتى عهد الاخشيد فى مرحلة الاستقلال وظهور الطراز الاخشيدى ٣٣١ — ٣٣٤ ه (٩٤٢ — ٩٤٥ م) وقد لا يرضخ الوالى وفى هذه الحالة يتعين عليه انتزاع هذا الحق عنوة من الخلافة العباسية والاستقلال بولايته استقلالا تاما عنها • اذن ليس هناك حلا وسطا يدعو حكام الولايات الى التخفى وكتابة الحــروف الأولى من أسمائهم على السكة الذهبية الرسمية للدولة لا سيما وأنها ستكون معرضة عند تداولها لأن يراها الخليفة من جهة ومن جهة أخرى فلم تكن هذه النصوص توضع بطريقة عشوائية بل كان يقوم بانتقائها ووضعها جهاز رسمى مسئول بالدولة هو ديوان الانشاء ، لأن هذه النصوص كانت فى العصور السالفة بمثابة وسيلة هامة من وسائل الاعلام للدولة •

ولو افترضنا جدلا بأن هذه الحروف تمثل على السكة العباسية

=

ودنانير عامل خراج مصر (عمر بن غيلان) ودنانير (داود بن يزيد بن حاتم المهلبى) الذى تولى امرة مصر سنة ١٧٤ ه (٧٩١ م) ودنانير ابراهيم بن صالح بن على العباسى و (جعفر بن يحيى البرمكى) الذى تولى المغرب كله من الأنبار الى افريقية . انظر : الكندى : كتاب الولاة والقضاة ، بيروت ١٩٠٨ ، ص ١٢٣ — ١٢٤ .

الجهشيارى : كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيــق مصطفى السقا والابيارى وشلبى ، مطبعة الحلبى ١٩٣٨ ، ص ١٩٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب ١٩٢٩ جـ ٢ ص ٤٩ ، ٦٦ ، ٧٥ ، ٨٠ .

يوسف غنيمة : سومر ، م ٩ ، جـ ١ ، ص ١٠٩ ، النقشبندى : الدينار الاسلامى ص ٣٧ ، ١٠٧ ، لوحة ٤ ، الكرملى : موسوعة النقود ، ص ٤٨ .

Lane Poole Catalague of the collection of Arabic, Coins Preserved in the Khedivial Library in Cairo, London, 1897, p. 31 No 412, p. 48, Nos 398 399, 402, 408, 411, 935, 936.

والطولونية والإخشيدية الحروف الأولى لأسماء الحكام المحليين الذين لم يمنحوا حق ضرب السكة باسمهم من الخليفة العباسى ، فكيف نفسر ظهور هذه الحروف على الدنانير الفاطمية للخليفتين الحاكم والظاهر ، وهى فترة قوة الخلافة الفاطمية التى لم يكن ينازعهم السلطة ولاة محليين منفصلين بامارتهم عن الفاطميين كما هو الحال بالنسبة للخلافة العباسية التى كانت تمر بمرحلة من الضعف والتى شهدت انفصال بعض الولاة عنهم وتكوينهم دويلات مستقلة عن نفوذ الخلافة .

ثانيا : أن ما ذهب إليه الباحثون فى علم النميات من القول بأن هذه الحروف التى ظهرت على السكة العباسية والطولونية والاخشيدية ترمز الى الحروف الاولى لأسماء المشرفين على دور الضرب لتحديد مسئوليتهم عن الوزن والعيار فهو احتمال بعيد اذ لا يمكن عن طريق هذه الحروف التعرف على أسماء المشرفين على دور الضرب خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار عدة أمور منها ، تعدد دور الضرب والقائمين عليها فى كل بلد من البلاد الإسلامية ، هذا إلى جانب أنه كثيرا ما تتشابه الأسماء بل وتتشابه أيضا الحروف الأولى لتلك الأسماء مع الأخذ فى الإعتبار أيضا أن العرب كانوا يميلون إلى التعميم(١٠) دون التخصيص فى إطلاق أسماء البلاد فكان يعمم اسم مصر فى عصر الانتقال فترات تبعية مصر للخلافة العباسية على العملات المضروبة بالمدن المصرية المختلفة كما كان يطلق إسم دمشق على الاقليم السورى كله رغم أنها مدينة بها ، ولم تظهر روح الشخصية المصرية إلا فى العصر الفاطمى بعد أن أصبحت مصر مركزا للخـلافة الفاطمية حيث اتجهوا نحـو التخصيص فبدأت تتنوع أسماء مدن الضرب المصرية .

إذن فدور الضرب سواء فى مصر أو فى دمشق أو فى العراق كثيرة ومتعددة والقائمون على أمرها كذلك كثيرون .

---

(١٠) Le Strange : The Lands of the Eastern Caliphate p. 37.

هذا بالاضافة إلى أن المشرفين على العيار والوزن والضرب لم يكونوا وحدهم المسئولين عن اخراجها الى حيز الوجود بل كان هناك أيضا القائمين على ديوان الانشاء الذين يوكل اليهم ضمن مهام وظيفتهم أمر تصميم طراز السكة لكل خليفة ، كما كانوا يختصون أيضا باعداد وانتقاء النصوص التى تنقش عليها وهى من المهام الخطيرة التى لا تقل فى أهميتها عن ضبط عيار ووزن السكة لأن هذه النصوص من الوسائل الاعلامية للدولة لاسيما وأن السكة يتداولها كافة الناس فلابد من وضع القائمين عليها موضع الرقابة والمسئولية لأنها من المهام الدقيقة والحساسة فى الدولة حتى لا تدس عبارات تسىء إلى سياستها العامة أو مذهبها لاسيما وأن الدولة الفاطمية كانت تدين بالمذهب الشيعى وتناصب الخلافة العباسية السنية العداء وكانت تحرص على تسجيل العبارات الشيعية التى يتداولها الناس كوسيلة من وسائل الاعلام لنشر المذهب الشيعى .

إذن فإلى أى من كل هؤلاء جميعا كانت تشير هذه الرموز ؟ لاسيما وقد تعددت الأيدى المشتركة والمهيمنة على إخراج هذه السكة الى حيز الوجود سواء من حيث الصناعة أو ضبط الوزن أو العيار أو وضع وانتقاء النصوص التى تنقش عليها ، هذا مع الاخذ فى الاعتبار تعدد دور الضرب علاوة على ما قد يحدث من تشابه أسماء هؤلاء المسئولين عن أمر السكة أو تشابه الحروف الاولى منها .

وفى حقيقة الامر فقد ابتعد الباحثون فى مجال علم النميات عن الحقيقة فى تفسيرهم لتلك الرموز التى ظهرت أيضا على بعض الدنانير الفاطمية ، بل لقد ترك الباحثون جانب البحث عن المدلول الحقيقى لهذه الحروف الابجدية لدى المسلمين اذ من المعروف أن نظام الترقيم بالحروف وهو ما عرف (بحساب الجمل)[11] كان مستخدما فى العصور

---

(١١) عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ، بيروت ١٩٦٩ ص ٢١ — ٢٣ ، ص ١٣٢ — ١٣٣ .

القديمة قبل التوصل الى استخدام الترقيم بالاعداد الهندية أو العشرية التى تقتصر على عشرة أعداد بما فى ذلك الصفر[١٢] . فقد استخدم المصريون القدماء نظام الترقيم بالحروف القبطية ثم أصبح ببلاد الشام ومصر بالحروف اليونانية[١٣] . ووضع العرب نظام الترقيم بالحروف العربية فكان لكل حرف من حروف الابجدية قيمة عددية تبدأ من العدد واحد وتنتهى بالعدد ألف[١٤] . أما الاعداد التى تزيد عن الألف فرمزوا لها بضم حرفين مثل ٢٠٠٠ (بغ) ، ٣٠٠٠ (جغ) ، ٢٠٠٠٠ (كغ) ... الخ وقد أخذ العرب عن الهنود منذ العصر العباسى نظـام الترقيم بالأعداد غير أن استخدام الحسـاب بالأرقام كان

---

(١٢) هذب العرب الارقام الهندية وكونوا منها مجموعتين الاولى منها عرفت بالأرقام الهندية التى استخدمت فى البلاد الاسـلامية والعربية ، والمجموعة الثانية وهى الأرقام الغبارية التى استخدمت فى بلاد المغرب والاندلس . ثم انتقلت بعد ذلك عن طريق صـقلية والاندلس بواسـطة العلاقات التجارية والرحلات والعلاقات السياسية والسفارات الى أوربا أنظـر : قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ، دار الشروق ١٩٦٣ ، ص ٤٧ — ٤٨ .

(١٣) كانت الفلوس — قبل تعريب الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان — تضرب فى مصر والشام على طراز السكة النحاسية والبرونزية البيزنطية وكانت تحمل صورة هرقل من الوجه والعلامة النقدية M التى تشير الى قيمة القطعة وتعنى فى الابجدية اليونانية العدد (٤٠) . كما كانت الاسكندرية تضرب نقودا نحاسية على الطراز البيزنطى لهرقل وولديه وعليها الحرفان I B وكانا يدلان على القيمة العددية وهى ١٢ نومية أنظـر :

ناصر النقشبندى : الدينار الاسلامى ، ص ٢٣ .

(١٤) ا — ب — ج — د — هـ — و — ز — ح — ط — ى —
١ — ٢ — ٣ — ٤ — ٥ — ٦ — ٧ — ٨ — ٩ — ١٠ —
ك — ل — م — ن — س — ع — ف — ص — ق —
٢٠ — ٣٠ — ٤٠ — ٥٠ — ٦٠ — ٧٠ — ٨٠ — ٩٠ — ١٠٠ —
ر — ش — ت — ث — خ — ذ — ض — ظ
٢٠٠ — ٣٠٠ — ٤٠٠ — ٥٠٠ — ٦٠٠ — ٧٠٠ — ٨٠٠ — ٩٠٠
— غ
١٠٠٠

قليلا ولم ينتشر استخدامه إلا منذ أواخر القرن السابع الهجرى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى[١٥] .

إذن فتلك الحروف التى ظهرت على قطع من السكة العباسية ثم الطولونية فالاخشيدية فالفاطمية سواء بالوجه أم بالظهر ما هى الا أعداد بنظام الترقيم بحساب الجمل ، ومما يؤكد ذلك أمران :

الامر الاول : أن مركز الظهر ببعض الدنانير الفاطمية التى تحمل اسم الحاكم بأمر الله[١٦] أو الظاهر لاعزاز دين الله[١٧] يلاحظ أنها لا تحمل حرفا واحدا بل حرفين إذ نقش أسفل إسم الخليفة الحرفان (جغ)[١٨] اللذان يشيران فى نظام الترقيم بحساب الجمل الى العدد ٣٠٠٠ (شكلا ٣ ، ٤ — لوحتا ٣ ، ٤) .

الامر الثانى : أن المسلمين قد استخدموا الترقيم بحساب الجمل فى حساباتهم سواء فى علم الرياضيات أو الهندسة أو الفلك وهو ما نلاحظه ممثلا فى نقوش أسطرلاباتهم الموزعة بمتاحف العالم التى يقتنى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة مجموعة كبيرة منها[١٩] .

كما يلاحظ أن هذه الأسطرلابات قد نقش على محيطها الخارجى حروفا أبجدية تشير فى مجموعها بحساب الجمل الى عدد درجات الدائرة وهى ٣٦٠ درجة مئوية وبداخل هذا التقسيم بالنصـف الايسر من

---

(١٥) عمر فروخ : المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

(١٦) مثال ذلك دينار محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة رقم سجل ١٦٦٧٤ .

(١٧) متحف الفن الاسلامى بالقاهرة أرقام سجل ٤٣٥٦ ، ١٦٦٥٤ ، ١٦٦٧٢/٧ ، ١٦٦٧٢/٨ ، ١٦٦٧٢/٩ ، ١٨٤٣٧ ، ١٨٤٣٩ .

(١٨) وهى بأرقام سجل ٤٣٥٦ ، ١٦٦٧٢/٧ ، ١٦٦٧٢/٨ .

(١٩) أرقام سجل ١٥٣٦٠ ، ١٥٣٥٦ وكرة فلكية رقم ١٥٣٦٤ .
Farrugia de Candia, Monnaies Fatimites de Musée du Bardo, Revue, Tunisienne 1936, 1942, pp. 6 — 19.

الاسطرلاب حروفا أبجدية أخرى موزعة بشكل نصف دائرة تساوى فى مجموعها بحساب الجمل العدد ١٢ وهى تشير الى عدد ساعات النهار .

ويبقى أمامنا سؤال آخر فى حاجة الى تفسير وتعليل وهو :

الى أى شىء كانت تشير هذه الحروف العددية التى ظهرت على قطع من السكة العباسية ثم الطولونية فالاخشيدية فالفاطمية ؟

وللاجابة على هذا التساؤل لا يمكننا أن نغفل ثلاث نقاط هامة : —

النقطـة الاولى :

وهى أن تاريخ ظهور هذه الحروف العددية منذ عهد الخليفـة العباسى المأمون ثم فى العصر الطولونى فالاخشيدى ثم الفاطمى لا سيما فى عهدى الخليفتين الحاكم بأمر الله والظاهر لاعزاز دين الله ليواكب بل ويتزامن تماما مع تطور علم الفلك وازدهاره فى تلك العصور بالذات وهو ما يستنتج منه أن هذه الحروف الابجدية العددية هى رموز فلكية متعلقة بالحسابات الفلكية والتنجيم فقد كان عهد الخليفـة العباسى المأمون ١٩٨ — ٢١٨ هـ (٨١٣ — ٨٣٣ م) يمثل نهضة علمية شاملة حقق فيها المسلمون نجاحا كبيرا فى مجال علم الفلك فقد عرف عن المأمون حبه وتشجيعه لحركة ترجمة العلوم المختلفة حتى أنه كان يدفع وزن ما يترجم ذهبا(٢٠) كما اهتم أيضا بالعلوم الفلكية وعلم الهيئة(٢١) وأسس ببغداد مركزا علميا أسماه بيت الحكمة وعين محمد بن موسى

---

(٢٠) عبد الحليم منتصر : إحيـاء التراث العلمى العربى ، مجلة الجمعية المصرية لدراسة التاريخ ، العدد الخامس ، ص ٢٩ — ٤٥ .

(٢١) علم الهيئة : هو العلم الذى يهتم بدراسة حركات الكواكب والنجوم بالطرق الهندسية انظر :

ابن خلدون : المقدمة من كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ، القاهرة ١٣٢٧ هـ ، ص ١٠٥ .

، انظر عمر فروخ : المرجع السابق ، ص ٤٠ .

الخوارزمى الذى اشتهر ونبغ فى الرياضيات وعلم الفلك رئيسا له ، كما شيد المأمون مرصدا ألحقه ببيت الحكمة فى بغداد وكان يشرف عليه سند بن على المنجم المأمونى الاسطرلابى(٣٢) .

وقد بدأت نهضة العلوم الفلكية منذ تأسيس مرصد بغداد الذى ضم حشدا كبيرا من علماء الفلك الذين اهتموا برصد الظواهر الفلكية المختلفة . كما شيد المأمون العديد من المراصد بتدمر وبالشماسية وباب الطاق ببغداد وجبل مشيون بدمشق ، وبالرقة وزودها بالاجهزة العلمية وأمدها بنخبة من علماء الفلك وعلى رأسهم عيسى الأسطرلابى الذى ألف للمأمون العديد من كتب الفلك منها (الزيج المأمونى)(٣٣) . واستعان عيسى الاسطرلابى بابن خلف المروزى فى صناعة الأسطرلاب(٣٤) وبعالم الرياضيات محمد بن موسى الخوارزمى(٣٥) الذى أسهم فى تطور علم الفلك لعلاقة الرياضة بعلم الفلك ونجح فى قياس محيط الارض وقام بعمل جداول فلكية . ويعتبر أحمد بن عبد الله حبشى المروزى الحاسب(٣٦) الذى عاش فى كنف الخليفة المأمون أول من أدخل طريقة تعيين الوقت أثناء النهار(٣٧) .

---

(٣٢) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، القاهرة ١٣٢٦ هـ ، ص ٢٠٦ .

(٣٣) امام ابراهيم احمد : تاريخ الفلك عند العرب ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٣٤) ابن النديم : الفهرست ، ليبزج ١٨٧١ ، ص ٢٧٥ — ٣٩٦ .

(٣٥) ابن النديم : نفس المصدر ، ص ٣٨٣ .

(٣٦) ابن القفطى : نفس المصدر ، ص ٢١٩ .

(٣٧) يتم تعيين الوقت أثناء النهار برصد ارتفاع الشمس عن الأفق اذ من المعروف أن الشمس عند شروقها تكون عند الأفق وفى هذه الحالة يكون ارتفاعها صفر . ثم يأخذ هذا الارتفاع فى الازدياد حتى يأخذ اقصى مداه عند الظهر ثم يبدأ فى النقصان تدريجيا حتى تختفى الشمس عند الغروب ويتم تعيين ساعات النهار وتحديد أوقات الصلاة بمعرفة الفترة التى انقضت على شروق الشمس وذلك بتعيين بعدها عن الأفق .

كما استخدم المنجمون فى العصر الطولونى الاسطرلاب فى أعمال التنجيم[٢٨] واستمر الاهتمام بعلم الفلك فى العصر الاخشيدى أيضا .

كما أولى الفاطميــون عناية فائقة لعلم الفــلك وكانوا رعاة له حتى ينافسوا مركز الخلافة العباسية .

ويذكر لنا ابن خلكان[٢٩] أن ابن يونس الفلكى المشهور قد عاش فى كنف الخليفتين العزيز والحاكم وقد ألف فى كنف الحاكم كتــابه المشهور « بالزيج الحاكمى »[٣٠] نسبة للخليفة اعترافا بفضله وتشجيعه ورعايته له ، وقد أوضح فى مؤلفه حركات الكواكب والنجوم وأبعادها ورصد بعد الشمس عن الأرض ، بآلاته الفلكية ومنها الأسطرلاب الذى استخدم فى تحديد أوقات الصلاة وفى تحديد زاوية اتجاه أى بلد من الكعبة (القبلة) طبقا لموقعها الجغرافى . وقد عرف عن الخليفة الحاكم اهتمامه الشديد بالتنجيم وعلم الفلك ورعايته للعلماء والمنجمين ، وقد بنى الحاكم مرصدا بالمقطم[٣١] وزوده بالعدد والآلات الفلكية وألحق به ابن يونس الذى نجح فى تسجيل كسوف الشمس وخسوف القمر

=

وتختلف اوقات الصلاة من يوم الى آخر حسب موقع البلد مما يتطلب معه معرفة خطى عرض هذا البلد وحركة الشمس فى البروج . انظر ابن النديم : نفس المصدر ص ١١٦ .

(٢٨) نلينو : علم الفلك ، تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى ، روما ١٩١١ ، ص ٢٣٠ .

(٢٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان ، القاهرة ١٢٩٩ هـ ، جـ ٣ ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٣٠) ابن يونس : الزيج الكبير الحاكمى : ترجمة كوسان ، ص ٦١

(٣١) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، بولاق ١٣٠٩ هـ ، جـ ٤ ، ص ٥٨ .

المقريزى : اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٣١٤ .

واستعان بالتقاويم الفارسية والرومية والقبطية لتلافى أى خطأ ينتج عن استخدام التقويم القمرى الاسلامى وقد سجل ابن يونس خسوف قمرى فى شوال سنة ٣٧٠ هـ ، كما سجل تقابل للزهرة وعطارد فى الجوزاء فى الغرب وكان بينهما مقدار أربع درجات وذلك بعد مغرب اليوم الاحد وصباح الاثنين الموافق ١٣ جمادى الآخرة سنة ٣٩٠ هـ •

وقد اهتم المستشرق الهولندى جوليوس فى القرن ١٧ الميلادى بهذه الدراسات فى أبحاثه عن حركة القمر •

وفى سنة ٥٠٤ — ٥٢٥ هـ (١١١٠ — ١١٣٠ م) فى خلافة الآمر بأحكام الله الفاطمى شيد مرصد تحت اشراف كل من الوزير الافضل شاهنشاه بن بدر الجمالى والوزير عبد الله المأمون البطائحى[٣٢] حيث عمل فى هذا المرصد الكثير من الفلكيين مثل القاضى ابن أبى العيش والخطيب أبو الحسن • وقد بذل الفلكيون قصارى جهدهم لتحقيق مكاسب علمية ليحوزوا رضاء رعاة العلم الفاطميين الذين أولوا عناية فائقة للعلوم والفنون وكانوا رعاة لها

النقطــة الثانيــة :

أنه مما يزكى أن هذه الحروف الواردة على السكة عبارة عن رموز فلكية أن بعض الدنانير وأجزائها من مجموعة الخليفة الحاكم بأمر الله بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة الذى عرف باهتماماته الفلكية قد أمدتنا بأقدم الأمثلة لهذه الرموز[٣٣] فى العصر الفاطمى ، مثال ذلك دينار يحمل أسفل كتابات المركز الحرف (ع) الذى يساوى بحساب الجمل العدد (٧٠) (شكل ١ لوحة ١) ، كما أمدتنا أيضا بشكل نجمى سداسى

---

(٣٢) المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، بولاق ١٢٧٠ هـ ، جـ ١ ، ص ١٢٥ .

(٣٣) دنانير محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة بأرقام سجل ١٦٦٧٤ ، ١٨٤٢١/٢ ، ١٨٤٢٩ (هذه المجموعة تنشر لاول مرة) .

ربما قصد من تسجيله على أرباع[٣٤] دنانير هذا الخليفـــة بالذات الاشارة الى الانجازات الفلكية الهامة فى عهده التى عبر عنها القائمون بديوان الانشاء بتوجيهات من الدولة بهذا الشكل النجمى لاسيما وأن أرباع الدنانير كانت من العملات التذكارية التى تضرب فى المناسبات الهامة والاعياد[٣٥] ، كما يلاحظ أن هذا الشكل النجمى الذى ظهر لاول مرة فى تاريخ السكة الاسلامية يتوسط ستة ســطور من كتابة كوفية[٣٦] نظمت على هيئة ستة أوتار متقاطعة تحمل اسم الامـــام المنصور أبى على الحاكم أمير المؤمنين توحى لنا بحركة الكواكب والنجوم التى ألف عنها ابن يونس الفلكى كتابه الذى نسبه للخليفة الحاكم وأسماه (الزيج الحاكمى) والتى أقام الخليفة الحاكم مرصدا بالمقطم لرصد حركاتها .

ومن الجدير بالملاحظة أن هذا الشكل النجمى الناتج من تقاطع الستة أوتار قد انفردت به أرباع دنانير الخليفة الحاكم من الطراز الثالث (شكل ٥ لوحة ٥) ، كما قلد هذا الشكل بعد ذلك فى بعض أرباع دنانير[٣٧] الخليفة المستنصر بالله ٤٢٧ — ٤٨٧ هـ (١٠٣٥ —

---

(٣٤) ارباع دنانير محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة بأرقام سجل ١٦٧١٥/١ ، ١٦٧١٥/١٦ ، ١٨٤٣٠ ، ٢٣٠١٦ (هذه المجموعة تنشر لأول مرة) .

(٣٥) المقريزى : الخطط ، طبعة النيل ، جـ ٢ ، ص ٣٨٥ — ٣٩٢ .

(٣٦) وهى تقرأ بالوجه أو بالظهر (١ — الامام ٢ — المنصور) يقطعهما فى سطرين (٣ — أبو على — ٤ الحاكم) يقطعهما فى سطرين آخرين (٥ — امير ٦ — المؤمنين) يحيط بها هامش دائرى من كتابة كوفية تتضمن مكان وتاريخ الضرب او عبارات الرسالة المحمدية .

(٣٧) مثال ذلك ربع دينار محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة برقم سجل ١٨٢٣١ يقـرأ بالوجه وبالظهر ايضا (١ — الامام ٢ — معد) يقطعهما فى سطرين عبارة (٣ — أبو تميم ٤ — المستنصر) يقطعهما فى سطرين آخرين (٥ — امير — ٦ — المؤمنين) يحيط بالكتابات هامش دائرى من كتابة كوفية تتضمن على احد وجهيه مكان وتاريخ الضرب وعلى الوجه الآخر عبارات الرسـالة المحمدية .

١٠٩٤ م) من الطراز الخامس التى تحمل الشهادتين بالوجه وبالظهر اسم الامام معد أبى تميم المستنصر بالله أمير المؤمنين (شكل ٦ لوحة ٦) .

النقطة الثالثة :

أن الاسطرلاب فى العصور الاسلامية كان من الآلات الفلكية الهامة ذات الفوائد والاستخدامات المتنوعة الدينية والمدنية وتأتى على رأسها الأهداف الدينية ، كرصد إرتفاع الشمس عن الأفق لتحديد أوقات الصلاة ورصد هلال شهر رمضان وما يتعلق به من فريضة الصوم ، ورصد الكسوف والخسوف لأداء الصلاة الخاصة بهما ، كما استخدم الاسطرلاب فى تحديد زاوية اتجاه المسلمين فى أى بقعة من العالم للكعبة نظرا لان درجة الزاوية تختلف من بلد الى آخر حسب موقعها الجغرافى من الكعبة فى مكة[٣٨] .

ولم يقتصر استخدام الاسطرلاب على المسائل الدينية فقط بل استخدم أيضا فى رصد بعد الشمس عن الارض ، وتوصل العلماء فيها الى نتائج قريبة من النتائج التى توصل اليها الفلكيون فى عصرنا الحديث ، كما رصدوا به الاعتدالين (الربيع والخريف) عندما تكون الشمس عمودية على خط الاستواء[٣٩] . كما استخدم الاسطرلاب أيضا فى التنجيم[٤٠] لمعرفة الطالع برصد حركات الكواكب والنجوم[٤١] فى

---

(٣٨) ألف الكندى رسالة فى استخراج خط نصف النهار وسمت القبلة ، والف ابو حنيفة الدينورى (ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) كتاب القبلة والزوال ، كما كتب احمد بن عبد الله حبشى الحاسب فى الرصد وآلات الفلك وعمل الأسطرلاب . انظر نلينو : علم الفلك ص ٢٣٠ .

(٣٩) طوقان : المرجع السابق ص ١٠٩ — ١٤٠ .

(٤٠) اعتقد بعض علماء العرب فى التنجيم وحاربه البعض الآخر . انظر ، طوقان : نفس المرجع ص ١٢٧ — ١٢٩ .

(٤١) سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية ص ٢٤٩ ، ٢٥٨ .

بروجها وهو ما يلاحظ بالنقوش الموجودة على الاسطرلابات[٤٢] فى العصور الاسلامية مثل بروج الاسد والثور والجدى .. الخ اذ كان التقاء كوكب الزهرة مع المشترى عند درجة محددة فى أوقات معينة يرمز الى الفأل الحسن لدى الشرقيين ، وقد عرف عن كثير من حكام المسلمين أنهم كانوا يستعينون بالمنجمين فى أحوالهم الادارية والسياسية والاجتماعية لرؤية طالعهم برصد حركات النجوم والكواكب قبل الاقدام على بعض المهام مثل الخروج للحرب أو تأسيس مدينة[٤٣] أو عند الزواج ، حتى لقد بلغ من ولع المسلمين بعلم الفلك أن البعض منهم كان يصور فى بيته هيئة السماء[٤٤] .

ومن الجدير بالذكر أن درجات قياس الزوايا والابعاد والارتفاعات فى هــذه الارصاد الفلكية جميعها كانت تسجل بالحروف الابجدية بحساب الجمل ، اذن فهذه الرموز الفلكية التى ظهرت على الســكة الاسلامية ما هى الا أعدادا تمثل تلك الزوايا والابعاد والارتفاعات التى سجل بها المسلمون تقدما ونجاحا فى مجال علم الفلك لأحد الحكام رأى القائمون على ديوان الانشاء تسجيله كانجاز تم فى عهده ، وهو ما يمكن التحقق منه واثباته بالنسبة للظواهر الثابتة مثل تحديد زاوية

---

(٤٢) منها مجموعة من الاسطرلابات محفــوظة بالمتحف الاسلامى بالقاهرة بأرقام سجل ١٥٣٦٠ ، ١٥٢٥٦ ، ١٥٢٦٤ .

(٤٣) المقريزى : الخطط ، طبعة النيل ، جـ ٢ ، ص ١٧٩ ، كريسويل : قصة تأسيس مدينة القاهرة ، كتاب القاهرة ، تاريخها فنونها آثارها ، القاهرة ١٩٧٠ ص ٢٩ .

(٤٤) المقرى : نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب ، جـ ٢ ص ٢٣١ . امدتنا بعض العمائر الاســلامية بصور للبروج الســماوية مثــل بعض رسوم الفرسكو بقصير عمرة بالأردن . انظر :

حســن الباشا : التصوير الاســلامى فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٥٦ — ٥٧ .

Creswell (A. C.) : Early Muslim Architecture, Oxford 1952, Vol I, pp. 288 - 295.

اتجاه أى بلد اسلامى للكعبة اذا ما قمنا بمقارنة قيمة الدرجة التى يشير اليها الرمز الفلكى بدرجة اتجاه البلد الذى ضربت فيه السكة بالنسبة للكعبة وهو ما قمت بتطبيقه على بعض القطع بمجموعة متحف الفن الاسلامى بالقاهرة منها درهم ضرب مصر فى عهد الخليفة العباسى المأمون سنة ٢١٢ هـ[٤٥] وكذلك ربعى دينارين الاول منهما باسم الخليفة الحاكم بأمر الله ضرب بمدينة المهدية بتونس سنة ٤١١ هـ[٤٦] (لوحة ١) والثانى باسم الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله ضرب مصر سنة ٤١٧ هـ[٤٧] (لوحة ٢) • وقد لاحظت أن الثلاث قطع تتضمن فى نهاية كتاباتها المركزية بالظهر ، الرمز الفلكى (ع) وهو يساوى بحساب الجمل العـــدد (٧٠) •

وقد قمت للتحقق من أن هذا الرقم يتعلق بزاوية اتجاه كل من مصر والمهدية بالنسبة للكعبة بقياس زاوية مصر أولا من واقع خريطة الشريف الادريسى (شكل ٧) التى ترجع الى سنة ٥٤٦ هـ (١١٥٤ م) لانها تمثل لنا المفاهيم القديمة والفكر الجغرافى السائد لدى المسلمين[٤٨] فى العصور الوسطى ، وهو ما يمكن أن نخرج منه بنتائج قريبة من تصوراتهم عن مواقع البلاد فى تلك العصور وهو ما يختلف بالطبع عن تصوراتنا الجغرافية الحديثة لها وقد وجدت أن زاوية اتجاه مصر

---

(٤٥) درهم محفوظ بمتحف الفن الاســـلامى بالقـــاهرة برقم سجل ٢٢٠٠٠/١ انظر : عبد الرحمن فهمى : موسوعة النقـــود ، لوحة ٧٠ رقم ١٩٩٩ .

(٤٦) ربع دينار محفوظ بالمتحف الاســـلامى بالقـــاهرة برقم سجل ١٦٦٧٦/٥ •

(٤٧) ربع دينار محفوظ بمتحف الفن الاســـلامى بالقاهرة برقم سجل ١٨٤٣١/١ •

(٤٨) يعتبر أبو على المراكشى المتـــوفى ٦٦٠ هـ (١٢٦٢) أول من استعمل خطوط الطول الدالة على الساعات المتساوية على الخريطة التى لم تكن معروفة من قبل ولم يعرفها الاغريق .

انظر فروخ : المرجع السابق ، ص ١٧٣ •

بالنسبة للكعبة هو ٧٠° وذلك عن طريق مد خط يصل بين مصر ومكة على خريطة الادريسى[٤٩] بحيث يتقاطع مع الخط الذى يشير الى الشمال مؤلفا زاوية مقدارها ٧٠° مبتدئة عملية القياس من الشمال وعكس عقارب الساعة من واقع تلك الخريطة للادريسى أى من جهة الجنوب بالنسبة لخريطة العالم فى عصرنا الحديث لأن خريطة الادريسى تظهر فى وضع مقلوب بحيث تظهر جهة الشمال جنوبا وجهة الجنوب شمالا طبقا لرؤيته للبلاد من موقعه فى صقلية حيث قام برسمها لروجر الثانى . كما يتضح بالقياس أن زاوية اتجاه المهـدية (تونس) للقبلة ٧٨° .

ولما كان المسلمون فى العصور الوسطى يعتبرون أن اتجاه المسلمين بالنسبة للكعبة فى كل من مصر وبلاد شمال افريقيا واحد لذلك نلاحظ ظهور الحرف (ع) الذى يشير الى العدد ٧٠ على ربع دينار باسم الخليفة الحاكم ضرب مدينة المهدية مما يستنبط منه أن زاوية اتجاه المسلمين فى مصر ومدينة المهدية بالنسبة للكعبة واحد وهى من الامور التى يوضحها لنا المؤرخ المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) فى خططه[٥٠] عندما أشار الى موضوع اختلاف المحاريب بديار مصر وتعيين الصواب فيها مشيرا الى أن مصر وبرقة وافريقية وصقلية والأندلس رغم تباعد بعضها عن بعض فكلها تقابل الكعبة على سمت واحد دون اختلاف البته معللا ذلك بأن الكعبة تتوسط مركز الكرة الارضية لذلك فهى بمثابة كرة داخل دائرة وأن الدائرة تتسع عند المحيط وتضيق

---

(٤٩) يحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بخريطـــة كبيرة تبلغ مساحتها ٢٣٠ سم × ١١٠ سم مأخوذة عن الشريف الادريسى ، كما يحتوى اطلس الادريسى فى كتابه (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) الذى قام بتأليفه فى كنف حاكم صقلية النورماندى روجر الثانى على تسع وتسعين خريطة ، وهو محفوظ بدار الكتب الوطنية فى باريس تحت رقم (٢٢٢١ عربى) .

(٥٠) المقريزى : الخطط ، النيل ، ج ٤ ، ص ٢١ — ٣٤ .

كلما اقتربنا من المركز . ومن هنا فأى انحراف شرقا أو غربا يؤثر بالنسبة للبلاد القريبة من الكعبة وعلى العكس من ذلك لا يؤثر بالنسبة للبلاد البعيدة عن الكعبة لان الدائرة تتسع عند المحيط وهذا الكلام ينسحب على تشابه زاوية الاتجاه للكعبة قديماً بالنسبة لمصر ومدينة المهدية بتونس .

ولما كانت السكة الاسلامية التى أمدتنا بأمثلة لتلك الرموز الفلكية تعتبر شارة من شارات الخلافة تمثل سلطة الحاكم كما تعتبر وسيلة هامة من وسائل الاعلام فى ذلك الوقت لأنها منتشرة ومتداولة بين كافة الناس ، لذلك حرصت الدولة والمختصون بوضع نصوصها بديوان الانشاء ، على تسجيل هذه الرموز الفلكية التى تعلن للناس زاوية اتجاه البلد بالنسبة للكعبة وهى من الامور التى شغلت أذهان المسلمين أو تشير الى بعد ، ما ، أو ارتفاع معين رصد عنده الفلكيون المسلمون ظاهرة فلكية هامة مشهورة أو حققوا عنده تقدما فى دراسة الكواكب والأجرام السماوية فى ميدان علم الفلك أو رصد عنده الفلكيون كوكبا تنبوءا على أثره بطالع سعيد تحققت به انتصارات عسكرية أو مناسبات اجتماعية هامة فى عهد أحد الخلفاء على اعتبار أن المسكوكات بمثابة الجهاز الاعلامى للدولة نظرا لتداولها بين كافة الناس .

ومن الجدير بالملاحظة اختفاء ظاهرة نقش الحروف الابجدية على السكة الاسلامية منذ أواخر العصر الفاطمى ، وربما يعزى ذلك الى تعرض منطقة الشرق الادنى لأخطار الحروب الصليبية ثم المغولية التى احتلت مكان الصدارة وشغلت أذهان الحكام والمؤرخين وعامة الشعب عما سواها من الأحداث وبدأت الألقاب الدالة على دور حكام المسلمين فى مواجهة الأخطار الصليبية والمغولية تحتل مكان الصدارة فى نقوش السكة والعمائر الاسلامية مثل لقب (صلاح الدنيا والدين) ، أو (قامع عبدة الصلبان) الذى يشير الى حروب صلاح الدين ضد الصليبيين وهزيمته لهم فى حطين ودخوله بيت المقدس ، أو (ناصر الدنيا والدين قاهرة الكفرة والمشركين ، محيى العدل فى العالمين) وهى من الألقاب

التى شاعت فى عصرى الأيوبيين والمماليك[٥١] . أو ظهور الرنوك المصورة[٥٢] الدالة على قوة وشجاعة سلاطين الايوبيين والمماليك مثل رنك النسر الذى اتخذه صلاح الدين الايوبى شارة له ، ورنك الببر الذى اتخذه السلطان بيبرس البندقدارى شارة له للدلالة على الدور البطولى الذى قام به فى صد الخطر الصليبى والمغولى عن منطقة الشرق الادنى .

نستخلص مما سبق أن الحروف الأبجدية التى ظهرت على مجموعة من النقود العباسية والاخشيدية والفاطمية هى أرقام كتبت بالحروف (بحساب الجمل) الذى كان شائعا فى العصور الوسطى ، وهى تشير الى رموز فلكية تتعلق بقيمة عددية لزوايا وأبعاد وارتفاعات قاسها الفلكيون مثل اتجاه المسلمين للكعبة أو أبعاد حقق عندها المسلمون انتصارات علمية فى عهد أحد الحكام لرصد بعد الشمس أو القمر عن الأرض أو مقدار ارتفاع كوكب وافق ظهوره تأسيس مدينة أو انتصار فى معركة أو حادث أو فأل حسن مما جعل القائمون على ديوان الانشاء يسجلونها على النقود لنشرها نظرا لأن النقود يتداولها كافة الناس فهى بمثابة الجهاز الاعلامى للدولة . هذا ما تمكنت من الوصول اليه علنى أكون به قد وفقت أن أضع علامة على طريق دراسة المسكوكات الاسلامية فالعلم دائما نهر لا ينضب .

---

(٥١) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٤٢٦ ، ٥٢٨ .

(٥٢) وجد رنك النسر ممثلا على قلعة صلاح الدين الايوبى بالقاهرة ، كما وجد رنك الببر على قناطر أبى المنجا التى شيدت للسلطان الظاهر بيبرس البندقدارى وعلى مشكاة زجاجية خاصة به محفوظة ضمن مجموعة متحف اللوفر بباريس ، وقد اتخذ بيبرس البندقدارى الببر شارة له للدلالة على قوته وشجاعته ، كما يذكر بأن رنك الببر جاء مطابقا لاسمه لان المقطع الاول منه وهو (ببر) يعنى بالفارسية فهد . انظر :

مايسة محمود داود : الرنوك الاسلامية ، مجلة الدارة ، العدد الثالث ، السنة السابعة ، ١٩٨٢ ، ص ٢٦ — ٤١ .

المصـــادر والمراجــع العربيــــة

١ ــ قرآن كريم : سورة الفتح آية ٢٨ ، سورة الصف آية ٩

٢ ــ إبن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكى) ت ٨٧٤ هـ :
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ١٢ جزءا ، دار الكتب ١٩٢٩ ــ ١٩٥٦ .

٣ ــ إبن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ :
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، الجــزء الاول ، (المقدمة) ، القاهرة ١٣٢٧ هـ .

٤ ــ إبن خلــكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم) ت ٦٨١ هـ :
وفيات الاعيــان وأنباء أبناء الزمان ، جزءان ، القاهرة ١٢٩٩ هـ .

٥ ــ إبن دقمــاق (إبراهيم بن محمد المصرى ت ٨٠٩ هـ) :
الانتصار لواسطة عقد الامصار ، جـ ٤ ، جـ ٥ ، نشر فولرز ، بولاق ١٣٠٩ هـ .

٦ ــ إبن النــديم ت ٣٨٣ هـ :
الفهرســت ، ليبزج ١٨٧١ م .

٧ ــ إبن يونس : الزيج الكبير الحاكمى ، ترجمة كوســـــان . (بدون تاريخ) .

٨ ــ إمام إبراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ، القاهرة .

٩ ــ الجهشــيارى : كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق مصــطفى السقا والإبيارى وشلبى ، مطبعة الحلبى ١٩٣٨

١٠ ــ حامد العجابى : جامع المسكوكات العربية بافريقية ، تونس ١٩٨٠ .

١١ ــ حسن الباشا (دكتور) : أ ــ الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٥٧ م .

١٢ ــ ب ــ التصوير الاسلامى فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٥٩ .

١٣ ــ حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ، ٣ أجزاء ، الطبعة الثانية ، تونس (بدون تاريخ) .

١٤ ــ زامبــاور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى ، ترجمة د. زكى حسن ، د. محمود أحمد وآخرون ، جزءان ، القاهرة ١٩٥١ .

١٥ ــ سعاد ماهر محمد (دكتورة) : البحرية فى مصر الاسلامية وآثارها الباقية ، جدة ١٩٧٩ م .

١٦ ــ عبد الحليم منتصر : إحياء التراث العلمى العربى ، مجــلة الجمعيــة المصرية لدراسة التاريخ ، العــدد الخامس .

١٧ ــ عبد الرحمن فهمى (دكتور) : أ ــ صنج السكة فى فجــر الاسلام ، القاهرة ١٩٥٧ .

١٨ ــ ب ــ موسوعة النقود العربية وعلم النميات ، فجر السكة العربية ، القاهرة ١٩٦٥ .

١٩ ــ عبد المنعم ماجد (دكتور) : النقود الفاطمية ، مجلة كلية الآداب جامعة عين شمس ، مايو ١٩٥٣ .

٢٠ ــ على باشا مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ، جزء ٢ بولاق ١٣٠٦ هـ .

٢١ ــ عمــر فــروخ : تاريخ العلوم عند العرب ، بيروت ١٩٦٩ •

٢٢ ــ قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضــيات والفلك ، دار الشروق ١٩٦٣ م •

٢٣ ــ القفطى (جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف) : أخبــار العلماء بأخبار الحكماء ، القاهرة ١٣٢٦ هـ •

٢٤ ــ الكرملى (أنستاس مارى) : النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة ١٩٣٩ •

٢٥ ــ الكنــدى (أبو عمر محمد بن يوسف ت ٣٥٠ هـ) : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، بيروت ١٩٠٨ م •

٢٦ ــ مايسة محمود داود : الرنوك الاســلامية ، مجلة الدارة ، العدد الثالث ، السنة السابعة ١٩٨٢ م •

٢٧ ــ المقــرى (أحمد بن محمد) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق محيى الدين عبد الحميــد ، ٨ أجزاء ، القاهرة ١٩٤٩ م •

٢٨ ــ المقريزى (تقى الدين أحمــد بن على ت ٨٤٥) :
أ ــ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الخلفاء الفاطميين ، تحقيــق د• جمــال الدين الشــيال ، القاهرة ١٩٤٨ م •

٢٩ ــ ب ــ اتعاظ الحنفا بأخبــار الأئمة الفاطميين جزءان بولاق ١٢٧٠ هـ ، ٤ أجزاء طبعة النيل ١٣٢٦ هـ •

٣٠ ــ ناصر النقشبندى : الدينار الاســلامى فى المتحف العراقى ، بغــداد ١٩٥٣ م •

٣١ ــ نلينــــو : علم الفلك ، تاريخه عنــد العرب فى القرون الوسطى ، روما ١٩١١ •

المراجـــع الاجنبيـــة

— Balog, Paul : Monnaies Islamiques Rares Fatimites et Ayoubites, Bulletin de l'Institut D'Egypte, t. 36, Fas-c 2, 1953 — 54 Egypte.

— Creswell, A. C. : Early Muslim Architecture Oɔcford 1952.

— Farrugia de Candia, Monnaies Fatimites de Musèe du Bardo Revue Tunisienne 1936, 1942.

— Lane Poole (Stanley ' : Catalogue of the Collection of Arabic Coins Preserved in the Khedivial Library at Cairo, London 1897.

— Le Strange : The Lands of the Eastern Caliphate, London 1890.

— Mayer : A Fatimid Coin die - the quarterly of the Department Antiquites in Palestine 1951.

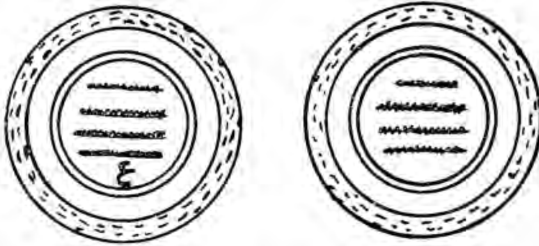
— Miles, G. C. : Fatimid Coins in the Callection of the University Museum Philadelphie and the American Numimatit Society.

— Nicol, Nabarawy, Bacharach : Catalog of the Islamic Coins, glass Weig Dies and Medals in the Egyptian Nation Library, Cairo, U.S.A. 1982.

— Nützel (Heinrich) : Katalog der Orientalischen Munzen Berlin 1898, 1902.

— Rogers (E. T.) The Coins of the Tuluni Dynasty the International Numismata Orintalia Part IV London 1877.

— Worth, W. : Catalogue of the Imperial Byzantine Coins in the British Museum, 2 Vols. London 1908.



شـكل (١) لوحة (١) : (غير منشور)

دينار محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة برقم سـجل ١٦٦٧٦/٥ وهو باسم الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ، ضرب مدينة المهدية سنة ٤١١ هـ ، يبلغ قطره (٢٢٫٨ مليمتر) ووزنه (٤٫١٨٠ جرام) ، عليه كتابات بالخط الكوفى المورق والمزهر تقرأ :

وجـه

مركز :

١ — لا إله إلا الله

٢ — وحده لا شريك له

٣ — محمد رسول الله

٤ — على ولى الله

هامش خارجى :

(م) حمد رسول ••• ليظهر (ه) علـى الدين كله ولو كـره المشركو (ن) •

ظهر

مركز :

١ — عبد الله ووليه

٢ — الامام الحاكم بأمر الله أمـير

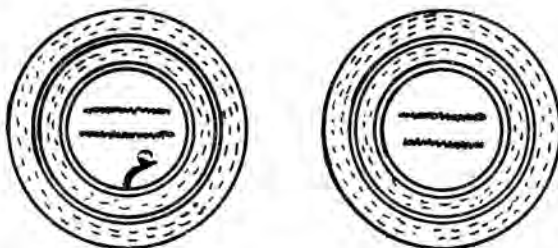
٣ — المؤمنين وعبد الرحيم

٤ — ولى عهد المسلمين

٥ — ع

هامش خارجى :

•••••• مقصـوص وممحـو بالمهدية سنة إ (حـ)دى عشـر وأربعمائة •



شكل (٢) لوحة (٢) : (غير منشور)

دينار محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة برقم سجل ١٨٤٣١/١ وهو باسم الخليفة الفاطمى الظاهر لاعزاز دين الله ، ضرب مصر سنة ٤١٧ هـ ، يبلغ قطره (٢٣ مليمتر) ووزنه (٤٫٢٠٥ جرام) ، عليه كتابات بالخط الكوفى المورق والمزهر تقرأ :

وجـه

مركز :

١ ــ محمد رسول الله

٢ ــ على ولى الله

هامش داخلى :

لا اله الا الله وحده لا شريك له

هامش خارجى :

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

ظهر

مركز :

١ ــ الظاهر لاعزاز دين

٢ ــ الله أمير المؤمنين

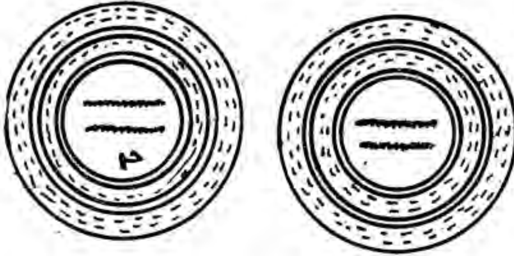
٣ ــ ع

هامش داخلى :

الامام عبد الله ووليه على أبو الحسن

هامش خارجى :

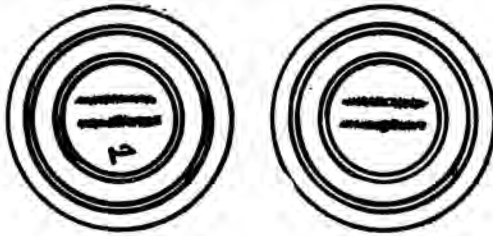
بسم الله ضرب هـذا الدينر بمصر سنة سبع عشر وأربعمائة



شــكل (٣) لوحة (٣) : (غير منشور)

دينار محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة برقم ســـجل ١٦٦٧٢/٧ وهو باسم الخليفة الفاطمى الظاهر لاعزاز دين الله ، ضرب مدينة المهدية سنة ٤١٠ هـ ، يبلغ قطره (٢٣ مليمتر) ووزنه (٤ر٢٠٠ جرام) ، عليه كتابات بالخط الكوفى المورق والمزهر تقرأ :

وجــه	ظهر
مركز :	**مركز :**
١ — محمد رسول الله	١ — الظاهر لاعزاز دين
٢ — على ولى الله	٢ — الله أمير المؤمنين
	٣ — جغ
هامش داخلى :	**هامش داخلى :**
لا اله الا الله وحده لا شريك له	الامام عبد الله ووليه على أبو الحسن .
هامش خارجى :	**هامش خارجى :**
محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .	بسم الله ضرب هــذا الدينر بالمهدية سنة .. عشر وأربعمائة



شـــكل (٤) لوحة (٤) : (غير منشور)

دينار محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة برقم ســـجل ١٦٦٧٢/٨ وهو باسم الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله ، ضرب مدينة المهدية سنة ٤٢٧ هـ ، يبلغ قطره (٥ر٢٢ مليمتر) ووزنه (١٨٠ر٤ جرام) ، عليه كتابات بالخط الكوفى المورق والمزهر تقرأ :

وجـــه

مركز :

١ — محمد رسول الله

٢ — على ولى الله

٣ — جغ

هامش داخلى :

لا اله الا الله وحده لا شريك له

هامش خارجى :

محمد رسول •• ممحــو ••• (بالـ)ـهدى ودين الحق ليظهره على ••••••• المشركون •

ظهر

مركز :

١ — الظاهر لاعزاز دين

٢ — الله أمير المؤمنين

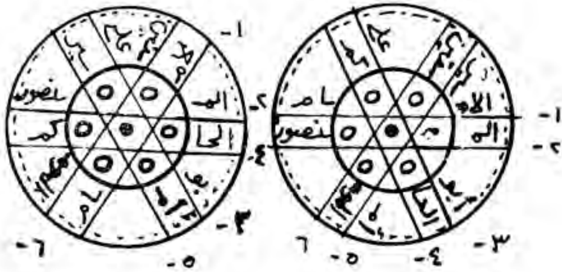
٣ — جغ

هامش داخلى :

الامام عبد الله ووليه على أبو الحسن •

هامش خارجى :

•••••••• هـــذا الدينـــر بالمه(دية) •••••••••••• سبع وعشرون وأربعمائة



شـــكل (٥) لوحة (٥) : (غير منشور)

ربع دينار محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة برقم سجل ١٦٧١٥/١ وهو باسم الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ، ذو كتابات منظومة فى أوتار متقاطعة بحيث تؤلف شكل نجمة بالمركز ربما ترمز الى إزدهار علم الفلك فى خلافته ، يبلغ قطره (١٥ ملليمتر) ووزنه (ـــر١ جرام) ، عليه كتابات بالخط الكوفى تقرأ :

وجـــه

١ ــ الامـــ امـــ

٢ ــ الم نصور

٣ ــ (أ)بو على

٤ ــ الحا كمـــ

٥ ــ أمـــ ـر

٦ ــ المومـــ ـــنين

هامش :

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين ..

ظهر

١ ــ الامـــ امـــ

٢ ــ الم نصور

٣ ــ (أ)بو على

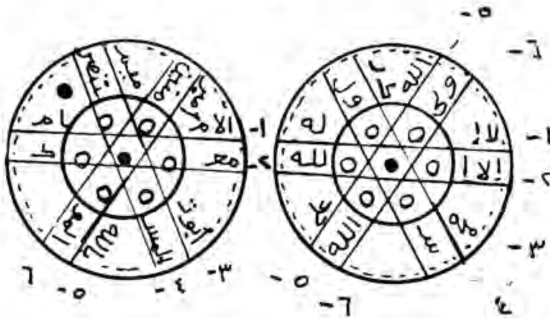
٤ ــ الحا كمـــ

٥ ــ أمـــ ـر

٦ ــ المومـــ ـــنين

هامش :

محمد رســـول الله بسم الله ضرب



شكل (٦) لوحة (٦) : (غير منشور)

ربع دينار محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة برقم سجل ١٨٢٣١ وهو باسم الخليفة الفاطمى المستنصر بالله ، ذو كتابات منظومة فى أوتار متقاطعة بحيث تؤلف شكل نجمة بالمركز ربما تشير الى تطور علم الفلك فى خلافته ، يبلغ قطره (١٨ مليمتر) ووزنه (٩٥٠ر — جرام) عليه كتابات بالخط الكوفى تقرأ :

وجـــه

١ — لا إ   له

٢ — إلا ا   لله

٣ — محمـــــــدر

٤ — سـ   ولُ

٥ — الله   على

٦ — ولى   الله

هامش :

محمد رسول ... مقصوص

ظهر

١ — الامـ   امـ

٢ — معـــــــــــد

٣ — أبو تـ   ـميـ

٤ — المســــتنص

٥ — بالله   أمير

٦ — المو   منين

هامش :

بسم (مقصوص) أربعمائة .



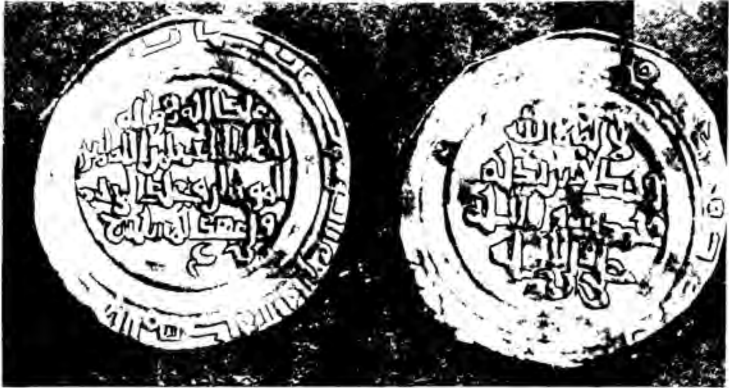
(شـــكل ٧)

خريطة العالم فى العصور الوسطى للشريف الادريسى عن كتابه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » الذى الفه فى كنف الملك روجر الثانى حاكم صقلية سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) موضحا عليها زاوية اتجاه القبلة بمصر (٧٠° م) ونظيرتها فى مدينة المهدية بتونس (٨٠° م)

شـــكل (٧) :

خريطة للعالم كما تصورها الجغرافى العربى الشريف الادريسى فى كتابه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » الذى ألفه فى كنف الملك روجر الثانى حاكم صقلية سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) ، كما يحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بنسخة بحجم كبير من هذه الخريطة مقاس ١١٠ سم × ٢٣٠ سم • ويتضح طبقا لتصور الادريسى لخريطـة العالم أنه ينظر الى بلاد العالم من صقلية لذلك بدت البلاد المقابلة لصقلية هى الشمال بالنسبة له ومن هنا بدت فى وضع مقلوب بالنسبة لخريطة العالم فى العصر الحديث بحيث تظهر جهة الشمال جنوبا وجهة الجنوب شمالا ، اذ يظهر المحيط الهندى والخليج الفارسى وبلاد العرب ، والبحر الأحمر (القلزم) شمالا • •

ويتضح بالقياس على هذه الخريطة أن زاوية اتجاه مصر للقبلة (٧٠°) وأن زاوية اتجاه المهدية (تونس) (٧٨°) غير أن المسلمين فى العصور الوسطى كانوا يعتبرون أن اتجاه كل من مصر وبلاد شمال أفريقيا واحد دون مراعاة للفروق الدقيقة وهو ما يفسر لنا ظهور الحرف (ع) على بعض الدنانير من ضرب مدينتى المهدية ومصر الذى يشير بحساب الجمل الى العدد ٧٠ •



لوحة(١)

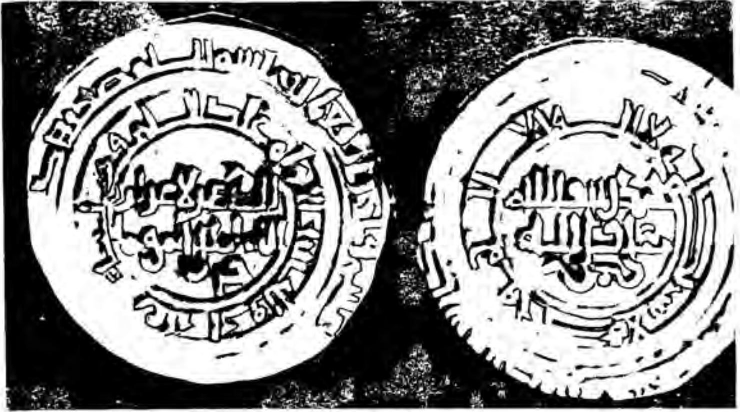
٥/ ١٦٦٧٦ دينار باسم الخليفة الحاكم بأمر الله ضرب المهدية سنة ٤١١هـ ، يظهر اسفل الكتابة المركزية بالظهر بالرمز الفلكى (ع) الذى يساوى بحساب الجّمل العدد ٧٠ قيمة زاوية الإتجاه للكعبة. (ينشر لأول مرة)



لوحة(٢)

١/١٨٤٣١ دينار باسم الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله ضرب مصر سنة ٤١٧ هـ يظهر اسفل الكتابة المركزية بالظهر الرمز الفلكى (ع) الذى يساوى بحساب الجّمل العدد ٧٠ قيمة زاوية الإتجاه للكعبة .

(ينشر لأول مرة)



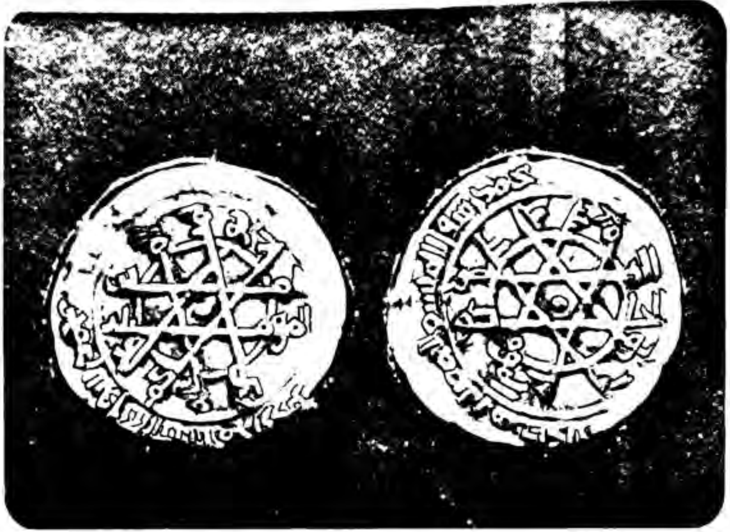
لوحة(٣)

١٦٦٧٢/٧ دينار باسم الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله ضرب المهدية ، يظهر أسفل الكتابة المركزية بالظهر الرمز الفلكى (جغ) الذى يساوى بحساب الجّمل العدد ٣٠٠٠. (ينشر لأول مرة)



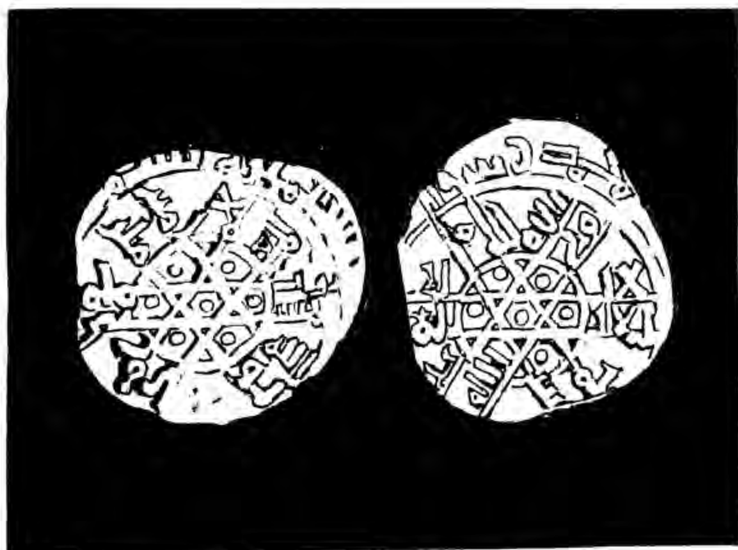
لوحة(٤)

١٦٦٧٢/٨ دينار باسم الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله ضرب المهدية سنة ٤٢٧ هـ ، يظهر أسفل الكتابة المركزية بالوجه والظهر الرمز الفلكى (جغ) الذى يساوى بحساب الجّمل العدد ٣٠٠٠. (ينشر لأول مرة)



لوحة (٥)

١/١٦٧١٥ ربع دينار باسم الخليفة الحاكم بأمر الله يتألف من ستة أوتار متقاطعة تؤلف شكلاً نجميا بالوسط ربما يرمز إلى أزدهار علم الفلك فى عهده . (ينشر لأول مرة)



لوحة(٦)

١٨٢٣١ ربع دينار باسم الخليفة المستنصر بالله يتألف من ستة أوتار متقاطعة تؤلف شكلاً نجميا سداسيا بالوسط ربما يرمز إلى تتطور علم الفلك فى عهده . (ينشر لأول مرة)

دور البلغار فى مواجهة حملة مسلمة بن عبد الملك على القسطنطينيـــة

(٩٨ ـ ١٠٠ هـ / ٧١٧ ـ ٧١٨ م)

دكتورة / ليلى عبد الجواد اسماعيل

كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

تناولت كثير من المصادر والمراجع الاجنبية والعربية الحديث عن حملة مسلمة بن عبد الملك على القسطنطينية بتفصيل جم غير أنها لم تركز على نقطة هامة وعامل فعال من عوامل فشل هذه الحملة ، نعنى بذلك دور البلغار فى مواجهة تلك الحملة ، ونقصد هنا بطبيعة الحال بلغار الدانوب وليس بلغار الفولجا ، فقد شهدت العصور الوسطى قيام دولتين للبلغار أحـــدهما على نهر الفولجا والاخرى على نهر الدانوب • ومن ثم فان هذه الدراسة سوف تعرض لكيفية وصول هؤلاء البلغار الى الدانوب حيث أقاموا لهم دولة هناك سرعان ما دخلت فى فلك الدولة البيزنطية ، وقـــدر لها أن تســـاهم ايجابيا فى انقاذ القسطنطينية من الحصار الاسلامى ، بل وفى ايقاف التوسع الاسلامى فى شبه جزيرة البلقان •

أما عن هؤلاء البلغار فقد عاشوا منذ منتصـــف القرن الخامس الميلادى فى الشمال الغربى من القوقاز بين بحر آزوف ووادى كوبان Kouban ، ونجحوا بقيادة أورجانا Organa أو أورهان Orhan نائد قبيلة البلغار من جماعة Onoghoundour أن يقيموا مملكة لهم عرفت باسم «مملكة البلغار الكبرى »[1] •

---

(1) Ostrogorsky, " The Byzantine Empire in the World of the seven century"In Dumbarton Oaks papers (1959) P. 16.

وبعد أن توفى أورجانا خلفه ابن أخيه كوبراتوس Koubratos وفى ظل حكمه خضع البلغار من بنى قومه لسلطان الآفار ، ولكن عندما انهارت قوة الآفار سعى البلغار الى الثورة والتمرد ، ويتضح ذلك مما رواه المؤرخ البيزنطى نيقفورس Nicephorius وما جاء فى معجزات القديس ديمتريوس من أن كوبراتوس قام بثورة ضد خاقان الآفار ، واشتبك معه فى عدة معارك هزم فيها الخاقان ، واضطر الى الفرار ، واستولى كوبراتوس على جميع الاقاليم التابعة له ثم اتجه شمالا مع سائر شعبه ، وأتى الى الاقاليم المجاورة لسالونيك حيث احتل سهل Ceramesum ، وعلى هذا فقد استقر البلغار فى القرن السابع فى منطقة سالونيك[٢] .

وما لبثت مملكة البلغار الكبرى أن تفككت بسبب وفاة كوبراتوس من ناحية ، وما وقع عليها من الضغط نتيجة لتحرك الخزر نحو الغرب من ناحية أخرى ، وانقسمت مملكة البلغار فى منتصف القرن السابع الى قسمين أو مجموعتين ، الاولى : أصبحت تحت سيادة أحد أبناء كوبراتس ويدعى بايان Bayan ، وظلت فى موطنها تحت سيادة الخزر . أما المجموعة الثانية : فقد رحل بها ابن آخر من أبناء كوبراتوس ويدعى اسباروخ Asparuch (Isperich) — نحو الغرب ، ووصل فى عام ٥٠ هـ / ٦٧٠ م الى دلتا نهر الدانوب ، ونجح فى عبور النهر ثم التوجه نحو الاقليم الشمالى الشرقى من البلقان والذى يعرف حاليا باسم دوبرودجا Dobroudja ، حيث شرع يقيم له دولة بلغارية فى ممتلكات بيزنطة فى البلقان[٣] .

---

(٢) — Nicephorius, Berviarium rerum Post Mauricium Gestarum, In C.S.H.B., Bonnae 1837, P. 22, Miracula St, Demetrii Liber 11, In Parologia Graecae, T. 161. P. 1360.

(٣) Nicephorius, Breviarium. pp. 38 — 39., Dvornik, Les Slaves Byzance et Rome au IX siéle, Paris 1926, p. g. Obolensky, the Byzantine Commonwealth Eastern Europe 500 — 1453, Oxford — London 1971, p. 63., Lemerle " Invasions et Migrations dans les Balkans"dans Reuve Historique (1954), P. 304., Grousset, L'Empire des Steppes, Paris 1948, p. 232.

ومنذ ذلك الحين بدأت الدولة البيزنطية تدخل فى علاقات عدائية مع البلغار ، فقد كان وجود اسباروخ ورجاله عند الحدود الشمالية للامبراطورية يمثل تهديدا خطيرا لها • وأحس الامبراطور قسطنطين الرابع (٤٨ — ٦٥ هـ / ٦٦٨ — ٦٨٥ م) الجالس على عرشها فى ذلك الوقت — بهذا الخطرلذلك بادر باعداد حملة برية بحرية لمواجهة خطر البلغار ، وخاصة بعد أن عقد معاهدة ســلام مع المســلمين فى عام (٥٩ هـ / ٦٧٨ — ٦٧٩ م) وانتهت الحرب فى آســيا الصغرى بين المسلمين والبيزنطيين مما سمح للامبراطور بأن ينقل جميع القوات البيزنطية الى أوربا [٤] •

غير أن حملة قسطنطين الرابع ضد البلغار باءت بالفشـــل[٥] ، واضــطر الامبراطور الى أن يعقد اتفاقية ســلام مع خان البلغار اسباروخ فى عام ٦٢ هـ / ٦٨١ م ، وتعهد بمقتضاها أن يدفع للبلغار جزية سنوية ، كما تنازل لهم عن البلاد الواقعة بين الدانوب والبلقان وهى المعروفة باسم دوبرودجا • وبهذا تنازلت بيزنطة للبلغار رسميا عن سيادتها على جزء هام من جزيرة البلقان ، وهذا ما دعا المؤرخ

---

(٤) Gjuzelev. V., "La Participation des Bulgares a l'Echec du Siège Arabe de Constantinople en 717 — 718" dans Congres International des Etudes Historiques a l'occasion du XVeme Bucarest (1980), P. 91.

حسنين محمد ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، القاهرة ١٩٨٦ م ، ص ٩٠

(٥) لمزيد من التفاصيل عن هذه الحملة انظر :

Nicephorius, Breviarium, PP. 39 - 40., Theophanis, Chronographia, Vol. I In C.S.H.B., Bonnae 1839, pp 546 — 49, Obolensky, Op. Cit., P. 63, Ostrogorosky, History of the Byzantine State PP. 112 — 13.

الباز العرينى ، الدولة البيزنطية ، ص ١٥٣ ، حســنين ربيــع ، دراسات ، ص ٩٢ •

البيزنطى ثيوفانيس Theophanis الى وصـــف تلك المعــاهدة بأنها « عار وخزى للرومان أى للبيزنطيين »[٦] . اذ نجح اسباروخ على أثر هذه المعاهدة أن يقيم دولة بلغارية قوية مستقلة فى الشمال الشرقى من البلقان وعلى أراض بيزنطية ، ومعترف بها من جانب البيزنطيين أنفســهم .

ونظرا للتهديد الذى بدأت تتعرض له بيزنطة من جانب البلغار فى تلك الفترة فقد سعت الامبراطورية الى انشاء ثغر جديد فى البلقان لصد هجماتهم على الامبراطورية ، وعرف هــذا الثغر باسم (ثغر تراقيا) ، واقيم هذا الثغر فى عهد الامبراطور قسطنطين الرابع ، وفى الفترة بين عامى (٦١ هـ / ٦٨٠ م) و (٦٦ هـ / ٦٨٥ م) على حدود البلاد التى يقطنها البلغار[٧] .

وقد حدد الجغرافيون العرب موقع هذا الثغر وطوله وعرضه فيذكر ابن خرداذبة « ... والعمل الثانى ... هو عمل تراقيه وحده ... من الجنوب عمل مقدونية ، ومن الغرب بلاد البرجان[٨] ، ومن الشمال بحر الخزر ، وطوله مسيرة خمسة عشر يوما ، وعرضه من بحر الخـــزر الى عمل مقدونية مســيرة ثلاثة أيام ، وفيه عشرة حصون »[٩] .

---

(٦) Theophanis, Chronographia I, p. 549.

(٧) Lemerle, Invasions et Migrations, P. 308.

(٨) يلاحظ ان المصادر العربية استخدمت كلمة برجان للدلالة على بلغار الدانوب .

انظر : المسعودى ، التنبيه والاشراف ، طبعة ليدن ١٨٦٧ م ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، م ٢ ، ص ١١٠ .

(٩) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، بريل ١٨٨٩ م ، ص ١٠٥ ، وانظر ايضا : قدامة بن جعفر ، نبذ من كتاب الخراج ، بريل ١٨٨٩ م ، ص ٢٥٦ — ٢٥٧ .

وعندما ارتقى جستنيان الثانى عرش الدولة البيزنطية فى عام ٦٥ هـ / ٦٨٥ م خليفة لابيه قسطنطين الرابع ، ساءت العلاقات بينه وبين البلغار اذ رفض جستنيان أن يدفع الجزية لاسباروخ ، بل وأصدر أوامره بعبور تراقيا ومهاجمة البلغار ، ثم خرج بنفسه فى عام ٧٠ هـ / ٦٨٩ م على رأس حملة برية بحرية لقتال البلغار ، وحقق انتصارا على البلغار والسلاف ، وأسر منهم ثلاثين ألف أرسلهم جميعا الى آسيا الصغرى ليستقروا فى ثغر الابسيق ، وأجبرهم على أن يقيدوا أسماؤهم فى سجل جيش هذا الثغر[١٠] .

وما لبث اسباروخ خان البلغار أن توفى فى ٨٢ هـ / ٧٠١ م وخلفه تربل Terbel أو ترفل Tervel (٨٢ — ١٠٤ هـ / ٧٠١ — ٧٢٢ م) ، وسار تربل على نهج اسباروخ فى العمل على تدعيم دولته وواتته الفرصة لتحقيق ذلك ، اذ شاهد عهده تحسن فى العلاقات مع الامبراطورية البيزنطية ، فقد حدث أن قامت ثورة ضد جستنيان الثانى فى عام ٧٦ هـ / ٦٩٥ م نفى على أثرها الى خرسون فى شبه جزيرة القرم[١١] ، غير أنه نجح فى الفرار من منفاه والتجأ الى خان الخزر ، الذى رحب به وزوجه من أخته بعد أن اعتنقت المسيحية ، وحملت اسم ثيودورا Theodora ، غير أن الامبراطور الجالس على العرش البيزنطى وهو ابسيماروس Apsimors (تيبريوس الثالث) علم بفرار جستنيان الثانى الى بلاد الخزر ، فأرسل سفارة الى خان

---

(١٠) لمزيد من التفاصيل انظر :

Theophanis, Chronographia, P. 557, Nicephorius, Breviarium, P. 41., Runciman, The first Bulgarian Empire London 1930, p. 30., Lemerle, Invasions et Migrations, pp. 305 — 306.

(١١) لمزيد من التفاصيل عن هذه الثورة انظر :

Theophanis, Chronographia, PP. 565 — 66.

وسام عبد العزيز فرج ، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الاموية ، اسكندرية ١٩٨١ م ، ص ٥٢ — ٥٤ .

الخزر يطلب منه تسليم جستنيان حيا أو ميتا ، وعرض عليه نظير ذلك مبالغ ضخمة من المال ، وقبل الخان العرض ، وأرسل اثنين من ضباطه للقبض على جستنيان ، وعلم جستنيان بهذه المؤامرة ، وخشى أن يقتله خان الخزر ، فهرب سرا ، ووصل الى الدانوب بعد رحلة بحرية شاقة ، ومن هناك اتصل بتربل خان البلغار ، وطلب مساعدته من أجل استعادة عرشـــه[١٢] .

ورحب تربل Terbel كل الترحيب بتقديم المساعدة لجستنيان الثانى وتعهد بحمايته ووضع تحت خدمته جيشا كبيرا من السلاف والبلغار ، وفى عام ٨٦ — ٨٧ هـ / ٧٠٥ م سار جستنيان الثانى وتربل على رأس أسطول وجيش من البلغار ، واتجهوا نحو القسطنطينية ، ونجح جستنيان الثانى والبلغار فى أن يدخلوا المدينة ، وعندما علم تيبريوس الثالث (٧٩ — ٨٦ هـ / ٦٩٨ — ٧٠٥ م) بذلك فر هاربا ، واستعاد جستنيان الثانى عرشه بفضل مساعدة البلغار[١٣] .

وكافأ جستنيان الثانى تربل والبلغار على تلك المساعدة ، فأغدق عليهم المنح والهدايا ، ومنح تربل لقب قيصر Caesar — وهو لقب

---

(١٢) لمزيد من التفاصيل انظر :

Nicephorius PP. 46 — 48, Zanoras, Epitomae, Historiarum libri, T. 3, Jn C.S.H.B., Bonnae 1897, pp, 236 — 37 Cedrenus, Compendium Historiarum, Vol. I in C.S.H.B, Bonnae 1838, PP, 778 — 97, Runciman, Op. Cit., P. 30, Dvornik, Les Slaves, P. 10

اومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة مصطفى طه بدر ، ص ١٤٠ — ١٤١ .

(١٣) لمزيد من التفاصيل أنظر :

Theophanis, Chronographia, PP. 571 — 72 Nicephorius, Breviarium P, 48. Zanoras, Epitomae, T. 3, PP 237 — 39, Runciman, Op. Cit., PP. 30 — 31.

وسام عبد العزيز ، العلاقات ، ص ٦٢ — ٦٣ .

شرف يحتل صاحبه المكانة الثانية بعد الامبراطور — تشريفا له وتقديرا لخدماته ، ووضع جستنيان الثانى تاج القيصر على رأس تربل ، وألبسه الرداء الارجوانى الموشى بالذهب ، وجلس تربل باعتباره قيصرا الى جوار الامبراطور على العرش وتلقى ولاء شعب بيزنطة[١٤] .

وعقدت معـاهدة سـلام بين جستنيان الثانى وتربل فى عام ٨٦ — ٨٧ هـ / ٧٠٥ م ، تعهد جستنيان بمقتضاها أن يدفع من جديد جزية سـنوية للبلغار ، كما تنازل لهم عن الاقليم المعروف باسـم Zagoria ، والذى ينحدر من الطرف الشمالى وحتى خليج بورجاس Burgas ، أما عن المدن الواقعة على ذلك الخليج فقد ظلت فى أيدى البيزنطيين وهى مدن انخيالوس Anchialus وميسيمبريا Mesembria وديفلتوس Develtus ، كما حصل تربل أيضا على وعد من الامبراطور بأن يزوجه ابنته حينما تصل الى سن الزواج[١٥] وبهذا ربطت العلاقات الودية بين بيزنطة والبلغار ، كما علت مكانة البلغار فى البلقان باتفاق عام ٨٦ — ٨٧ هـ / ٧٠٥ م .

غير أن العـلاقات بين بيزنطة والبلغار ما لبثت أن ساءت مرة أخرى فى عهد جستنيان الثانى وبعد مضى ثلاث سنوات فقط من عقد اتفاق عام ٧٠٥ م ، اذ طالب تربل بزيادة الجزية التى كانت تدفعها له الامبراطورية ، لذلك قلب له جستنيان ظهر المجن ، وخرج لغزوه برا وبحرا فى عام ٩٠ هـ / ٧٠٨ م ، غير أنه هزم هزيمة نكراء عند انخيالوس

---

(١٤) Nicephorius Breviarium, P. 48. Runciman, Op. Cit., P. 31 Obolensky, Op. Cit., P. 65,

وسام عبد العزيز ، العلاقات ، ص ٦٣ — ٦٤ حاشية ٤ .

(١٥) انظـر :

Nicephorius, Breviarium PP. 48 — 49, Runciman, Op. Cit., p. 31., Obolensky, Op Cit., p. 65.

Anchialus ، وعاد الى القسطنطينية يجر أذيال الخيبة والعار[16] .
على أن الظروف دفعت جستنيان الثانى بعد ذلك الى أن يحسن علاقاته مع البلغار بل ويطلـب مساعدتهم له ليتمكن من الوقوف فى وجـه خصمه فيليبيكوس Philippicus ، ولبى تربل خان البلغار طلب جستنيان وأرسل اليه ثلاثة آلاف من الجند البلغار ، اصطحبهم جستنيان الثانى فى قتاله ضد فيليبيكوس فى بيثينيا Bithynia ، وظل هؤلاء الجنـد البلغار على الولاء لجستنيان حتى وفاته فى عام ٩٣ هـ / ٧١١ م[17] .

وانتهز البلغار فرصة مقتل حليفهم جستنيان الثانى ، وما تعرضت له الامبراطورية على أثر ذلك من ضعف واضطراب ـ وغزوا تراقيا ووصلوا حتى مشـارف القسـطنطينية نفسها ، وعاثوا فى أراضى الامبراطورية فسادا ، وقاموا بعمليات السلب والنهب ، ثم عادوا الى بلادهم محملين بالاسلاب والغنائم[18] .

وفى الوقت نفسه كان المسـلمون يتابعون جهودهم من أجل الاستيلاء على العاصمة البيزنطية مدينة القسطنطينية ، وكانوا قد مهدوا لذلك من قبل بالاستيلاء على بعض جزر حوض البحر المتوسط الشرقى ومن بينها جزيرة قبرص ورودس وبعض جزر الارخبيل ، كما أقاموا لهم قواعد بحرية على مقربة من القسطنطينية ومن أهمها جزيرة كيزيكوس (أرواد) . وبعد وفاة جستنيان الثانى (٩٣ هـ /

---

(١٦) لمزيد من التفاصيل أنظر :
— Theophanis, Chronographia, PP. 575 — 76,
Zanoras, Epitomae. III, p, 239 Cedrenus. Compendium pp. 781 — 82, Runciman, Op. Cit., p. 32.

(١٧) لمزيد من التفاصيل حول قتال جستنيان الثانى وفيليبيكوس أنظر :
Nicephorius Breviarium p. 53, Cedrenus, Compendium, p. 783.

(١٨) Nicephorius, Breviarium, P. 54, Zanoras, Epitomae, P. 244. Runciman, Op. Cit,' P. 32, Dvornik, Op. Cit,. P, 10.

٧١١ م) انتهز المسلمون حالة الفوضى والضعف التى أمست فيها بيزنطة وشرعوا فى استكمال جهــودهم من أجل الســـيطرة على القسطنطينية ، فاندفعوا نحو آسيا الصغرى ونجحوا فى الاستيلاء على معاقلها الهامة ومن بينها طوانة — أعظم مدن قبادوقيا — وآماسيه Amaseia فى الشمال الشرقى من آسيا الصغرى ، وأنطاكية البسيدية[١٩] على نهر الماندر Meander [٢٠] .

وبعد أن سيطر المسلمون على معاقل آسيا الصغرى الهامة ، شرع الخليفة الوليد بن عبد الملك فى اعــداد حملة برية بحرية لحصـــار القسطنطينية فى عام ٩٥ هـ / ٧١٤ م ، وما لبث أن وصلت أخبار الاعداد لهذه الحملة الى مسامع الامبراطور البيزنطى اناستاسيوس الثانى (٩٤ — ٩٦ هـ / ٧١٣ — ٧١٥ م) حتى أرسل سفاره الى دمشق على رأسها دانيال Daniel بطريق سينوب بهدف ظاهر وهو اقتراح عقد معاهدة سلام مع الخليفة الوليد ، وآخر باطن وهو استطلاع أخبار استعدادات المسلمين لحصـــار القسطنطينية ، وأكدت هذه السفارة للامبراطور صدق نبأ الاعداد لهذا الحصار ، وعندئذ اتخذ الامبراطور الاستعدادات اللازمة للدفاع عن المدينة ومواجهة الحصار الاسلامى

---

(١٩) انطاكية البسيدية هى مدينة من مدن فريجيا فى أواسط آسيا الصغرى بالقرب من حدود بيسيدية ، ولذلك يسمونها بأنطاكية البسيدية تميزا لها عن انطاكية بلاد الشام .

(٢٠) لمزيد من التفاصيل عن استيلاء المسلمين على مدن آسيا الصغرى انظــر :

Brooks, "The Arabes in Asia Minor (641 — 750) from the Arabic sources". In Journal of Hellenic Studies, Vol. 19 (1898). PP. 190 — 193.

العدوى ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ١٨١ — ١٨٢ ، اومـــان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٤٣ — ١٤٤ ، أسد رستم ، الروم ، ج ١ ، ص ٢٧٣ ، محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٨٧ .

المنتظر فبدأ أولا بجبهة آسيا الصغرى وعين على ثغر الاناتوليك بها قائدا بارعا لمواجهة حملات المسلمين المتكررة على تلك المنطقة — وهو ليو[٢١] .

ثم أمر الامبراطور بتدعيم وسائل الدفاع عن أســوار المدينة البرية والبحرية ، كما أمر ببناء اسطول كبير ليكون قادرا على مواجهة الحصار الاسلامى[٢٢] ، كذلك امر الامبراطور كل فرد فى المدينة بأن بخزن مؤنة تكفى ثلاث سنوات وبضرورة ملأ الخزائن الامبراطورية بالغلال وغيرها مما يحتاج اليه المدافعون[٢٣] .

غير أن الخليفة الوليد توفى فى عام ٩٦ هـ / ٧١٥ م وقبل أن تكتمل استعدادات الحملة ، وخلفه أخوه سليمان بن عبد الملك ، وفى نفس الوقت قامت ثورة فى القسطنطينية[٢٤] أطاحت باناستاسيوس الثانى ، واعتلى ثيودوسيوس الثالث Theodosius III عرش بيزنطة .

وسار الخليفة سليمان على سياسة أخيه الوليد فتابع ارسال

---

(٢١) عن سيرة حياة ليو انظر :

Theophanis, Chronographia, PP. 699 — 607.

وسام عبد العزيز ، العلاقات ، ص ٧٧ — ٨٢ ، العدوى ، الامويون ، ص ١٨٣ ، الباز العرينى ، الدولة البيزنطية ، ص ١٨٦ .

(٢٢) Ahrweiler, Byzance el la mer, Paris 1966, P. 28.

(٢٣) لمزيد من التفاصيل انظر :

العدوى ، الامويون ، ص ١٨٢ — ١٨٤ ، وسام عبد العزيز ، العلاقات ص ١٢١ — ١٢٢ .

(٢٤) اسفرت هذه الثورة عن نفى الامبراطور اناستاسيوس الثانى (٧١٣ — ٧١٥ م) الى دير فى شمال سالونيك . لمزيد من التفاصيل انظر : كتاب العيون والحدائق ، جـ ٣ ، ص ٢٦ ، ٣٣ ،

Nicephorius, Breviarium, P. 55,

Theophanis, Chronographia P. 592.

الحملات الى آسيا الصغرى ونجحت تلك الحملات فى الاستيلاء على العديد من الحصون بها ومن أهمها حصن المرأة وحصن الوضاح[٢٥] . كذلك تابع الخليفة سليمان سياسة أخيه التى ترمى الى حصار القسطنطينية فأكمل الاستعدادات التى بدأها الوليد ، وقام بحشد قوات ضخمة برية وبحرية وزودها بمقادير هائلة من المؤن والاقوات والسلاح وآلات الحصار استعدادا لحصار طويل الامد ، وقد عبر صاحب كتاب العيون والحدائق عن ذلك بقوله : « وجمع آلات الحرب للصيف والشتاء ، والمجانيق والنفط وغير ذلك »[٢٦] . وجعل الخليفة القيادة العليا للحملة فى يد أخيه مسلمة بن عبد الملك ، وأمره بأن يتوجه الى القسطنطينية ، وأن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه أمره على حد تعبير الطبرى[٢٧] .

وفى عام ٩٧ هـ / ٧١٦ م اجتاح المسلمون آسيا الصغرى ، وبدأوا يستعدون لحصار القسطنطينية ، وما أن ترامت هذه الاخبار الى مسامع الامبراطور ثيودوسيوس الثالث Theodosius III حتى سارع بعقد اتفاقية مع البلغار وخانهم تربل Terbel وذلك ليأمن شرهم من ناحية ويتفرغ لقتال المسلمين من ناحية أخرى . وهذه الاتفاقية هى أول اتفاقية بين بيزنطة والبلغار وصلت الينا بنودها ، وقد احتوت على أربعة بنود هى :

أولا : تحديد الحدود بين الامبراطورية البيزنطية وبلغاريا على طول الخط الممتد عبر شمال تراقيا ، ومن المحتمل من خليج بورجاس Burgas وحتى ماريتسا Maritsa .

---

(٢٥) عن حصن المرأة وحصن الوضاح انظر : ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، بيروت ١٩٨٤ ، م ٥ ، ص ٩٦ ، ٣٧٩ .

(٢٦) كتاب العيون والحدائق ، ج ٣ ، ص ٢٢ .

(٢٧) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٩ م ، ص ٥٣٠ .

ويتضح من هذا البند مدى توسع دولة البلغار في سهل تراقيا ، وامتداد حدودها داخل الاراضى البيزنطية ، فقد شملت تلك الحدود كل من ميسيمبريا Mesembria واخيالوس Anchialus [٢٨] .

ثانيا : نصت الاتفاقية على أن يؤدى البلاط الامبراطورى لخان البلغار ملابس وجلود سنويا تقدر بثلاثين رطلا من الذهب .

ثالثا : أن يتبادل الجانبان الاسرى ، وأن يعيد البلغار اللاجئين السياسيين الذين قد تضطرهم الحروب المدنيـــة الامبراطورية الى الخروج من الامبراطورية واللجوء الى بلغاريا .

رابعا : حـــرية التجارة وتسهيل عبور التجار والبضـــائع بين البلدين ، وتزويد التجار بجوازات السفر والاختام اللازمة ، وبدون وجود هذه الجوازات تصادر بضائعهم[٢٩] . هذه هى بنـــود اتفاق ثيودوسيوس الثالث مع البلغار عام ٩٧ هـ / ٧١٦ م .

وسار مسلمة بن عبد الملك فى أوائل عام ٩٨ هـ / سبتمبر ، أكتوبر ٧١٦ م على رأس الحملة واجتاح بجيوشه آسيا الصغرى ، ثم دخل اقليم قبادوقيا ووصل الى أهم مدنه وهى مدينـــة عمورية ، وكانت محصنة تحصينا جيدا ، وكان يتولى الدفاع عنها قائد ثغر الاناتوليك وهو القائد ليو[٣٠] . وكان هذا القائد يتطلع الى عرش بيزنطة ، ويطمع فى انتزاعه من الجالس عليه حينئذ وهـــو الامبراطور ثيودوسيوس الثالث . وحاصر الجيش الاسلامى هذه المدينة ، ولذلك دخل ليو فى

---

(٢٨) Runciman, Op. Cit., PP. 32 — 33., Obolensky, Op. Cit., PP. 65 — 66.

(٢٩) Runciman, The first Bulgarian, P. 33.

(٣٠) عن ليو انظر ما سبق حاشية ٢١ .

مفاوضات مع المسلمين[٣١] ، ووعد مسلمة كما يذكر صاحب العيون والحدائق بأن يسلم اليه كل ما فى خزائن الروم من مال وآنية وفضة وديباج وجوهر وسلاح ووشى •• وأن يعطيه الجزية ، وأن يسلم اليه ملك الروم »[٣٢] . وذلك فى مقابل أن يرفع المسلمون الحصـــار عن عمورية ، على أن ليو كان يقصد من وراء وعده هذا فى حقيقة الامر — كما يذكر ديونيسيوس التلمحرى — خداع العرب ، وايقاف سفك دماء بنى وطنه وأهله[٣٣] . على أية حال فقد أغتر الجيش الاسلامى بوعود ليو وقام برفع الحصار عن عمورية ، وكسب ليو بذلك ولاء أهل مدينته فنادوا به امبراطورا[٣٤] .

وسار ليو على رأس قواته بعد ذلك متجها نحو القسطنطينية ، وهناك وأمام الخطر المحدق بالعاصمة من قبل المسلمين ، والذى لوح به ليو لاهلها اجتمع بطريرك القسطنطينية جرمانوس Germanus وكبار موظفيها وأعيانها وقرروا تنصيب ليو امبراطورا فى ٢٥ مارس عام ٧١٧ م تحت اسم ليو الثالث ، وقبل الامبراطور ثيودوسيوس تنصيب ليو وتنازل له عن العرش ، وذهب الى أحد الاديرة وعاش حياة الرهبان[٣٥] .

---

(٣١) عن المفاوضات بين مسلمة وليو انظر :

Theophanis, Chronographia, pp. 593 — 94,

وسام عبد العزيز فرج ، العلاقات ، ص ١٢٦ — ١٣٧ ، العدوى ، الأمويون ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٣٢) كتاب العيون والحدائق ، جـ ٣ ، ص ٢٩ .

(٣٣) Denys De Tell — Mahré, Chronique, Partie 4, Tr. Par Chabot, P. 12.

(٣٤) العدوى ، الأمويون ، ص ١٨٧ ، سرور ، دراسات فى العلاقات السياسية بين دول الشرق الاسلامى والدولة البيزنطية ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٨ — ٩ .

(٣٥) Theophanis, Chronographia, P. 599, Deny, Chronique 4 PP. 12, 13.

وسام عبد العزيز ، العلاقات ، ص ١٣٩ — ١٤٠ ، العـدوى ، الأمويون ، ص ١٨٧ — ١٨٨ .

وما أن ارتقى ليو عرش الدولة البيزنطية حتى جد فى العمل على تحصين المدينة وتقويتها واعدادها لمواجهة الحصار الاسلامى المرتقب ، ومن الخطوات التى اتخذها ليو استعدادا لقتال المسلمين أنه أسرع الى عقد اتفاقية مع البلغار — قبل قدوم المسلمين الى القسطنطينية .. ووقعت هذه الاتفاقية فى الفترة الواقعة بين ارتقاء ليو الثالث العرش البيزنطى فى ٢٥ مارس عام ٧١٧ م وبين التـــاريخ الذى وصل فيه المسلمون الى أسوار القسطنطينية بالفعل وهو ١٥ أغسطس ٧١٧ م . أما عن بنـــود هذه الاتفاقية فقد وردت فى مخطوطة بلغارية معاصرة مكتوبة باللغة اليونانية تعرف باسم مخطوطة Cavalier Madara وتتعلق هذه المخطوطة أساسا بمسألة الاتاوة السنوية التى كانت تدفعها بيزنطة لخان البلغار نظير المساعدة العسكرية التى يقدمها البلغار لبيزنطة لصد الخطر الاسلامى(٣٦) .

أما عن أهم بنود الاتفاق الموقع بين ليو الثالث والبلغار فقد وردت على النحو التالى :

أولا : تتعهد بيزنطة بأن تدفع لخان البلغار جزية سنوية من الذهـــب .

ثانيا : تمنح بيزنطة البلغار بعض الاقاليم الهامة ومن بينهـــا احدى البحيرات — ومن المحتمل أنها بحيرة Vaijakjoj أو بحيرة Mandren فى جنوب خليـــج بورجاس Burgas ، حيث يبدأ الحد المعروف بين بيزنطة وبلغاريا باسم Erkesia (٣٧) .

---

(٣٦) عن هذه المخطوطة انظر :

Gjuzelev, V. La participation des Bulgares a l'Echec du Siège Arabe, P. 102.

(٣٧) Gjuzelev, La Participation, P. 102 — 103.

ثالثا : يتعهد خان البلغار من جانبه بأن يشترك بجنوده فى الحرب الى جانب الدولة البيزنطية[٣٨] .

على أن نص الاتفاق لا يشير الى العدو الذى يجب أن يشترك البلغار فى حربه وقتاله الى جانب بيزنطة ، ولكن من البديهى والمنطقى أنه يقصد بهذا العدو المسلمين ، على اعتبار أن ليو كان يستعد أساسا لدفع خطرهم المنتظر على القسطنطينية ، وأنه لجأ الى البلغار ليكونوا عونه فى صد هذا الخطر ، وليس أدل على ذلك من رواية المؤرخ ابن كثير الذى ذكر بأن ليو كتب الى خان البلغار يطلب منه العون والمساعدة ويستنصره على مسلمة ، وأورد ابن كثير فحوى كتاب ليو الى خان البلغار وقد جاء فيه على لسان ليو : « ... ليس لهم همة الا فى الدعوة الى دينهم الاقرب فالاقرب ، انهم متى فرغوا منى خلصوا اليك فمهما كنت صانعا حينئذ فاصنعه الآن »[٣٩] .

وأدرك خان البلغار ببعد نظره الخطر الذى سوف يتعرض له اذا ما نجح المسلمون فى الاستيلاء على القسطنطينية فهذا يعنى أن العرب سوف يتحولون نحوه ومن ثم فليس من مصلحته أن يوطد المسلمون أقدامهم فى البلقان ويكون له بذلك جار قوى تتوق نفسه الى الفتح والتوســـع دائما ، لذلك أسرع خان البلغار بتلبية نداء ليو الثالث الايسورى وعقد معه الاتفاقية السابقة التى أوردت المخطوطة البلغارية بنودها . وعلى هذا فان اشتراك البلغار فى قتال المسلمين خلال عام (٩٨ — ٩٩ هـ / ٧١٧ — ٧١٨ م) سوف يكون نتيجة ايجابية وتنفيذا لبنود هذه الاتفاقية .

ومما تجدر الاشارة اليه أن هذه الاتفاقية التى عقدت بين ليو والبلغار تختلف تماما فى بنودها عن الاتفاقية التى ســبق أن عقدها

---

(٣٨) Ibid p. 103.

(٣٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ١٨٣ — ١٨٤ .

الامبراطور السابق ثيودوسيوس الثالث (٧١٥ — ٧١٧ م) مع البلغار فى عام ٩٧ هـ / ٧١٦ م[٤٠] ، والتى ظن البعض أن اشتراك البلغار فى قتال المسلمين أثناء حصار عام ٧١٧ — ٧١٨ م كان تنفيذا لبنودها[٤١] .

أما عن مسلمة فبعد أن رفع الحصار عن عمورية تابع سيره نحو القسطنطينية وفى الطريق اليها استولى على مدينة برجاموس Pergamos على ساحل آسيا الصغرى بالقرب من شواطىء بحر ايجه ، ثم استولى على سارديس Sardis وغيرها من الحصون والمدن ، وقتل كثير من أهلها وأسر كثير ، بل وكان سكان ولايات بأكملها يفرون من أمامه[٤٢] .

وبينما يتابع مسلمة طريقه نحو القسطنطينية قام البلغار بمهاجمة جيشه — تنفيذا للاتفاق الذى عقده معهم ليو الثالث — وكان على رأس جيشهم قائد يدعى Krumesis اذ ذكر اسمه فى موضعين من مخطوطة Cavalier de Madara البلغارية التى أوردت بنود الاتفاق بين ليو والبلغار[٤٣] .

وأشارت المصادر العربية الى هجوم البلغار هذا فذكرت : « أغارت برجان (أى البلغار) فى سنة ثمان وتسعين على مسلمة بن عبد الملك وهو فى قلة من الناس »[٤٤] . وفصلت المصادر السريانية لهذا الهجوم

---

(٤٠) انظر ما سبق .

(٤١) انظر Gjuzelev, La Participation, P. 103.

(٤٢) Michel Le Syrien Chronique, Tr. par Chabot, Part, 2, p . 493 Denys Detell, Mahre, Chronique, p. 4, p. 12, Lebeau, Histoire Du Bas-Empire, T. XII, P. 114.

(٤٣) Gjuzelev La Participation, P. 103.

(٤٤) الطبرى ، جـ ٦ ، ص ٥٣٢ ، ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، بيروت ١٩٨٢ م جـ ٥ ، ص ٢٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ١٧٥ ،

Brooks, The Arabes in Asia Minor, PP. 194, 196.

— بعض الشيء — فذكرت « أن مسلمة سار مصطحبا معه أربعة آلاف رجل فهاجمه البلغار ، الذين استأجرهم ليو ، وقتلوا عددا كبيرا من رجاله ، وهرب مسلمة بعد جهد كبير وبصعوبة بالغة »(٤٥) . وبذلك أشارت المصادر السريانية الى حجم الخسارة التى تكبدها المسلمون على أيدى البلغار .

وبدأ مسلمة بن عبد الملك يشعر بخطر البلغار لذلك ما أن عسكر بالجيش الاسلامى أمام أسوار القسطنطينية فى (٢ محرم ٩٩ هـ / ١٥ أغسطس ٧١٧ م) حتى أمر جنوده بحفر خندق حول معسكره يمتد من البحر وحتى القرن الذهبى ؛ ليكون بينه وبين المدينة ، ومن خلفه قبالة البلغار ، كما أرسل عشرين ألف رجل لحراسة الفضاء بين المعسكر والبلغار(٤٦) . وكان يهدف من وراء حفر الخندق الى أن يقطع كل اتصال بين تراقيا والقسطنطينية من ناحية ، ويحمى معسكره من هجمات البلغار من ناحية ثانية ، ويأمن مطاردتهم له من ناحية ثالثة .

واشتبك هؤلاء الجند الذين أرسلهم مسلمة بن عبد الملك لحراسة الخندق من الخلف — مع البلغار فتذكر الروايات البيزنطية — ممثلة أولا : فى مديح أجاثيستوس Hymnus Acathistus وثانيا : فى

---

(٤٥) Michel Le Syrien, Chronique, Part 2, P. 485.

وانظر ايضا : زاكية محمد رشدى ، ميخائيل السريانى الكبير وتاريخه لصدر الاسلام والعصر الأموى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ١٨٥ ؛

Bar Hebreaus, The Chronography of Gregory Abu'l Farap, ed. Budge, Vol. I P. 108.

(٤٦) زاكية محمد رشدى ، ميخائيل السريانى ، ص ١٨٥ .

Michel Le Syrien, Chronique, Part 2, P. 485. Bar Hebraeus, Chronography, P. 108, Canard, "Les Expeditions des Arabes Contre Constantionople dans l'histoire et des la légende" dans Journal Asiatque (1926) P. 91.

المعلومات التى ورت فى السنكسار الكنسى الخاص بالقسطنطينية Synaxarium Ecclesiae Constantinopolitanae — العديد من الاشارات حول هذا الهجوم . فبالنسبة لمديح أجاثيستوس Acathistus فقد وردت به اشارتان عن القتال الذى دار بين المسلمين والبلغار : جاء فى الاشارة الاولى : « ان الـ Agarenus (أى العرب) جاءوا بأعداد كبيرة من أجل حصار القسطنطينية ، واصطحبوا معهم أسطول يتكون من ١٨٠٠ سفينة ، وانقسموا فريقين الاول ذهب فى حملة ضد البلغار ، وهناك أبيد أكثر من عشرين ألفا ، أما الفريق الثانى فقد بقى من أجل حصار المدينة (أى القسطنطينية)(٤٧) .

أما الاشارة الثانية فقد جاء فيها : أن اثنين من قادة العرب قررا الذهاب لقتال البلغار ، ثم اتفقا على أن يظل أحدهما من أجل حصار المدينة (أى القسطنطينية) بينما يرحل الآخر لقتال البلغار ، وهزم العرب فى ميدان القتال ، وتركوا أكثر من عشرين ألف قتيل ، أما من بقى على قيد الحياة ونجا من الموت فقد عاد خائبا يجر أذيال العار ، وحاول هؤلاء العائدون أن يدخلوا المدينة على ظهور سفنهم من بوابة البلاشيران Blachernarus (٤٨) .

أما الاشارات التى وردت فى السنكسار الكنسى للقسطنطينية فقد جاء فيها بداية أن الـ Agarijani أى العرب هاجموا البلغار بدون أى سبب ، وفى المعركة مع البلغار قتل من المسلمين عشرين ألفا ، وجاء فى موضع آخر : أن القتال بدأ مع البلغار ، وقتل من العرب عشرين ألفا ،

---

(٤٧) Hymuns Acathistus, In Patrologiae Graecae, T. 92, Col. 1351. Gjuzelev, La Participation, P. 95,

وانظر أيضا :

(٤٨) Synaxarium Ecclesiae Constantinopolitanae, In Propylaeum ad Acta Sanctrom, Novembris, Bruxelis (1902) Cols 895 — 901

وفى موضع ثالث : أن المسلمين هاجموا البلغار ، فقتل البلغار منهم عشرين ألفا[٤٩] .

يتضح من العرض السابق للروايات البيزنطية أولا : أن المسلمين هم الذين بدأوا بمهاجمــة البلغار وبمحض ارادتهم وذلك ردا على عدوانهم السابق عليهم ، ثانيا : أن هذا الهجوم يؤرخ له مع بداية حصار المسلمين للقسطنطينية أى منتصف أغسطس من عام ٧١٧ م .

والى جانب المعلومات التى وردت فى المصادر البيزنطية ، يذكر مصدر سريانى مجهول المؤلف كتب فى عام ٨٤٦ م أن الجيش الاسلامى عسكر فى تراقيا ، وكان على رأسه Ubaida (أى عمرو بن هبيرة) وذهب عمرو الى اقليم بلغاريا ، وقاتل البلغار فى بلادهم ، وأبيد عدد من رجال جيشه على أيديهم[٥٠] . يتضح من ذلك أن الجيش الاسلامى كان بقيادة عمرو بن هبيرة وهذا لم تذكره المصادر البيزنطية ، كما أن هذا المصدر السريانى لا يحدد عدد من قتل من جانب المسلمين كما ورد فى الروايات البيزنطية السابقة ، مما يدل على مبالغة تلك المصادر فى تقدير عدد القتلى من الجانب الاسلامى .

وشدد مسلمة الحصار على القسطنطينية برا وبحرا وخاصة بعد وصول الاسطول الاسلامى ، ففى الوقت الذى قامت به القوات البرية بحصار أسوار المدينة من ناحية البر ، قام الاسطول بحصار الاسوار البحرية ، والعمل على سد المنافذ التى يمكن أن تحصل منها المدينة على المؤن والامدادات من الشمال عن طريق البحر الاسود ، ومن الجنوب

---

(٤٩) Hymuns Acathistus, In P.O. T. 91, Cols 1366 — 67
وانظــر ايضا : Gjuzelev. La Participation, pp. 95 — 96

(٥٠) Brooks, "A Syriac Chronicle of the Year 846" In Zeitschrift der Deutschen Morgenlan dischen Gesellscraft, V.ol. 51, (1897). P. 583.

عن طريق بحر مرمرة وبحر ايجه . وهكذا أقام مسلمة بالقسطنطينية قاهرا لاهلها على حد تعبير الطبرى[٥١] .

وفى الوقت الذى قام فيه الجيش البيزنطى وأهل القسطنطينية بالتصدى لحصار المسلمين والدفاع عن مدينتهم وحمايتها كان البلغار يهاجمون المسلمين وبلا انقطاع وقد عبر ميخائيل السريانى عن ذلك بقوله : « ان العرب تعرضوا للهجوم من قبل سكان المدينة (أى القسطنطينية) ومن قبل البلغار كذلك »[٥٢] .

ولم يكتف البلغار بذلك بل شرع ملكهم — كما يذكر ابن كثير — فى المكر والخديعة واستخدام الحيلة مع المسلمين اذ كتب الى مسلمة يخبره بأن ليو اتصل به وكاتبه ويقول له : « أنا معك فمرنى بما شئت »[٥٣] . فرد عليه مسلمة بأنه لا يريد رجالا ولا عددا ، وطلب منه أن يرسل اليه الميرة والمؤن لانها قلت عنده ، فرد عليه ملك البلغار بأنه أرسل اليه سوقا عظيمة فى مكان كذا وكذا ، وأن عليه أن يرسل من يتسلمها ويشترى منها .

ويتابع ابن كثير روايته فيذكر : أن مسلمة أذن لمن شاء من الجيش أن يذهب الى هناك فيشترى ما يحتاج اليه ، فذهب عدد كبير ، فوجدوا سوقا هائلة بالفعل ، فيها كافة أنواع البضائع والامتعة والاطعمة ، فأقبلوا عليها يشترون منها ، وبينما هم مشغلون بالشراء ، اذا بالبلغار يخرجون عليهم بغتة من الكمائن التى أعدها لهم ملك

---

(٥١) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٣٠ .

(٥٢) زاكية محمد رشدى ، ميخائيل السريانى ، ص ١٨٥ .
Michel Le Syrien Chronique, Part 2, P. 485.
وانظـر أيضا :
Bar Hebraeus, The Chronography, P. 105.

(٥٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ، ص ١٨٤ .

البلغار بين تلك الجبال ، وقتلوا من المسلمين عددا كبيرا ، وأسروا عددا آخر ، ولم يرجع لمسلمة الا القليل(٥٤) • وهكذا ألحق البلغار بالمسلمين خسائر جسيمة •

وتعد رواية ابن كثير هذه على درجة كبيرة من الاهمية اذ تكاد تكون الرواية الوحيدة بين الروايات العربية والبيزنطية والسريانية المتداولة التى أوردت تفاصيل هذا الهجوم على المسلمين من جانب البلغار •

ونظرا للخسائر التى تكبدها المسلمون على أيدى البلغار ، فقد أصبح المسلمون يحسبون لهم ألف حساب بل ويخافون منهم خوفهم من البيزنطيين أنفسهم وقد عبر الطبرى عن ذلك فذكر : « لقى الجنـــد ما لم يلق جيش حتى ان كان الرجل ليخاف أن يخرج من العسكر وحده »(٥٥) • وأوضح ميخائيل السريانى وابن العبرى سبب هذا الخوف فذكر كل منهما استكمالا لعبارة الطبرى « •• من البلغار الذين استجاشهم ليو ومن الروم الذين يحاربونهم فى الداخل »(٥٦) •

وازاء تزايد خطر البلغار على الجيش الاسلامى المحاصر للعاصمة البيزنطية فقد كتب مسلمة بن عبد الملك لاخيه سليمان يخبره بما حدث للمسلمين على أيديهم ويطلب منه المدد ، فأرسل اليه سليمان جيشا كثيفا ، كان على رأسه مسعدة أو عمرو بن قيس الكندى ، وعبد الله

---

(٥٤) نفس المصدر والجزء والصفحة •

(٥٥) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٣١ ، وانظر ايضا : العيون والحدائق ، ج ٣ ، ص ٣٣ •

(٥٦) زاكية رشدى ، ميخائيل السريانى ، ص ١٨٥ — ١٨٦ ، Michel Le Syrien, Chronique, Part 2, p. 485. ، ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٧ •

ابن الوليد بن عقبة[٥٧] . وأمر سليمان هذا الجيش بأن يعبر خليج القسطنطينية أولا فيقاتل ملك البرجان (أى البلغار) ثم يرجع الى مسلمة ، وذهب هذا الجيش الى بلاد البلغار وقاتلهم قتالا شديدا ، وهزم المسلمون البلغار ، وقتلوا منهم عددا كبيرا وسبوا وأسروا عددا كبيرا أيضا ، وأطلقوا سراح الاسرى المسلمين فى بلاد البلغار ، ثم ذهبوا الى مسلمة[٥٨] .

وطال أمد الحصار واستمر خلال أشهر الشتاء وكان شتاء عام ٩٩ هـ / ٧١٧ — ٧١٨ م قارسا شديدا البرد ، وغطى الجليد — كما يذكر ثيوفانيس Theophanes الاراضى المحيطة بالقسطنطينية نحو مائة يوم ، واشتد الضيق بالمسلمين وهلك كثير من خيلهم وجمالهم وبغالهم[٥٩] . وذكر صاحب العيون والحـدائق « أن سليمان بن عبد الملك عجز أن يمدهم بشىء من الازواد لكثرة البرد والثلوج »[٦٠] حقيقة أن المسلمين احتاطوا لهذا الشتاء « فعملوا بيوتا من خشـب وحفروا أسرابا »[٦١] . الا أن البرد كان شديدا جدا وراح ضحيته عدد كبير من المسلمين ، ولهذا استطاع ليو أن يفخر بأن أشهر الشتاء (ديسمبر ويناير وفبراير) كانوا أعظـم قواده » على حد تعبير أومان[٦٢] .

---

(٥٧) الطبرى ، جـ ٦ ، ص ٥٣٢ ، اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، م ٢ ، ص ٣٠٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ١٨٤ .

(٥٨) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ١٨٤ .

(٥٩) Theophanis, Chronographia, P. 609.

وانظر ايضا : العيون والحدائق ، جـ ٣ ، ص ٣٠

Cedrenus, Compendium, I P. 789.

(٦٠) العيون والحدائق ، جـ ٣ ، ص ٣٣ .

(٦١) الطبرى ، جـ ٦ ، ص ٥٣٠ ، العيون والحدائق ، جـ ٣ ، ص ٣٢ .

(٦٢) اومان : الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة مصطفى طه بدر ، ص ١٤٦ .

وبدأت المجاعة تهاجم المعسكر الاسلامى ونفذت جميع المؤن واضطر الجنود الى أكل الدواب والجلود وأصول الشجر والورق وكل شىء[٦٣] ، هذا فى حين كان أهل القسطنطينية فى سعة من العيش فيذكر الذهبى : « أن الاهراء من الطعام كالتلال لا نصل اليها يكايد بها أهل القسطنطينية المسلمين »[٦٤] . وترتب على المجاعة أن انتشرت الاوبئة والامراض داخل المعسكر الاسلامى فيذكر الكوفى « ووقع الوباء فى المسلمين فمات منهم خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان »[٦٥] .

ثم جاءت الضربة القاضية والاخيرة من جانب البلغار ففى ربيع عام ٩٩هـ / ٧١٨ م اشتدت هجمات الجيش البلغارى على المسلمين المحاصرين للقسطنطينية فيذكر ثيوفانيس Theophanis بعد أن ذكر المجاعة والوباء « كما أعلنت أمة البلغار الحرب عليهم ، ويقول العارفون بالامور أنهم قتلوا منهم ٣٢ ألفا ، كما أصابتهم فى تلك الايام كوارث ومصائب كثيرة »[٦٦] .

وهكذا كان دور البلغار من العوامل التى أثرت تأثيرا كبيرا على الجيش الاسلامى المحاصر للقسطنطينية ، فقد كان البلغار عدوا لم يتوقعه العرب هاجمهم من الشمال ، اذ انقض عليهم فى تراقيا وأفنى

---

(٦٣) انظر : الطبرى ، جـ ٦ ، ص ٥٣١ ، العيون والحدائق ، جـ ٣ ص ٣٣ ،
Theophanis, Chronographia, P. 611, Denys Detell Mahre, Chronique, P. 13.

(٦٤) الذهبى : تاريخ الاسلام ، جـ ٢ ، ص ٣٣٣ ، القاهرة ١٣٦٨ هـ .

(٦٥) الكوفى : كتاب الفتوح ، جـ ٧ ، ص ٣٠٦ ، وانظر ايضا :
Theophanis, Chronographia, P. 611 Cedrenus, Compendium I, P. 790.

(٦٦) Theophanis, Chronographia, P. 611.
وانظر ايضا : Cedrenus, Compendium, P. 790.

العديد منهم ثم ظل البلغار يشنون هجماتهم على المعسكر الاسلامى وبلا انقطاع ، واستخدوا وسائل المكر والخداع فى سبيل القضاء على المسلمين ثم سددوا لهم الضربة الاخيرة فى ربيع عام ٧١٨ م مما دفعهم الى الانسحاب فى الصيف والعودة الى بلادهم خاصة بعد أن توفى الخليفة سليمان بن عبد الملك وخلفه عمر بن عبد العزيز الذى أصدر أوامره برفع الحصار عن القسطنطينية والعودة الى الشام بالجيش والاسطول وأرسل اليهم « الكسى والاطعمة والخيل »(٦٧) • وفى ١٣ محرم عام ١٠٠ هـ / ١٥ أغسطس عام ٧١٩ م قام المسـلمون برفع الحصار عن القسطنطينية • وبذلك أصبح بلغار الدانوب مؤخرة بيزنطة الصلبة القوية فعلى الرغم من ضعف بيزنطة فى البلقان وقت حصـار المسلمين للقسطنطينية ، وقد عبر عن ذلك صاحب كتاب العيون والحدائق اذ يقول : « وبلاد تراقية يومئذ خراب خربت فى تلك الفتن ••• وهى عندهم من أعظم عيوب القسطنطينية لو أن جيشا جاء الى القسطنطينية لما احتاج الى ميرة ولا نقل طعام »(٦٨) • الا أنه بمسـاعدة البلغار أصبحت تراقيا الاكثر ضعفا هى مؤخرة بيزنطة القوية الفعالة ، والتى بفضل هجماتها المستمرة على المعسكر الاسلامى ، أجبرت المسلمين على الانسحاب •

وهناك صورة مصغرة تبرز بوضوح دور بلغار الدانوب الى جانب ليو الثالث الايسورى فى مواجهـة حملة مسـلمة بن عبد الملك على القسطنطينية • ويظهر فى أعلى هذه الصورة الامبراطور ليو الثالث جالسا على العرش وعلى يمينه كتيبة من فرسان البلغار تطارد المسلمين ،

---

(٦٧) العيون والحدائق ، جـ ٣ ، ص ٣٣ . وعن قرار القفول والعودة ونص كتاب عمر بن عبد العزيز لمسلمة انظر : الكوفى ، الفتوح ، جـ ٧ ، ص ٣٠٧ — ٣٠٨ ، ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، مصر ١٩٢٧ م ، ص ٣٣ ،

Theophanis, P. 613.

(٦٨) العيون والحدائق ، جـ ٣ ، ص ٢٧ •

وعلى رأس هذه الكتيبة قائدها يمسك فى يده اليسرى درعا وفى يده اليمنى رمح يرشق به واحد من هؤلاء المسلمين ، وفى أسفل هذه الصورة تظهر الارض تحت أقدام فرسان البلغار مغطاة بالجثث وأشلاء المسلمين[٦٩] .

ومن الجدير بالذكر أن الدبلوماسية البيزنطية نشطت فى النصف الاول من عام ٩٩ هـ / ٧١٨ م من أجل جذب حلفاء جدد ضد المسلمين ، وهذه المرة اتجهت بيزنطة نحو البلغار الاصليين أى بلغار كوبراتوس Koubratos الذين قطنوا شمال سالونيك وفى سهل Ceramesum [٧٠] ، فيذكر المؤرخ والبطريرك نيقفوروس Nicephorius أن الامبراطور ليو الثالث كان قد أرسل البطريق سيسنيوس Sisinnius الملقب بـ Rhendacius الى بلاد البلغار يطلب مساعدتهم له ضد السراكين (أى المسلمين)[٧١] .

ويذكر نيقفوروس أيضا أن الامبراطور السابق ارتيميوس Artemius (أى اناستاسيوس الثانى) الذى كان يعيش فى بلاد البلغار منفيا[٧٢] — أرسل رسالة الى سيسينيوس فور وصوله الى بلاد البلغار — أخبره فيها بأنه يود العودة الى القسطنطينية من أجل استرداد عرشه ، وأنه يحاول الحصول على مساعدة من جانب البلغار الذين يعيش فى بلادهم ، وأقنع سيسنيوس بأن ينضم اليه فوعده سيسينيوس Sisinnius خيرا[٧٣] .

وبدأ اناستاسيوس الثانى يعد العدة للتمرد والثورة ضد الامبراطور الجالس على العرش وهو ليو الايسورى ، وجاء فى

(٦٩) Gujzelev, La Participation, P. 103.
(٧٠) انظر ما سبق .
(٧١) Nicephorius Breviarium, P. 62.
(٧٢) انظر ما سبق حاشية ٢٤ .
(٧٣) Nicephorius, P. 62.

معجزات القديس ديمتريوس أنه نجح فى الحصول على مساعدة من جانب السلطات المحلية فى سالونيك ، ومن جانب بلغار كوبراتوس كما تذكر المعجزات أن سيسينيوس Sisinnios استراتيجوس ثغر الهيلاس أتى وبصحبته أسطول وبحارة الى سالونيك لينقل هــؤلاء البلغار الى القسطنطينية(٧٤) .

خرج اناستاسيوس الثانى على رأس أسطول وجيش يتألف من بلغار كوبراتوس أى البلغار الاصليين ، وكان على رأس هذا الجيش البطريق سيسينيوس ، واتجه أناستاسيوس نحو القسطنطينية — فى الوقت الذى قام فيه المسلمون برفع الحصار عنها — ووصل الى هراقليا Heraclia ، وعندما علم ليو الثالث بذلك كتب الى البلغار يطلب منهم أن يسلموه المتآمرين وانه يفضل السلام معهم ، ويذكر نيقفوروس Nicephorius أن البلغار استجابوا له وأرسلوا اليه الامبراطور السابق ارتيميوس Artemius (أناستاسيوس الثانى) كما أرسلوا له مطران سالونيك ، وقتلوا قائد جيش أناستاسيوس وهو البطريق سيسينيوس(٧٥) .

وهكذا لعب البلغار الاصليون دورا أساسيا وهاما فى القضاء على محاولة التمرد التى قام بها الامبراطور السابق اناستاسيوس الثانى والتى أراد بها استعادة عرشه وفضلوا السلام مع ليو الثالث شأنهم فى ذلك شأن اخوانهم بلغار الدانوب ، أما فيما يتعلق بمساعدتهم لليو فى مواجهة حملة مسلمة بن عبد الملك فلم تكن ذات جدوى وذلك

---

(٧٤) Miracula St, Demtrii, Liber II, In P.G.T. 161, Cols. 1368 — 70

وانظــر ايضا :

Ahrweiler, Byzance et la mer, PP. 27 — 29.

(٧٥) Nicephorius, Breviarium, P. 63.

Ahrweiler, Byzance et la mer p. 29.

Gjuzelev, La Participation, P. 108.

لانهم عندما وصـلوا الى القسطنطينية بصحبة اناستاسيوس كان المسلمون قد رفعوا الحصار عنها .

صفوة القول أن دور البلغار كان عاملا مؤثرا فى فشـل حملة مسلمة بن عبد الملك على القسطنطينية غير أنه لم يكن العامل الوحيد بل كانت الى جانبه عوامل أخـرى أجملها فشر فى عبـارته التالية : « امبراطور شاب قدير ، تسنده استحكامات هائلة وأسـوار سامقة وبحرية مسيطرة على البواغيز ، فضلا عن النار الاغريقية التى لم يعرف المسلمون وقتئذ عنها شيئا »[٧٦] . ويضاف الى هذا كله الظروف الطبيعية ممثلة فى رداءة الملاحة فى مياه القسطنطينية الاقليمية ، الى جانب الشتاء القارس ، والمجاعة والوباء كل هذا أضر بالاسـطول وبالجيش الاسلامى ضررا بالغا .

على أية حال فان فشل المسلمين فى الاستيلاء على القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية فى عام (٩٨ ــ ٩٩ هـ / ٧١٧ ــ ٧١٨ م) يعتبر حدثا هاما ليس بالنسبة للدولة البيزنطية فحسب بل وبالنسبة لتاريخ شرق أوربا كله . فخروج بيزنطة منتصرة فى هذه الجولة مع المسلمين كتب لها البقاء ، وجعلها تحتفظ بمكانتها وهيبتها أمام دول غرب أوربا لفترة طويلة ، كما حمى شرق أوربا من هجمات المسلمين وحال دون انتشار الاسلام ليس فى الاراضى البيزنطية فحسب بل وبين شعوب شرق أوربا ممثلة فى السـلاف والبلغار والآفار ، تلك الشعوب التى كانت لا تزال على وثنيتها . ولعل هذا ما دعا البعض الى القول بأن انتصار بيزنطة على المسلمين كان أعظم أثرا من انتصار شارل مارتل فى معركة توربوتييه فى عام ٧٣٢ م[٧٧] .

---

(٧٦) فشر : أوربا العصور الوسطى ، جـ ١ ، الترجمة العربية ، ص ٦٩ .

(٧٧) انظر : العدوى ، الامويون ، ص ٦٢ ، فشر : أوربا العصور الوسطى ، جـ ١ ، ص ٦٩ ، عمر كمال : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٨١ ،
Diehl, The Byzantine Empire, P. 54, Cam. Med. Hist., Vol. IV, Part I, P. 63.

قائمة المصـــادر والمــراجع

أولا ــ المصـــادر العــربية :

١ ــ ابن الاثير (محمد بن محمد بن عبد الكريم ت ٦٣٠ هـ / ١٣٢٢ م)
ــ الكامل فى التاريخ ، الجزء الخامس ، بيروت ١٩٨٢ م .

٢ ــ ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت حوالى ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) .

ــ المسالك والممالك ــ ويليه نبذه من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر ت ٣٢٠ هـ / بريل ١٨٨٩ م .

٣ ــ ابن العبرى (غريغوريوس أبى الفـــرج بن هرون الملطى ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) .

ــ مختصر تاريخ الدول ، بيروت ١٩٨٣ م .

٤ ــ ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ت ٧٧٤ هـ/١٣٧٢ م)
ــ البداية والنهـــاية ، جـ ٩ ، بيروت ١٩٨٣ م .

٥ ــ الطــبرى (أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)
ــ تاريخ الرسل والملوك ، الجزء السادس ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٩ م .

٦ ــ كتاب العيون والحدائق فى أخبار الحقائق
مجهول المؤلف ، جـ ٣ ، بريل ١٨٧١ م .

٧ ــ الــكوفى (أبو محمد أحمد بن اعثم الكوفى ت نحو ٣١٤ هـ / ٩٣٦ م) .
الجزء السابع ، بيروت ١٩٧٥ م .

٨ ــ المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)
ــ التنبيه والاشراف ، ليــدن ١٩٦٧ م .

٩ ــ ياقوت الحموى (ابن عبد الله الحموى الرومى ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)
ــ معجم البلدان ، المجلد الثانى ، القاهرة ١٩٠٨ م .

١٠ ــ اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م)
ــ تاريخ اليعقوبى ، مجلدان ، بيروت ١٩٦٠ م .

ثانيا ــ المصادر الأجنبيــة :

— Bar Hebreaeus The Chronography of Gregory Abu'l Faraj Tr. From the Syriac by Wallis Budge, London, 1932.

— Cedrenus G. Compendium Historiarum, Vol. I In Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae, Bonnae, 1838.

— Denys De tell-Mahre, Chronique, Quatrieme Partie, Publiée et traduite par J. B. Chabot paris, 1895.

— Hymnus Acathistus, In Patrologiac Graecae, Tomus 92,

— Michel Le Syrien, Chronique, tr. en Francais Par J.B. Chabot, T. II, Paris, 1904.

— Miracula St Demetrii, In Patrologia Graecae, Tomus 161 pp. 1204 — 1425, Paris, 1864.

— Nicephorius, Breviarium rerum Post Mauricium Gestarum, In Corpus Scriptorum Historiac Byzantinae, Bonnae 1837.

— Synaxarium Ecclesiae Constantinoplitanae, In Propylaeum Acta Santorum Novembris, (ed) Hippolyti Delehaye, Bruxellis 1902.

— Theophanis, Chronographia, In Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae, Bonnae 1839.

— Zanoras, Epitomae Historairum Libri, T. 3, 1897.

ثالثا — المراجــع الأجنبيــة :

— Ahrweiler, H. Byzance et la Mer, Paris 1966.

— Brooks E.V "A Syriac Chronicle of the Year 846"
In Zeitschrift der Deutschen Morgen Landischen Gesellschaft, Vol. 51 (1897) PP. 569 — 588.

— "The Compaigns of 716 — 718, from Arabic Sources In the Journal of Hellenic Studies, Vol. 19 (1899). PP. 19 — 33.

— "The Arabes in Asia Minor (614 — 750) from Arabic Sources" In The Journal of Hellenic studies Vol. XVII (1898) pp. 182 — 208.

— Canard, M., "Les Expeditions des Arabes Contre Constantinople dans l'histoire et des la Legende". dans Journal Asiatique (1926) T. CVIII, PP. 61 — 121.

— Dvornik F., Les Slaves.
Byzance et Rome au IX Siècle, Paris 1926.

— Gjuzelev, V. "La Participation des Bulgares a l'èchec du Siège Arabe de Constantinople en (717 — 719) dans Congres International des Etude Historiques à l'Occasion du XVeme pp. 91 — 113, Bucarest 1980.

— Lebeau, Histoire Du Bas-Empire, T. XII, Paris 1831.

— Lemerle, P., "Invasions el Migrations dans le Balkans", dans Revue Historique (1954) PP. 265 — 308.

— Obolensky D. The Byzantine Commonwealth Eastern Europe, 500 — 1453, London, 1971.

— Ostrogorsky, "The Byzantine Empire in the World of the seventh century", In Dumburton Oaks Papers (1959), PP. 3 — 20.

— Runciman, S. A History of the first Bulgarian Empire. London, 1930.

رابعا ــ المراجع العربية والمعربة :

ـــ ابراهيم العـــدوى : الامويون والبيزنطيون ، القاهرة ١٩٥٣ م

ـــ أومـــــــــان : الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة مصطفى طه بدر ، القاهرة ١٩٥٣ م •

ـــ حسنين محمد ربيع : دراسات فى تاريخ الـــدولة البيزنطية ، القاهرة ١٩٨٦ م •

ـــ زاكيه محمد رشدى : « ميخائيل السريانى الكبير وتأريخه لعصر صدر الاسلام والعصر الاموى » رسالة دكتوراه غير منشورة • جامعـــة القاهرة برقم (٢٤٢) عام ١٩٦١ م •

ـــ السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ٣٢٣ ــ ١٠٨١ م القاهرة ١٩٦٥ م •

ـــ فشـــــــــــــر : تاريخ أوربا العصور الوسطى •
ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العرينى الجزء الاول ، مصر ١٩٦٩ م •

ـــ محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، بيروت ١٩٨١ م •

ـــ وسام عبد العزيز فرج : العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الاموية حتى منتصـــف القرن الثامن الميلادى ــ اسكندرية ١٩٨١ م •

عشـــر صـــلاح الدين
وأصـــوله التاريخية فى غرب أوربـــا
ومملكة بيت المقـــدس الصـــليبية

دكتور حسين محمد عطية
كلية الآداب ــ جامعة طنطا

بدأ تالحركة الصليبية مشروعا بابويا خالصا ، ألقت به كنيسة روما على كاهل المجتمع الاوربى الغربى بكل طوائفه[1] • واستمر الغرب فى تنفيذ تعليمات بابوات روما بدعم الركائز التى أقامها صليبيو الحملة الاولى فى الشرق الادنى الاسلامى ، اما بالدفع بالحمـــلات الصليبية ، الحملة تلو الحملة ، أو بارسال المعونات المادية للكيـــان الصليبى فى بلاد الشـــام •

وتدرجت مسئولية القيام بالحملات الصليبية حسب الوضـــع الاجتماعى والسياسى والاقتصادى للمشتركين فى هذه الحملات من أهل الغرب • فما كان يكفى بطرس الناسك أو اقرانه من حماسة صليبية وتعصب ضد المسلمين للتسلح به ، غافلين ما يتطلبه المشروع الصليبى من اعداد وتجهيز للايفاء بنذرهم الصليبى ، لم يكن ليكفى ملـــوك وأباطرة أوربا للايفاء بذلك النذر أمام الحقيقة التى تعلموها خلال حروبهم فى أوربا وحروب من سبقهم من الصليبيين فى الشرق ، وهى : لكى يكون الملك محاربا Rex Bellicosus يجب أن يكـــون ملكا غنيـــا Rex Pecuniosus •

---

(١) جوزيف نسيم يوسف : دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، الاسكندرية ١٩٨٨ ، ص ٣٨ •

(٢) J.O. Prestwich, Richard Coeur de Iion, Rex Bellicosus Riecardo Cuor di Leon Nella Storia et Nella Legenda (Academia Nazionale dei Lincei no. 253) (Rome 1981). P. 18.

وقد كانت الحملات الصليبية ـ خاصة المتوجهة الى الشرق الأدنى الاسلامى ـ باهظة التكاليف . ولم يكن فى استطاعة أحد من ملوك أوربا أن يتحمل تكاليفها بموارده الخاصة وحدها . لذلك بادر ملوك أوربا ـ عند شروعهم للقيام بحملة صليبية أو تقديم المساعدة للكيان الصليبى فى بلاد الشام ، باتخاذ الاجراءات الرسمية لتمويلها . ومن هذه الاجراءات وأهمها كان فرض الضرائب العامة على أفصالهم جميعا . وكانت أكثر هذه الضرائب شهرة تلك التى فرضها ملكا فرنسا وانجلترا فى عـام ١١٨٨ م / ٥٨٤ هـ والتى عرفت باسـم « عشر صلاح الدين »[٣] .

ذلك أنه ترتب على انتصار صلاح الدين الايوبى فى موقعة حطين (١١٨٧ م / ٥٨٣ هـ) سقوط مملكة بيت المقدس الصليبية فعاد كل شىء داخل المدينة المقدسة الى ما كان عليه منذ أكثر من ثمانية وثمانين عاما قبل ذلك التاريخ ، الناس ، والقوانين ، والاسلام . وبينما راحت أروقة القدس تردد صدى شعائر الجمعة[٤] ، ساءت أحوال الصليبيين وتشرد كثيرون منهم ، فى بلاد الشام دون عون أو مأوى ، ومن توجه منهم الى مصر كان أوفر حظا[٥] . وعاد الكثيرون منهم الى أوربا حيث

---

(٣) Lousie and Jonathan Riley-Smith, The Crusades, Idea and Reality (1095 — 1274) Londuon, 1981, P. 143.

(٤) ادى المسلمون فريضة الجمعة فى المسجد الاقصى يوم فتح بيت المقدس (٢ أكتوبر ١١٨٧ م / ٢١ رجب ٥٨٣ هـ) . وكانت أول صلاة جمعة تقام فى بيت المقدس منذ استولى عليها صليبيو الحملة الاولى . انظر : ابن شداد (بهاء الدين) : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ٨٢ .

(٥) بعد فتح صلاح الدين لمدينة بيت المقدس توجه جزء من سكانها الصليبيون الى طرابلس حيث رفض ريموند كونت المدينة دخولهم اليها ، ونهبهم صليبيو نيفين ، ووصلوا اخيرا الى انطاكية حيث توجه جزء منهم الى القسطنطينية . أما من توجه من الصليبيين الى مصر ، فقد تم تجميعهم فى الاسكندرية فى معسكر منعزل حتى لا يتعرضلهم المواطنون المتحمسون ، وفى

أعلنوا فى حزن شديد ، المصائب التى حلت بمملكة جودفرى دى بويون ، ولما كان هناك اقتناع فى ذلك الوقت بأن خلاص العقيدة المسيحية مرتبط بمحافظة الصليبيين على بيت المقدس ، فقد أثارت انتصارات صلاح الدين الفزع فى غرب أوربا كله[٦] . وكان على البابوية أن تعيد جهود البابا أوربان الثانى (١٠٨٨ — ١٠٩٩ م) مرة أخرى ، لاثارة الحماسة الصليبية فى نفوس أهل الغرب ، بتلبية الاستغاثات التى بعث بها صليبيو الشام الى الغرب[٧] . وكان لذلك أثره . فتصالح هنرى

=

مارس ١١٨٨ م / محرم ٥٨٤ هـ تم نقلهم الى صقلية على ظهر اسطول مسيحى . انظر :

Eracles, l'Estoire d'Eracles, Empereur et la Conqueste de La Terre d'Outremer, in RH.C. — H. Occ., Vol. 1, pp, 100 — 103; Annales de Salimbene, in M.G.H. SS., Vol. 32, P 5; Ralph Niger, Chronica Anglica, in M. G.H.SS. Vol. 27, p, 252,

راجع أيضا : حسين عطية ، امارة انطاكية الصليبية والمسلمون ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ م ، ص ٢١٠ .

(٦) Rigord, Gesta Philippi 11 Augusti, in M.G.H.SS. Vol XXVI, P. 280.

(٧) لم يتحمل البابا أوربان الثالث (١١٨٥ — ١١٨٧) أنباء الكارثة التى حلت بالكيان الصليبى على يدى صلاح الدين ، واغتم . ومات فى ٢٠ اكتوبر ١١٨٧ م ، وترك خلفه جريجورى الثامن (١١٨٧ م) ليوقظ غرب أوروبا من غفلة الحزن التى انتابته ، وحث الناس على حمل الصليب والسلاح لانقاذ المملكة الصليبية المتداعية فى الشرق . وقد أصدر البابا مرسوما — فور تقلده منصب البابوية فى ٢١ اكتوبر ١١٨٧ م — دعا فيه الى قيام ما عرف بالحملة الصليبية الثالثة ، وقد ذكر لمسيحيى الغرب أن الذنوب التى اقترفها المسيحيون الى جانب خلافات حكام الفرنج فى بلاد الشام هى التى أدت الى غضب الرب على الجميع فمنح نصره لصلاح الدين دون الفرنج ، وعدد انتصارات صلاح الدين . ثم اختتم البابا مرسومه باعلان قواعد تنظيم الحملة المزمع قيامها ، فوعد كل من يشترك فيها بالغفران لذنوبه ، وبكل الامتيازات التى ضمنها البابا أوربان الثانى لصليبى الحملة الاولى . وفكر البابا فى اقرار السلام بين القوى المسيحية فى أوربا للتفرغ للاشترك فى

الثانى وفيليب أوغسطس ملكا انجلترا وفرنسا متخليان عن خلافاتهما لفترة ، من أجل القيام بحملة صليبية مشتركة لنجدة الكيان الصليبى المتداعى فى بلاد الشام . وفى النهاية قرر الملكان فرض ضريبة عامة فى بلديهما يخصص عائدها لاحياء مملكة بيت المقدس الصليبية ad subventionem terrae Ierosolymitanae [٨] . وفى أواخر

= الحملة الصليبية التى يدعو اليها . فارتحل الى بيزا لتسوية الخلافات المتفجرة بين بيزا وجنوة ، ومات جريجورى الثامن فى بيزا قبل أن ينجز مشروعه الصليبى وذلك فى ١٧ ديسمبر ١١٨٧ م تاركا أمر توجيه الحملة لخليفته البابا كليمنت الثالث (١١٨٧ — ١١٩١ م) الذى سارع بمراسلة ملوك غرب أوربا . وكان للنداءات اليائسة التى بعث بها قادة الصليبيين فى بلاد الشام الى حكام أوربا بعد سقوط مملكة بيت المقدس دور كبير فى حث المجتمع الاوربى الغربى على ايفاد الحملة الصليبية الثالثة . فالى جانب رسائل بوهيمند الثالث أمير انطاكية (١١٦٣ — ١٢٠١ م) وايمرى دى ليموج بطريركها اللاتينى (١١٤٠ — ١١٩٣ م) الى هنرى الثانى ملك انجلترا ، بعث قادة الداوية والاستبارية برسائل مماثلة الى حكام غرب أوربا . كما توجه جوسياس رئيس أساقفة صور الى غرب أوربا ، وقابل البابا وملكى انجلترا وفرنسا بشأن انقاذ صليبى الشام . انظر :

Benedict of Peterbrough, Gesta Regis Henrici Secundi, ed. W. Stubbs, 2 Vols, in R.S., London. 1867, Vol. 2, pp. 13 — 19, Anzbert, Expeditio Friderici, in Quellen sur Geschichte des Kreuzzuges Kaiser Friedrichs I, ed. Chroust, in M.G.H. Berlin 1892, pp 2 — 3; Chronica Regia Coloniensuis, in M.G.H.SS., in Usum Scholarum, 1880, PP. 137 — 138

راجع ايضا : حسنين عطية : امارة انطاكية والمسلمون ، ص ٢٢١ .

(٨) اجتمع الملكان فى مكان بين مدينتى جيزورز Gisors وتريه Trie على الحدود بين نرمنديا وفرنسا خلال الفترة من ١٣ الى ٢١ يناير ١١٨٨ م . وحضر هذا الاجتماع رؤساء الاساقفة والاساقفة والكونتات والبارونات من البلدين . انظر :

William of Newburgh, Historia Rerum Anglicarum, in Chronicles of the Reigns of Stephen, Henry II, and Richard, I, ed., Richard Howlett, in R. S., London 1884 — 9, Vol I, pp. 272 — 273.

يناير ١١٨٨ م / أواسط ذى القعدة ٥٨٤ هـ اجتمع مجلس الملك هنرى فى لى مان Le Mans حيث أصدر مرسوم الضريبة وهو المرسوم الذى ورد نصه فى أشكال متعددة[٩] كان أدقها ما أورده المؤرخ الانجليزى بندكت راهب بيتر بورو[١٠] • وبناء على ما جاء فى مرسوم

---

(٩) وردت نصوص مرسوم هنرى عند كل من جريفاس راهب كنيسة كانتربرى وروجرهوفدن وهما نصان متقاربان ، وورد نص المرسوم فى شكل فريد عند وليم راهب نيوبرج . وبالرغم من الايجاز الذى اتسم به النص عنده ، الا انه الوحيد الذى أورد تواريخ اجتماعات الملكين ، كما ينسب المرسوم اليهما معا . وربما ينطبق ذلك على اتفاقهما على فرض الضريبة فى بلديهما . ولكن المتوفر فقط كما تشير كافة المصادر التاريخية هو المرسوم الذى أصدره هنرى الثانى وحده فى لى مان بعد انتهاء الاجتماع مع فيليب اوغسطس . انظر :

Gervase of Canterbury, Opera Historica, ed. W. Stubbs, 2 Vols, in R.S., London, 1879 — 80, Vol. 1 PP. 198 — 199; Roger of Howden, Chronica, ed. W. Stubbs 4 Vols., in R.S; London, 1868 — 71 Vol. 2, PP. 335 — 337.

William of Newburgh, Historia Rerum, PP. 273 — 274.

(١٠) ولد بندكت رئيس بيتر بورو فى عام ١١٧٧ م ومات فى عام ١١٩٣ م • وكرس كتابه ليكون تاريخا لاعمال الملك هنرى الثانى • ومع ذلك فتاريخه يهتم بأحوال غرب أوربا والكنيسة اللاتينية وعلاقة انجلترا بهما . كما تضمن تاريخه جزءا كبيرا من عهد ريتشارد الاول . ويكاد يتشابه تاريخه الموجز فى سرد رواياته مع تاريخ روجرهوفدن • حتى أن البعض يرى ان كتاب بندكت هو الخطة الاولية لتاريخ روجر . وكان بندكت معاصرا لكل الاحداث التى رواها . لذلك يتمتع تاريخه بالاصالة والدقة . وقد أورد بندكت البنود الاربعة التى يتكون منها مرسوم هنرى الثانى الخاص بعشر صلاح الدين . ثم تبعها بالبنود الثمانية الخاصة بتنظيم الحملة والتى ينسبها روجر هوفدن الى البابا كليمنت الثالث كقرارات اصدرها بشأن الضريبة والحملة معا ، انظر :

Benedicut of Peterborough, Gesta Regis, Vol. 2, PP. 30 — 32.

C.F. Also, Dores M Stenton, Roger of Howden and Benedict in E.H.R., 1953, PP. 574 — 582; Antonia Gransden Historical Writing in England (C. 500 — C. 1307), 2 Vols, London, 1974, Vol. 2, PP. 222 ff.

لى مان ، تقرر أن يدفع كل شخص من رعايا الملك الانجليزى — سواء من يقيم منهم فى انجلترا أو فى أملاك هنرى فى فرنسا — عشر دخله ومنقولاته سواء كان ذلك الشخص من العلمانيين أو من رجال الدين[١١] .

واذا كانت ضريبة عام ١١٨٨ م / ٥٨٤ هـ من أشهر الضرائب الصليبية ، فهل كانت نوعا مستحدثا من الضرائب فى غرب أوربا ؟ أم كانت لها سابقة تاريخية ؟ واذا كان الأمر كذلك ، فما مدى تأثير ذلك على تطور هذا النوع من الضرائب ؟ . والاجابة عن هذه التساؤلات فى واقع الأمر هى هدف هذا البحث .

الواقع أن المصادر التاريخية تكشف عن وجود سوابق تاريخية فى عصر الحروب الصليبية ذات أشكال متعددة تشبه ضريبة عام ١١٨٨ م . ففى عام ١١٤٦ م / ٥٤١ هـ قرر لويس السابع ملك فرنسا (١١٣٧ — ١١٨٠ م) — استعدادا للقيام بالحملة الصليبية الثانية — اجراء حصر سكانى فى بلاده لفرض ضرائب فى كل أنحاء مملكته دون مراعاة للجنس أو الطبقة أو المركز الاجتماعى[١٢] .

ومرة أخرى ، وفى عام ١١٦٦ م / ٥٦١ هـ قرر كل من هنرى الثانى ملك انجلترا ولويس السابع ملك فرنسا فرض ضريبة عامة على

---

(١١) راجع أيضا ملحق رقم (١) بآخر البحث .

(١٢) " Per totam Galiam fit descriptio generalis; non sexus, nec ordo, non dignitas quempiam excusavit quin auxilium regi conferret"

انظر : Radulf de Diecto, Abbreviationes Chronicorum, in his Opera Historica, ed. W. Stubbs, 2 Vols, in R.S. Lnodon, 1876, Vol. 1, PP. 256 — 257. C.F. also, Benjamin Z, Kedar, The General "Tax of 1183 in the Crusading Kinghom of Jerusalem, in E. H. R. Vol. 89, 1974, P. 340.

اتباعهما ، لمساعدة مملكة بيت المقدس الصليبية[١٣] . وقد حفظت لنا المصادر مرسوم هنرى الثانى الذى أصدره فى مدينة لى مان فى ١٠ مايو ١١٦٦ م / ٥٦١ هـ وشـــمل أيضا أملاكه الاوروبية ، اذ ورد النص الكامل لهذا المرسوم فى نسخة وحيدة فى تاريخ جيرفاس راهب كنيسة كانتربرى[١٤] . وفى أواخر العام نفسه (١١٦٦ م / ٥٦٢ هـ)

---

(١٣) اجتمع هنرى الثانى ولويس السابع لبحث وســـائل اقرار السلام بينهما . وربما كان اتفاقهما على مساعدة مملكة بيت المقدس الصليبية تعويضا من جانب الملك الفرنسى عن فشل حملته (الحملة الصليبية الثانية ١١٤٨ م) فى دعم الكيان الصليبى فى بلاد الشام ، ومن جانب الملك الانجليزى عن عدم مشاركته فى الجهد الصليبى حتى ذلك الوقت . انظر :

Robert of Torigny, Chronicua, ed. R. Howlett, in Chronicles of the Reigns of Stephen, Henry II, and Richard I in R.S., London, 1884 — 9, Vol. 4, pp. 226 — 227; Radulf de Decito, Ymagines Historiarum, in his Opera Historia, ed. W. Stubbs, in R.S., London, 1876, Vol. 2, 329.

(١٤) جيرفاس راهب كنيسة كانتربرى أحد رجال الدين الانجليز الذين استهوتهم كتابة التاريخ السياسى لانجلترا وعلاقاتها بدول غرب أوربا ، الى جانب وظائفهم ومؤلفاتهم الدينية . ولد جريفاس فى عام ١١٤٥ م . وفى الثامنة عشرة من عمره (١١٦٣ م) التحق راهبا بكنيسة كانتربرى . وفى عام ١١٩٣ م شغل وظيفة أمين غرفة مقدسات كنيسته حتى قبيل عام ١١٩٧ م ، ومات فى عام ١٢١٠ م . وعاش جيرفاس أدق سنوات كنيسته حيث عاصر الصراع بين هنرى الثانى واسقف كانتربرى توماس بيكيت ، كما عاصر مصرع هذا الاسقف فى عام ١١٧٠ م ، وكذلك الحريق الذى كاد يأتى على هذه الكاتدرائية فى عام ١١٧٤ م . وأثر ولاء جيرفاس لكنيسته على كتابته التاريخيـــة . وفى عام ١١٨٨ م بـــدا تدوين كتابه « الحوليـــة » Chronuica الذى يعالج الاحداث من سنة ١١٠٠ م الى سنة ١١٩٩ م . وتضمن تاريخه مثل كل مؤرخى عهد اسرة البلانتاجنيت أخبارا عن فرنج الشام وأحوالهم والحملة الصليبية التى قام بها ريتشارد الاول . واطلع على ما كان يرد الى انجلترا من تقارير رجال الداوية والاسبتارية الى زملائهم فيها . وقد وضع جيرفاس عدة نبذ دينية عن الصراعات بين رؤساء أساقفة كانتربرى والملوك الانجليز فى عهده . الى جانب عمل تاريخى آخر هو =

فرضت ضريبة العشر أيضا فى مملكة بيت المقدس نفسها ، حيث قرر الملك الصليبى عمورى الاول (١١٦٣ — ١١٧٤ م) أن يدفع رعاياه عشر دخلهم كضريبة استعدادا لحملته المرتقبة على مصر[١٥] وفى فبراير من عام ١١٨٣ م / شوال ٥٨٧ هـ اجتمع المجلس العام لمملكة بيت المقدس لدراسة الموقف الصليبى ، بعد تمكن صـــلاح الدين الايوبى من تحقيق نجاحات كبيرة فى اقليم الجزيرة ، حيث أخضـــع

=

اعمال الملوك (Gesta Regum) الانجليز ويعالج نفس الفترة الزمنية التى يعالجها عمله الاول ، وقد نشرت اعماله التاريخية فى مجموعة واحدة . وعن نص مرسوم ضريبة عام ١١٦٦ م انظر :

Gervase of Canterbury, Opera Historica, Vol. 1, PP. 189 — 199.

راجع أيضا ملحق رقم (٢) بآخر البحث . وللمزيد عن حياة جيرفاس ، انظـــر :

Antonia Gruanseden, Op. Cit; Vol. 2, pp. 253 — 260.

(١٥) كان الصراع بين شاور وضرغام وزيرى الخليفة الفاطمى العاضد فى عام ١١٦٣ م — ٥٥٩ هـ سببا فى قيام التنافس بين نور الدين محمود والملك عمورى الاول ملك بيت‌المقدس الصليبى . وكانت فرصة التنافس الاولى فى عام ١١٦٤ م — ٥٦٠ هـ وكانت الحملة التى فرض عمورى الضريبة من اجل القيام بها على مصر هى الفرصة الثالثة للتنافس بين الطرفين . وكانت تلك الحملة فى يناير ١١٦٧ م ربيع ثان ٥٦٢ هـ . وعن ظروف واحداث هذه الحملة ، انظـــر :

William ouf Tyre, A History of Deeds Done Beyond The Sea, 2 Vols, Trans. by E. Babcock and A. C. Krey, New York, 1943, Vol. 2, P. 313 ff.

راجع ايضا : ابن الاثير : الكامل فى التاريخ — ١٢ جـ — القاهرة ، (المطبعة الازهرية) ١٣٠١ هـ ، جـ ١١ ، ص ١٤٥ — ١٤٧ ، ابو شامة : كتاب الروضتين فى اخبار الدولتين النورية والصلاحية — جزءان فى مجلد واحد — القاهرة (مطبعة وادى النيل) ١٢٨٧ — ١٢٨٨ م ، جـ ١ ، ص ١٤٢ — ١٤٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب فى اخبار بنى أيوب — ٣ اجزاء — تحقيق جمال الدين الشيال — القاهرة ١٩٦٠ م ، جـ ١ ، ص ١٤٨ — ١٥٢ ، ابن شداد — النوادر السلطانية ، ص ٣٧ — ٣٨ .

لسلطته مدن الرها وحران والرقة وسروج ونصيبين وسنجار ، تمهيدا لاخضاع الزنكيين فى الموصل وحلب حتى يتفرغ للصليبيين تماما بعد أن يحيط باملاكهم من كل جانب(١٦) .

ورأى ذلك المجلس الصليبى ، بعد أن تابع نجاحات صلاح الدين بقلق بالغ ، كما أوضح وليم الصورى ، أن تكاليف الدفاع المتزايدة عن المملكة تستنفذ كل مواردها . لذلك تقرر باجماع الاراء ، فرض ضريبة عامة يخضع لها كل سكان المملكة من رجال دين وعلمانيين . وقد احتفظ وليم رئيس أساقفة صور ومستشار المملكة فى ذلك الوقت ، والذى عين أمينا على حصيلة هذه الضريبة ، بالنص الكامل لقرار ذلك المجلس الصليبى(١٧) . وكانت هذه الضريبة هى الاولى من نوعها

---

(١٦) كان فتح صلاح الدين لحلب فى ٢٢ يونية ١١٨٣ م —١٩ صفر ٥٧٩ هـ . انظــر : مؤرخ مجهول : البستان الجامع لجمع تواريخ الزمان — نشره مع ترجمة فرنسية كلود كاهن :

Claud Cahen, Un Chronique Syrien de Vle Siécle, in B.E.O., Vol. VIII, 1938, P. 144.

راجع ايضا : ابن العديم (كمال الدين) : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ٣ أجزاء : تحقيق سامى الدهان ، دمشق ١٩٥١ م ، جـ ٢ ، ص ٦٣ — ٦٩ ، وأيضا : سعيد عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، جـ ٢ ، ص ٧٧٦ — ٧٧٧ .

(١٧) تقرر فرض هذه الضريبة برضاء عام من كل النبلاء العلمانيين فضلا عن رجال الدين ، وبرضاء كل شعب المملكة الصليبية ، على أن يسرى هذا القرار فى كل انحاء المملكة . وان يخضع لها كل سكان المدن بغض النظر عن الجنس او الدين او الاصل ، وكل الكنــائس والاديرة والبارونات والاتباع والمرتزقة والمزارعين . وبالنسبة لسكان المدن قــد حددت الضريبة ببيزنط واحد عن كل مائة من قيمة المنقولات او اثنين عن كل مائة من الدخل reditibus وهؤلاء الذين لا تبلغ قيمة منقولاتهم مائة بيزنط ، كان عليهم ان يدفعوا ضريبة منزل (مأوى) تبلغ بيزنطا واحدا ، او نصف =

فى تاريخ المملكة الصليبية ، كما أنها لم تتكرر ولم تعتبر سابقة للمستقبل ، كما قرر المجلس الصليبى الذى فرضها ، فى آخر فقرات المرسوم الذى أصدره بشأنها(١٨) .

وفى منتصف عام ١١٨٤ م — ٥٨٤ هـ ارتحل الى غرب أوربا

=

بيزنط ، أو ربع بيزنط ، حسب مقدرة كل منهم . ويقوم بتقرير الذمة المالية لكل شخص فى كل مدينة او قلعة اربعة من المثمنين (الذين يقومون ايضا بجمع الضريبة) . ومن يعترض من سكان المدن على القيمة التى يحددها المثمنون قيمة منقولاته ، فعليه ان يحدد بنفسه قيمتها على أن يقسم على صحة ذلك ، ويدفع الضريبة حسب ذلك . وكان على المثمنين عدم الافصاح عن قيمة ثروة كل شخص وان يتحفظوا بسرية ذلك . وعلى عكس سكان المدن ، فان رجال الدين والنبلاء كانت الضريبة مقررة على الدخل فقط بالنسبة لهم . وكان على الكنائس والاديرة والبارونات والاتباع أن يدفعوا بيزنطين عن كل مائة بيزنط من الدخل . أما المرتزقة فيدفعون بيزنطا واحدا عن كل مائة بيزنط . وكان على سادة القرى Casalia أن يدفعوا — بالاضافة الى ذلك — بيزنطا واحدا عن كل منزل فى نطاق أملاكهم . وكان مسموح لهؤلاء أن يوفوا مما عليهم بجمع المبلغ من سكان قراهم من الفلاحين . واذا امتنعوا عن فرض ضريبة مأوى مساوية ، فان عليهم أن يسووا الضريبة بثروة كل فلاح . وتنقل الاموال المجباة من كل المدن من حيفا وحتى بيت المقدس الى مدينة بيت المقدس بواسطة المثمنين . وفى حضور بطريرك بيت المقدس أو نائبه ، ورئيس رهبان كنيسة بيت المقدس وأمين القصر ، ويضعون هذه الاموال فى صناديق لكل منها ثلاثة أقفال وثلاثة مفاتيح وتوضع كلها فى خزانة بيت المقدس . ويحتفظ البطريرك بأحد المفاتيح ، ورئيس الرهبان بالمفتاح الثانى ، والمفتاح الثالث يكون فى حوزة أمين القصر والمثمنين الاربعة اما الاموال المجباة من المدن من حيفا الى بيروت فتنقل الى عكا بنفس الطريقة ، على أن يحتفظ وليم (المؤرخ) رئيس أساقفة صور بأحد المفاتيح ، وجوسلينمستشار الملك بالمفتاح الثانى ، أما المفتاح الثالث فيكون فى حوزة المثمنين الاربعة . ولا تنفق الاموال المقررة على الشئون المادية للمملكة ، وانما تنفق فى مجال الدفاع عنها ضد المسلمين . انظر :

William of Tyre, Vol. 2, PP. 486 — 489.

(١٨) Ibid., P. 489.

هرقل بطريرك بيت المقدس (١١٨٠ — ١١٩١ م) بصحبة كل من روجر دى مولين Roger de Molin مقدم الاسبتارية (١١٧٧ — ١١٨٧ م) وارمود تورج مقدم الداوية (١١٨٣ — ١١٨٤ م) ، طالبا مساعدة حكام الغرب بعد أن تدهورت أحوال مملكة بيت المقدس فى مواجهة صلاح الدين الايوبى[١٩] • ووصل البطريرك مع مقدم الاسبتارية الى فرنسا فى نهاية ١١٨٤ م / أواخر ٥٨٠ هـ ، حيث قابل الملك فيليب أوغسطس وعرض عليه وعلى أتباعه فى مؤتمر ملكى عقد فى باريس فى يناير ١١٨٥ م مهمته التى جاء من أجلها • ثم وصل البطريرك الى انجلترا حيث عقد الملك هنرى الثانى مجلسا ملكيا ليستمع الى طلباته فى ضاحية كلركنويل Clerkenwell بلندن فى ١٨ مارس ١١٨٥ م[٢٠] • وقد أبلغ البطريرك الملك الانجليزى — كما أبلغ قرينه الفرنسى من قبل — بكل الانباء السيئة عن مملكة بيت المقدس وعن استعدادات صلاح الدين الايوبى للاطاحة بها ، وعن عجز الملك المجذوم بولدوين الرابع — الذى مات فى نفس الشهر — عن الدفاع عنها • وكان بلاط بيت المقدس يأمل فى اقناع الملك هنرى

---

(١٩) كانت أحوال الملك بولدوين الرابع (١١٧٤ — ١١٨٥ م) فى اضطراب شديد بسبب مرضه (الجذام) الذى يأس من الشفاء منه ، فى الوقت الذى أحاط فيه صلاح الدين بكل أملاك الفرنج ، ونجح فى توحيد بلاد الشام ومصر تحت لوائه بفتحه لمدينة حلب ، وفرض نفوذه على امراء العراق والجزيرة . الى جانب ذلك فقد وقعت الخلافات بين الملك وجى لوزنيان زوج اخته سبيلا ، وعزل الملك زوج شقيقته عن الوصاية على العرش واخذ منه يافا ، فاستقر الاخير بعسقلان وأعان عصيانه للملك . انظـــر :

William of Tyre, Vol. 2, PP. 501 — 502. C.F. also, S Runciman, A History of the Crusades, 3 Vols, Cambridge, 1968, Vol. 2 pp. 435 / 440.

(٢٠) Radulf de Decito, Ymagines PP. 32 — 33; Robert of Torginy, Chronica, PP. 226 — 227; Gervase of Canterbury, Vol. 1, P. 325.

بالحضور الى الاراضى المقدسة على رأس محلة صليبية ، وأن يتزوج أحد أبنائه بوريثة الملكة الصليبية[٣١] . وللحصول على مساعدة الملك الانجليزى ، عرض صليبيو بيت المقدس تاج المملكة عليه . كما سلم البطريرك الى الملك هنرى خطابا موجها اليه من البابا لوكيوس الثالث Lucius III. (١١٨١ — ١١٨٥ م) يحثه فيه على الخروج فى حملة صليبية الى الشرق . ولم يكن رد الملك الانجليزى نهائيا ، فقد عبر الملك والبطريرك الى فرنسا ، وبعد قضاء عيد القيامة (٣ أبريل ١١٨٥ م / ١٨ محرم ٥٨١ هـ) فى مدينة روين Rouen أمضيا ثلاثة أيام فى صحبة ملك فرنسا فى مدينة فودرويل Vaudreuil على حدود نر منديا فى أواخر أبريل أو بداية مايو ١١٨٥ . وفى هذا الاجتماع أبلغ الملك هنرى البطريرك هرقل بعدم ذهابه أو أحد أبنائه الى الشرق — كما نصحه مستشاروه حين قابل البطريرك فى لندن — وقد رحل البطريرك غاضبا لعدم استجابة الملك لرغبة البابا[٣٢] .

---

(٣١) Roger of Howden, Chronica, Vol. 2, PP. 299 — 302, William of Newburgh, Historia Rerum Vol., 1, PP. 240 — 247; Benedict, Op. Cit., Vol. I, pp. 223 ff-

(٣٢) حين عرض هنرى الثانى على مستشاريه ما قدمه البطريرك من عروض ، رأى هؤلاء أنه من الاجدى أن يبقى الملك فى بلاده ليحمى مملكته مما يحف بها من أخطار . وحين اجتمع الملك والبطريرك بملك فرنسا فى فوردويل ، اكتفى الملكان بوعودهما لابطريرك بسرعة ارسال المساعدات الى مملكة بيت المقدس دون الذهاب بشخصيهما الى الشرق . فقد كان من الصعب على كليهما مغادرة بلاده . ففيليب اوغسطس يريد التفرغ لاحاكة الدسائس التى يؤلب بها أبناء هنرى ضده ، ويوقع بها بين بعضهم البعض لاضعاف النفوذ الانجليزى فى فرنسا . وهنرى الثانى بدوره يريد التفرغ للتصدى لكل ذلك . وفى مثل هذه الظروف لم يكن الخروج فى حملة صليبية لنجدة مملكة بيت المقدس يمثل ضرورة ملحة بالنسبة لكل من الملكين بأى حال من الاحوال . انظر :

Radulf de Decito, Ymagines, pp. 33 — 34; Roger of Howden Op. Cit., Vol. 2, P. 302; Benedict Gesta Regis, Vol. 2, PP, 325 — 338; William of Newburgh, Historia Rerum, PP. 247.

وعلى أية حال ، فقد وعد الملكان بتقديم مساعدة كبيرة للصليبيين فى الاراضى المقدسة من « الاموال والرجال "tam de pecunia quam hominibus" »(٢٣) . وكانت هذه المساعدة المالية التى وعدا بها هى الاموال التى تشكل عائد ضريبة عامة قررا فرضها فى بلديهما معا . وكانت هذه الضريبة هى آخر الضرائب الصليبية التى سبقت عشر صلاح الدين عام ١١٨٨ م / ٥٨٤ هـ الذى سبق ذكره . وقد ظهرت عدة طبعا لنص المرسوم الذى أصدره ملكا فرنسا وانجلترا فى عام ١١٨٥ م ، اختلف المؤرخون حول تاريخ اصداره ، حتى أثبتت آخر الدراسات الحديثة صحة رجوعه الى عام ١١٨٥ م / ٥٨١ هـ(٢٤) .

---

(٢٣) رحل البطريرك هرقل فى أول أغسطس ١١٨٥ م الى الشرق حانقا بالرغم من وعد الملك هنرى له بدفع خمسين الف ماركا فضيا مساهمة منه فى الدفاع عن مملكة بيت المقدس .

"Promisit ei rex ad defensoinem terrae Jerosolimitanae L. Milia Marcas Argent".

انظـــر : Gervase of Canterbury, Vol. 1, P. 325.

أما عن المارك الفضى المتداول فى غرب أوربا فى ذلك الوقت فقد كان يساوى قيمة ثلثى الجنيه الانجليزى . وكانت قيمتـــه مرتفعـــة بالنســـبة للبيزنط الصليبى . ففى عام ١١٧٣ م وحسب ما تم من اتفاق بين جماعة الفرسان الاسبتارية وكونستانس كونتيسة سانجيل ، فقد وعد الاسبتارية الكونتيسة بأن يدفعوا لها ثمنا لقرية فى سهل عسقلان ٥٠٠ بيزنط سنويا فى بلاد الشام ، أو ١٢ ماركا فضيا فى غرب أوربا بدلا من الخمســـمائة بيزنط . وبذلك يكون المارك الفضى قد بلغ فى ذلك الوقت حوالى ٤٠ بيزنطا من العملات التى سكها الصليبيون فى بلاد الشام . انظـــر :

M. Benvenisti, the Crusaders in the the Holy Land, Jerusalem, 1976, P. 428 n. 66.

(٢٤) ظهرت لنص هذا المرسوم عشر طبعات ترجع أولاها الى عام ١٦٦٤ م . وأرجع كثير من المؤرخين هذا المرسوم الى عام ١١٨٣ م وبعضهم أرجعه الى عام ١١٨٤ م ، والبعض الاخر الى عام ١١٨٥ م ، وساعد على ذلك تكتم المصادر التاريخية عن ذكر تفاصيل هذا المرسوم . =

وهكذا ، فرضت عدة ضرائب فى غرب أوربا وفى مملكة بيت المقدس الصيلبية ليخصص عائدها لمساعدة المملكة الصليبية . وبذلك لا تكون ضريبة عام ١١٨٨ م / ٥٨٤ هـ أو ما عرف بعشر صلاح الدين ، هى أول هذه الضرائب . ويبقى الوقوف على مدى تأثير أسبقية كل مرسوم من مراسيم هذه الضرائب على ما تلاه من مراسيم صدرت لفرض ضرائب أخرى ، للوقوف على تطور النظام الضرائبى الخاص بالحروب الصليبية .

وفى البداية يجب أن نضع فى اعتبارنا أن الضرائب — التى صدرت بشأنها مراسيم — ، والتى فرضت لدعم الكيان الصليبى فى

=

ولم يحظ هذا المرسوم بالشهرة التى حظى بها مرسوم ضريبة ١١٨٨ م المعروف بعشر صلاح الدين . وربما يرجع ذلك الى السبب الذى صدر لاجله والى التوقيت الذى صدر فيه المرسوم الاخير خاصة بعد انتصار صلاح الدين فى حطين وفتحه لمدينة بيت المقدس . وسبب آخر أن مرسوم ١١٨٥ م لم يتمتع بشهرة مرسوم ١١٨٨ م هو أن الذى جمع ضريبة ١١٨٥ م هم أعضاء الجماعات الرهبانية العسكرية من الزاوية والاسبتارية ولم يقم بجمعها رجال الملك كما فى مرسوم ١١٨٨ م ، لذلك لم يرد ذكر الضريبة أو مرسوم ١١٨٥ م فى سجلات الملك الانجليزى المالية ، ومن هنا كان صمت المصادر التاريخية فى هذا الخصوص . وقد نشر نص مرسوم ضريبة ١١٨٥ م فى مجموعة مؤرخى الغال وفرنسا . الا اننا استخدمنا هنا النص الوحيد الكامل لهذا المرسوم والذى نشره باللاتينية لونت بعد مقارنته لجميع النسخ المخطوطة لهذا المرسوم وذلك فى عام ١٩٢٢ م ، وهى آخر النسخ التى ظهرت لهذا المرسوم ، مع أن لونت يرجعه الى عام ١١٨٥ م . الا ان كازيل اثبت فى دراسته الشاملة انه يرجع الى عام ١١٨٥ م . انظــر :

Martin Bouquet et al, Recueil des Historiens des Gaules et de la France, 24 Vols (Paris 1869 — 1904), Vol. 19, ed. M.J.J. Beria, P. 329, C.F. also, W.E. Lunt, The Text of the Ordinance of 1184 Concerning an Aid for the Holy Land, in E.H.R., Vol. 37, 1922, PP. 240 — 242; Fred A. Cazel J., The Tax of 1185 in Aid of the Holy Land, in Speculum, Vol. 30, 1955 pp. 385 — 392.

بلاد الشام ، هى الضريبة التى فرضها كل من هنرى الثانى ولويس السابع فى عام ١١٦٦ م ، والضريبة التى فرضها المجلس الصليبى فى بيت المقدس فى عام ١١٨٣ م ، ثم ضريبة عام ١١٨٥ م التى فرضها كل من هنرى الثانى وفيليب أوغسطس ، وأخيرا ضريبة عام ١١٨٨ م التى فرضها نفس الملكين وعرفت بعشر صلاح الدين . ولما كانت كافة هذه الضرائب — ما عدا ضريبة ١١٨٣ م — قد فرضت فى أوربا ، وبالتحديد فى فرنسا وفى أملاك هنرى الثانى الاوربية وفى انجلترا ، فمن الطبيعى أن يكون هناك تكرار لبعض بنود مراسيم هذه الضرائب ، ومن الطبيعى أيضا أن تحل بنود جديدة مراسيم لاحقة محل بنود أخرى ، فقد كانت كل ضريبة من هذه الضرائب تقدم الخبرة لفرض ضريبة لاحقة . ومن هنا ، فان تأثر ضريبة لاحقة بمرسوم ضريبة أخرى سابقة عليها أمر طبيعى . هذا الى أن الفاصل الزمنى بين كل ضريبة وما تلاها من ضرائب الى جانب الخبرة المكتسبة من كل تجربة والتى تتركز أهميتها فى سهولة التنبؤ بحصيلة كل ضريبة جديدة — كل ذلك يجعل من كل ضريبة سابقة تاريخية على ما تلاها من ضرائب . وهذا هو السر فى أن ضريبة عام ١١٦٦ م ، التى يمثلها مرسوم لى مان الخاص بهنرى الثانى[٣٥] لها تأثير فى مرسومى ضرائب عامى ١١٨٥ م مما يجعل لها السبق فى هذا المجال[٣٦] .

أما عن مدى تأثير كل ضريبة من الضرائب الاربع المذكورة على

---

(٣٥) لم نقف على المرسوم الذى اصدره لويس السابع بخصوص هذه الضريبة فى اى مصدر تاريخى .

(٣٦) لم يكن مشروع لويس السابع فى عام ١١٤٦ م الا مجرد احصاء لفرض ضريبة عامة على رعاياه للمساعدة فى اعداد حملته الى الشرق . ولم يصدر لويس بشأنها مرسوما . لذلك ، فان اول ما نصادفه من مراسيم خاصة بالضرائب التى فرضت فى اوربا لمساعدة مملكة بيت المقدس هو المرسوم الخاص بهنرى الثانى والذى أصدره فى عام ١١٦٦ م .

الثلاث الاخرى ، أو تحديد أى منها تستحق أن يكون لها السبق فى اصدار قانون ضرائبى معين ، فأمر لا يمكن الوقوف عليه الا بالمقارنة بين ما فرض فى مملكة بيت المقدس وما فرض فى أوربا من ضرائب . ويحتم ذلك الوقوف على ما ناله كل من الجانبين من تأييد مسبق . فالشهرة التى تفردت بها ضريبة عام ١١٨٨ م — عشر صلاح الدين — جعلتها تبدو صاحبة السبق فى مجال التشريع الضرائبى الصليبى[٢٧] . بينما اعتبر البعض ضريبة عام ١١٨٣ م حدثا عاما فى تاريخ الضرائب ، واعتبرها البعض الاخر أول ضريبة عامة أو قومية ،وأول ضريبة تخضع لها ممتلكات الافراد الشخصية ، بل أول ضريبة على الدخل فى عصر الحروب الصليبية[٢٨] . لذلك كله تبدو أهمية المقارنة بين مرسوم بيت المقدس الخاص بضريبة عام ١١٨٣ م[٢٩] وبين مرسوم لى مان الخاص بضريبة عام ١١٦٦ م .

ولما كانت هذه الضرائب قد فرضت لغرض دينى استهدف وفقا لتعليمات الكنيسة « الدفاع عن كنيسة القيامة والارض المقدسة فى الشرق ومساعدتهما » ad defonsionem et juvamen ecclesiae et

---

(٢٧) ربما يرجع ذلك الى حجم المناسبة التى فرضت من أجلها الضريبة ، فلم تثر كل انجازات المسلمين فى بلاد الشام ضد الصليبيين فزع فى أوربا أو اهتمام لدى حكامها مثلما أثارت انجازات صلاح الدين ، وربما يرجع ذلك ايضا الى ما اثاره عشر صلاح الدين من شكاوى الخاضعين للضريبة لثقل عبئها عليهم . انظر ما سبق ، ص ١١٦ — ١١٧ . وما سيتقدم ، ص ١٤٩ .

J.L. La Monte, Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, Cambridge, 1932, PP. 180 — 82. J. Richard, Le Royaum Latin de Jérusalem, Paris, 1953, P. 75.

(٢٨) لم يصدر مرسوم بشأن الضريبة التى فرضها عمورى الاول فى عام ١١٦٦ م ، انظر :

William of Tyre, Vol. 2, PP. 313 — 314.

(٢٩) انظر ما سبق ، حاشية رقم (١٧) .

terrae Orientalis [٣٠] ، فان كلا من المرســومين يســتهل بتأكيــد أن قرار فرض الضريبة قد صدر بموافقةالجميع . فالمرسوم الذى أصدره هنرى الثانى فى لى مان نص على أنه صدر بمشورة ورضى الجميع Consilio et assensu Omnium [٣١] وكذلك جاء القــرار الذى أصدره المجلس الصليبى المنعقد فى بيت المقدس « برضاء كل النبلاء سواءمن رجال الدين أو العلمانيين وبرضاء شعب مملكة بيت المقدس »[٣٢] . ولنفس السبب الدينى أكد المرسومان المدى العــام للضريبة . فالضريبة فىكلا المرسومين عامة ، ويخضع لها كل أتباع ملك انجلترا ــ وملك فرنسا ــ سواء الذين يعيشون فى انجلترا أو الذين يعيشون فى أملاكه الاوربية[٣٣] . كذلك خضع لها كل سكان

---

(٣٠) Cervase of Canterbury, Opera Historica, Vol. 1 P. 198.

(٣١) وبنفس الطريقة اصدر هنرى الثانى قراره لفــرض ضريبة عام ١١٨٥ م ، وأيضا قراره لفرض ضريبة عام ١١٨٨ م . انظر :

Gervase, Opera Historica, Vol. I, p. 198, Benedict of Peterbrough, Gesta, Vol. 2, p. 30.

(٣٢) William of Tyre, Vol. 2 P. 487.

(٣٣) زوج هنرى الاول ملك انجلترا ابنته من كونت آنجو فانجبت له هنرى ــ الذى أصبح ملكا لانجلترا خلفا لجده هنرى الاول ــ الذى ورث كونتية آنجو عن ابيه ، ثم تزوج من اليانور مطلقة لويس الســابع فصارت املاكه فى أوربا تفوق أملاك التاج الفرنسى نفسه . وصــار هنرى الثانى ملك انجلترا دوقا لنورماندیا وكونتا لانجو ومين ومكنه تملكه لاقليم اكوتين ــ وصاحبته اليانور ــ من السيطرة على كل غرب فرنسا من القنال الانجليزى حتى جبال البرانس . انظر :

R.C.H. Davis, A History of Medieval Europe, London, 1966, P. 302.

راجع أيضا : سعيد عاشور : اوربا فى العصور الوسطى ، جزءان ، القاهرة ١٩٦٦ م جـ ١ ، ص ٢٥٧ ــ ٢٥٨ ، محمد محمد مرسى الشيخ : تاريخ أوربا فى العصــور الوسطى ، الاســكندرية ، ١٩٩٠ م ، ص ٤٢١ ــ ٤٢٢ .

مملكة بيت المقدس . كما خضع لهذه الضرائب رجال الدين والعلمانيين دون استثناء[٣٤] .

وبعد تأكيد شرعية الضرائب الصليبية وتحديد مداها العام ، يحدد كل من المرسومين أنواع الملكيات الخاضعة للضريبة . فاذا كان مرسوم لى مان قد بدأ بتحديد هذه الملكيات بصفة عامة ، واذا كان مرسوم بيت المقدس قد بدأ بتحديد الملكيات الخاضعة للضريبة والتى يملكها سكان المدن ، الا أن أنواع هذه الملكيات واحدة فهى فى المرسوم الاول المنقولات (بما فيها النقود والمجوهرات) de omni mobili والدخول de reditibus ثم الاموال الموظفة فى شكل قروض de debitis ، وفى المرسوم الثانى الاموال والمنقولات والقروض ثم الدخـــول[٣٥] .

ثم يحدد كل من المرسومين معدل الضريبة .فكل أتباع هنرى الثانى يدفعون بنسان عن كل جنيه لمدة عام واحد (١١٦٦ م) ، وبنسا واحدا عن كل جنيه لمدة أربع سنوات تالية[٣٦] . أما سكان المدن فى المملكة الصليبية فيدفعون بيزنطا واحدا عن كل مائة بيزنـــط[٣٧]

---

(٣٤) William of Tyre, Vol. 2, P. 487.

وراجع ملحق رقم (١) بآخر البحث .

(٣٥) Ibid.

(٣٦) راجع ملحق رقم (١) بآخر البحث .

(٣٧) حتى قيام الحملة الصليبية الاولى ، كان النظام النقدى فى غرب اوربا يختلف عن مثيله فى بيزنطة والشرق الاسلامى . فلم يكن الذهب يستعمل فى سك العملات فى غرب اوربا . وكان البيزنط Bezant أو الدينار البيزنطى الذى عرف فى غرب أوربا بالصولدى Solidus مساويا للدينار الاسلامى (٤٫٢٥ جرام ذهبا = ٦٦ حبة) الذى ضربه لاول مرة الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان فى عام ٧٤/٧٥ هـ . اما الدينار الفاطمى الذى كان متداولا فى بلاد الشام زمن الحملة الصـــليبية =

يملكونها أما ما يعادلها من المنقولات أو القروض التى تؤول اليهم ، وبيزنطين عن كل مائة بيزنطة من الدخل[٣٨] .

=

الاولى ، فقد كان اخف وزنا من مثيليه الاموى والبيزنطى (٤ : ٤ر٠٦ جرام ذهبا) وكانت الدنانير التى سكها الايوبيون والمماليك فى مصر أخف وزنا وأقل نقاءا من الدنانير الاسلامية السابقة (ضرب صلاح الدين دراهم صنعت من ٥٠٪ فضة و٥٠٪ نحاسا . وكان الدينار الايوبى فى عهد الكامل ذات درجة نقاء تصل الى ٩٨٪ من الذهب . أما الدينار فى عهد بيبرس فقد وصل وزنه الى ٣ر٨٧ جراما من الذهب) . وحين قدم الصليبيون الى بلاد الشام شرعوا فى ضرب دنانير ذهبية خاصة بهم ، مقلدين فيها الدينار الفاطمى (أقل من ثلثى وزنه) ويبدو أن ضرب هذه العملة فى مملكة بيت المقدس قد تم فى عهد الملك بولدوين الاول (١١٠٠ — ١١١٨ م) . وقد أطلق الصليبيون على دنانيرهم اسم البيزنط أيضا . والاسم نسبة الى بيزنطة Byzantium وقد ضربه لاول مرة الامبراطور أنستاسيوس الاول (٤٩ — ٥١٨ م) فى عام ٤٩٨ م . وقد ظل البيزنط (الصولدى) متداولا فى غرب أوربا حتى القرن ١٣ م . ولكن الصولدى الاوربى لا يساوى قيمة العملة البيزنطية وانما كان مرادفا لكلمة Nomisma اليونانية التى تساوى عشر من البيزنط — ومن الصعب تحديد قيمة الصولدى الذى بقى متداولا فى غرب أوربا حتى القرن ١٦ م ، ونظرا لاختلاف وزنه باختلاف الزمان والمكان . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على بلاد الشام ، هزيمة لويس التاسع فى الاراضى المقدسة ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ م ، ص ٢٠٤ ، حاشـية (١) ، ناصر النقشبندى : الدينار الاسلامى ، مجلة سومر ، بغداد ١٩٤٥ م ، جـ ٢ ، ص ١١٨ — ١١٩ . راجع أيضـا :

A.S. Ehrentreutz Arabic Dinars Struck by the Crusaders, in, J.E.S.H.O. Vol 7, 1964 PP, 169 — 170; R,S, Lopez, Back to Gold, in E.H.R., Vol. 9, 1957, PP. 219 — 221,

واشمل دراسة عن العملات الاسلامية فى مصر منذ عهد الطولونيين وحتى العهد المملوكى أوردها الدكتور حسنين محمد ربيع — انظر :

H. Rabie, The Financial System of Egypt, A.H. 564 — 741/ A.D. 1169 — 1341, London, 1972, PP. 162 — 197.

(٣٨) William of Tyre, Vol. 2 P. 487.

وفى الفقرة التالية فى كل من المرسومين ، يتم التعامل مع الافراد الذين لا تبلغ أملاكهم وحدة التثمين ـ جنيها واحدا أو مائة بيزنط ـ على أساس نفس المعاملة . ففى هذه الحالة ، كان على اتباع هنرى الثانى أن يدفعوا بنسا واحدا ، بينما يدفع سكان مملكة بيت المقدس بيزنطا واحدا كضريبة منزل domus أو مأوى focus [٣٩] .

واذا كانت ضريبة المنزل ـ بنس واحد ـ تبلغ نصف الضريبة المدفوعة فى أملاك هنرى الثانى، بينما ضريبة المأوى ـ بيزط واحد ـ تساوى الضريبة المدفوعة فى المملكة الصليبية ، فان مرسوم بيت المقـدس سرعان ما يصحح هذا التباين . فسكان المملكة الصليبية الذين لا يكون فى مقدورهم دفع ضريبة المأوى ـ بيزنط واحد ـ يجبى منهم نصف بيزنط أو ربع بيزنط حسب قدراتهم المادية[٤٠] . ولم يكن تحديد القدرة المادية يتم بواسطة الافراد أو كما يتراءى لهم . وهذا يقودنا الى التعامل مع بند آخر من بنود مرسومى لى مان ومملكة بيت المقـدس .

ذلك أن مرسوم لى مان نص صراحة على أن يقوم كل رجـل بتقدير (بتثمين) ثروته الخاصة، وأن يقسم على صحة ذلك التقدير وأن يقوم بدفع الضريبة بناء على ذلك[٤١] . هذا فى حين نص مرسوم بيت المقدس على أن يقوم الاربعة رجال المكلفون بجمع الضريبة بتقدير ثروة دافع الضريبة « حسب ما يبدو صحيحا فى رأيهم »[٤٢] . أما اذا

---

(٣٩) Gervase of Canterbury, Vol., P. 198, William of Tyre, Vol. 2, P. 488.

راجع ايضا ملحق رقم (١) بآخر البحث .

(٤٠) William of Tyre, Vol, 2, P. 488, C.F. Also Benjamin Z. Kedar, The General Tax, P. 342.

(٤١) راجع ملحق رقم (١) بآخر البحث .

(٤٢) William of Tyre, Vol. 2, P. 488

اعترض شخص على ما يحدده جامعو الضريبة من قيمة لثروته ، فعليه أن يحدد هو هذه القيمة ويقسم على صحة تقديره لثروته[٤٣] .

وبعد جبـــاية الضريبة ينص المرسومان على ايداع عـــائدى الضريبتين فى صناديق لكل منها ثلاثة مفاتيح . ويضع مرسوم لى مان خزانة فى كل كنيسة حيث تحفظ هذه الصناديق ويعهد المرســــوم بالمفاتيح الثلاثة الى قس الكنيسة واثنين من رجال الدين الثقاة[٤٤] . أما مرسوم بيت المقدس فيحــــدد خزانتين مركزيتين لكل المملكة الصليبية ، احداهما فى بيت المقدس والاخرى فىعكا ، ويعهد بالمفاتيح الثلاثة الى بعض أصحاب المقام الرفيع من رجال الدين والعلمانيين فى المملكة[٤٥] .

ومما سبق يتضح أن مرسومى لى مان (١١٦٦ م) وبيت المقدس (١١٨٣ م) قد اتفقا فى كل البنود المشار اليها والتى وردت فى نصيهما . ففيما يخص شرعية الضريبة فقد أكد المرسومان أن قرار فرض الضريبة قد حاز قبول الاتباع فى كلا الجانبين . كما حـــدد المرسومان أيضا المدى العام للضريبة ، وأخضعا لها كل الاتباع من رجال الدين والعلمانيين على السواء . كما حدد المرســـومان نفس الممتلكات الخاضعة للضريبة . ثم جاء معدل الضريبة واحدا فى كليهما . وكل هذا التطابق يجعل مرسوم لى مان متميزا عن مرســـوم بيت المقدس كسابقة لفرض هذا النوع من الضرائب . ويمكن تأكيد ذلك بالتمعن فى بقية بنود المرسومين .

فمرسوم لى مان حدد صراحة الضريبة المستحقة على الدخـــل

---

(٤٣) William of Tyre, Op. Cit., P. 487.

(٤٤) Gervase of Canterbury Vol. I, P. 199.

راجع أيضا ملحق رقم (١) بآخر البحث .

(٤٥) انظر ما سبق ، حاشية رقم (١٧) .

وهى « بنسان عن كل جنيه de unaquaque libra dous denarios »[٤٦] . وبذلك يكون السبق لمرسوم لى مان وليس لمرسوم بيت المقدس فى فرض ضريبة على الدخل . ويؤكد ذلك أن قرار فرض الضريبة الذى اتخذ فى نابلس فى عام ١١٦٦ م — متزامنا مع مرسوم لى مان — فرض الضريبة فقط على منقولات هؤلاء الذين لم يرغبوا فى مصاحبة الملك عمورى فى حملته الثالثة على مصر[٤٧] . ومعنى ذلك أن ما فرضه المجلس الصليبى المنعقد فى نابلس لم يكن ضريبة على الدخل بقدر ما كان وفاء لمال يشبه بدل الخدمة[٤٨] .

أما عمن تقل قيمة ممتلكاتهم عن وحدة الضريبة التى هى فى مرسوم هنرى الثانى — جنيه واحد — وفى مملكة بيت المقدس — مائة بيزنط — ، فنجد أن مرسوم لى مان نص صراحة على أن يقدر

---

(٤٦) Gervase of Canterbury, Vol. 1 p. 198.

راجع ايضا ملحق رقم (١) بآخر البحث .

(٤٧) بينما يفهم من النص الذى أورده وليم الصورى ان الضريبة قد فرضت على كل سكان مملكة بيت المقدس فى عام ١١٦٦ م بناء على قرار المجلس الصليبى فى نابلس ، فان العبارة التى وردت فى الترجمة الفرنسية القديمة — المعاصرة — لتاريخ وليم الصورى تبين حقيقة اخرى وهى ان الملك قد عقد مجلسا فى نابلس حيث اجتمع البارونات ورجال الدين من المملكة « .. واتفق على أن كل هؤلاء الذين سوف لا يصحبونه « الملك » فى الحملة يدفعون عشر كل منقولاتهم » ..

" ...... et fu acordè que tuit cil qui n'iroient" ...... avec Lui en l'ost li donroient la dism de toz leur meubles.."

انظـر :

William of Tyre, Historia Rerum in Partibus Transmarinis Gestarum, in R.H.C.-H. Occ., Vol, 1, Part 2, PP, 903, 904 C,F also J, La Monte, Op. Cit., pp. 180 — 181, Benjamin Kedar, Op. Cit, P. 341.

(٤٨) Benjamin Kedar, Op. Cit., P. 341.

كل فرد ثروته الخاصة بنفسه ويقسم على صحة ذلك ، بينما قام المعترضون فقط من ســكان مملكة بيت المقدس بتقــدير ثرواتهم بأنفسهم[٤٩] ، لذلك لم تكن ضريبة ١١٨٣ م هى أول ضريبة قامت على أساس التقدير الذاتى للثروة ، وانما قامت عى أساس تقدير الثروة بواسطة رجال موثوق فيهم يتم انتخابهم فى كل مدينة ، ويؤدون قسما على أن يقوموا بهمتهم بأمانة ، وأن يحتفظوا بسرية الاوضاع الخاصة بكل فرد [٥٠] . وبذلك يكون مرسوم ١١٨٣ م قد ربــط الضريبة بالتحكيم والقضاء[٥١] . ولم يكن ذلك أيضا سبقا تاريخيا ، لأن استخدام الاعتراف أمام القضاء ــ أى بالاسلوب القانونى ــ فى تقدير الثروات يعود الى أيام احصاء وليم الفاتح (١٠٨٦ م) ، كما طبق فى انجلترا فى عام ١١٨١ م[٥٢] وامتد ليشمل أملاك هنرى الثانى

---

(٤٩) William of Tyre Vol. 2, P. 488.

راجع ايضا ملحق رقم (١) بآخر البحث .

(٥٠) William of Tyre, Ibid., PP. 487 — 488.

(٥١) Benjamin Kedar, Op. Cit., P 341.

(٥٢) خلال العقد التاسع من القرن الثانى عشر الميلادى كان هنرى الثانى يعانى من الخلافات التى اندلعت بينه وبين أبنائه من جهة وبين ابنائه وبعضهم البعض من جهة اخرى ، تلك الخلافات التى طالما عمل على اثارتها لويس السابع ومن بعده فيليب اوغسطس ملكى فرنسا . وفى عام ١١٨١ اشتد النزاع بين ريتشارد وحنا ولدى هنرى الثانى . فاضطر هنرى الى اصدار قانون الاسلحة Assize of Arms ، خوفا من حدوث غزو خارجى لانجلترا . وقد حدد هذا القانون انواع الاسلحة التى يجب ان يتسلح بها كل رجل من اتباع هنرى فى انجلترا حسب درجته وقدرته المادية . وفرض هذا القانون حظر تصدير الاسلحة الى خارج انجلترا . كما حظر على اتباعه بيع اسلحتهم . وحين يموت الرجل تسلم اسلحته الى اسلحته الى اقرب وريث له . ويخبرنا بندكت راهب بتربورو ان تحديد القدرات المادية (الثروات) للافراد هنا كان يتم بواسطة لجنة تتالف من (مثمنين) ، ولم يسمح للافراد بتقدير ثرواتهم بأنفسهم . وعلى

=

الاوربية ، ولم يلبث أن طبقه كل من فيليب أوغسطس وفيليب كونت الفلاندرز فى أملاكهما[٥٣] .

أما بخصوص جمع عائد الضريبة وحفظه ، فقد اتفق المرسومان على أن توضع حصيلة الضريبة فى صناديق لكل منها ثلاثة مفاتيح[٥٤]

=

سبيل المثال ، كان يسمح لمن تقدر ثروته بمائة جنيه بأن يمتلك جواد أو ان يتزود بالمعدات الحربية مثل الدرع والترس والسيف والرمـح وكل احتياجاته العسكرية الضرورية . ومن تبلغ ثروته أربعين أو ثلاثين جنيها على الاقل ، يمكنه ان يتسلح برمح وسيف ودرع . انظـر :

Benedict of Peterbrough, Gesta Regis, Vol. 2, PP. 269 — 270. C.F. also, R.H.C. Davis, A History of Medival Europe London, 1957, P. 306.

(٥٣) « فى الحقيقة عندما سمع فيليب ملك فرنسا ، وفيليب كونت الفلاندرز بأن ملك الانجليز قد أصدر مثل هذا المرسوم فى أراضيه ، فقد أمرا بأن يتسلح كل رجالهما بنفس الطريقة » .

"Philippus Vero rex Franciae, et Philippus Comes Flandriae, Audientes quod rex Anglorum tale edictum fecerat per terras suas, praeceperunt quod homines sui simili modo armarentur".

انظـر :

Benedict of peterbrough, Gesta, Vol. 1 P. 270.

(٥٤) يبدو ان هذه كانت وسيلة العصر لحفظ الاشياء الثمينة فى أوربا العصور الوسطى . وهى نفس الطريقة التى كان يحفظ بها تاج مملكة بيت المقدس . فيسرد لنا كاتب تاريخ هرقل أنه بعد موت الملك الصليبى بولدوين الخامس (١١٨٥ — ١١٨٦ م) كان من المفروض أن يتولى الوصايا على المملكة ريموند الثالث كونت طرابلس حتى يفصـل فى أمر وراثة المملكة بين الاميرتين سبيلا وايزابيلا البابا والامبراطور فريدريك بربروسا وملك فرنسا وملك انجلترا ، حسب وصية الملك بولدوين الرابع (١١٨٥ م) الا ان جوسلين خال سبيلا اعلنها ملكة بمساندة الداوية ورينبودى شاتيون والبطريرك هرقل . وعندما أراد البطريرك ان يتوجها

=

واذا كان المرسومان قد اختلفا فى التفاصيل الخاصة بعدد الاشخاص الذين يعهد اليهم بحفظ هذه المفاتيح ، وعدد الخزائن التى توضع بها الصناديق[٥٥] ، فان القاعدة التى تقوم عليها هذه التفاصيل واحدة .

ومن كل ما سبق نخلص الى أن قواعد فرض الضريبة التى نص عليها مرسوم بيت المقدس فى عام ١١٨٣ م كانت معروفة بالفعل فى غرب أوربا منذ عام ١١٦٦ م . ويمكن القول بأن بنود مرسوم ١١٨٣ م منقولة الى حد ما من نموذج غربى ، هو مرسوم ١١٦٦ م .

واذا كان الامراء الذين اجتمعوا فى بيت المقدس عام ١١٨٣ م قد تأثروا بما جاء فى مرسوم لى مان الذى أصدره هنرى الثانى ، أو بمرسوم لويس السابع — الغير موجود — الصادر فى أوربا فى عام ١١٦٦ م ، فهل أطلع هؤلاء الامراء على نص أحد هذين المرسومين ونقلا عنه المرسوم الذى أصدروه فى عام ١١٨٣ م ؟ . وان لم يكن قد توفر لديهم نص أحد هذين المرسومين ، فلا شك أن بعض هؤلاء الامراء كانوا على دراية بقوانين عام ١١٦٦ م الخاصة بفرض الضريبة الصليبية . واذا كان الامر كذلك ، فكيف أصبحت تفاصيل مشاريع

=

ملكة كان لابد من فتح الخزانة التى يحفظ فيها تاجى ملك وملكة بيت المقدس ، التى تغلق بثلاثة أقفال لكل منها مفتاح . وكان البطريرك يحتفظ بأحد هذه المفاتيح ويحتفظ كل من مقدم الداوية ومقدم الاسبتارية بمفتاح آخر . وهنا رفض مقدم الاسبتارية أن يخل بوصية بولدوين الرابع ورفض تسليم المفتاح الخاص به الى البطريرك أو الى رينودى شاتيون وقذف به من النافذة . انظر :

Eracles, PP. 28 — 29; William of Tyre, Vol. 2, P. 488, Gervase of Canterbury, Vol. 1, P. 199, C.F. Also, J. LaMonte Op, Cit, P, 182, n.1.

راجع ايضا ملحق رقم (١) بآخر البحث .

(٥٥) انظر ما سبق ، ص ١٣٥ — ١٣٦ .

ضرائب عام ١١٦٦ م معروفة فى مملكة بيت المقدس الصليبية ؟ . الواقع ان الاجابة على هذا التساؤل بالايجاب تؤكد أن هذه الضريبة قد جمعت فى غرب أوربا . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تؤكد نقل حصيلتها — أو بعض هذه الحصيلة — وقواعدها الى بيت المقدس . فروبرت التنورى Robertus de Torigneio (٥٦) الذى قرر من قبل أن كلا من هنرى الثانى ولويس السابع قد فرض ضريبة للدفاع عن

---

(٥٦) كان روبرت المتورى احد رجال الدين الذين اهتموا بكتابة التاريخ. ولد فى مدينة تورز Tours . وأول ما نعرفه عنه انه أصبح راهبا فى دير بك Bec فى عام ١١٢٨ م . ثم عين رئيسا لهذا الدير فى عام ١١٤٩ م . ثم انتخب رئيسا ارهبـــان كنيســة مونت سان ميشــيل Mont-Saint Michel فى عام ١١٥٤ م ، وبقى فى هذا المنصب حتى وفاته فى عام ١١٨٦ م . وارتحل الى انجلترا فى عامى ١١٥٧ م ، ١١٧٥ م فى مهام كنسية . واجتمع روبرت بكثير من الشخصيات الهامة التى زارت كنيسة مونت سان ميشيل بما فيهم هنرى الثانى ملك انجلترا الذى كان على علاقة وطيدة بهذه الكنيسة ، وزارها مرتين الاولى فى عام ١١٥٨ م بصحبة لويس السابع ملك فرنسا ، والثانية فى عام ١١٦٦ م حيث أصدر مرسوم ضريبة لى مان . وبذلك كان روبرت يعيش وسط الاحداث التى كتب عنها . وقد بدأ روبرت فى كتابة التاريخ فى عام ١١٣٩ م . وقام بوضع عدة مؤلفات على النسق النورماندى فى تسجيل الاحداث التاريخية . وكان أهم أعماله هو حوليته Chronica التى عالجت تاريخ العالم منذ الخليقة وحتى عام ١١٨٦ م الذى مات فيه . وحتى احداث عام ١١٤٧ م استقى روبرت معلوماته من مصادر تاريخية متنوعة . اما الاحداث التى تلت هذا العام وحتى نهاية حوليته يعتبر فيها مصدر ثقة يكتب عما عاصره . وقد نسخت حوليته فى حوالى ١٨ مخطوط ، ونالت شهرة كبيرة فى انجلترا وفرنسا . واقتبس عنه غالبية المؤرخـــين الانجليز مثل رادولف دكيتـــو وروجر وندوفر ومتى البازيزى وغيرهم . وللمزيد عن حياة واعمال بروبرت الـــتورى ، انظـــر :

Antonia Gransden, Historical Writingin England, Vol. 2, pp. 261 — 263.

المملكة الصليبية(٥٧) ، قرر أيضا أن الملكين قد اختلفا فى عام ١١٦٧ م حول هوية الرجال الذين كان عليهم أن يقوموا بنقل الاموال التى جمعت الى بيت المقدس(٥٨) . كما يذكر أيضا أن « ستيفن كونت سانكير » Sancerre قد رحل فى نهاية عام ١١٧٠ م الى « بيت المقدس حاملا الاموال التى أمر لويس ملك الفرنسيين بجبايتها لمساعدة كنيسة بيت المقدس »(٥٩) . ولأن مرسومى ضريبة ١١٦٦ م ســواء الذى أصدره لويس السابع أو الذى أصدره هنرى الثانى قد اشترط أن يتم جباية الضريبة لمدة خمس سنوات(٦٠) ، فلابد أن ستيفن قد حمل معه بعضا من عــائد الضريبة التى فرضت فى عام ١١٦٦ م .. ويؤكد لنا وليم الصورى ذلك حين يذكر أن ستيفن بقى فى بيت المقدس لأشهر قليلة ، حيث عرض عليه الملك عمورى ملك بيت المقدس أن يتزوج — أى ستيفن — من ابنته سبيلا Sibylla (٦١) .

---

(٥٧) انظر ما سبق ، ص ١٢١ .

(٥٨) Robert of Torigny, Chronica, P. 230.

(٥٩) "Stephanus, Comes de Sanceore Perrexit Jerusalem, ferens secum pecuniam, quam rex Francorum Ludovicus fecerat Colligere in adjutorium Jerosolimitanae ecclesiae"

انظــر : Robert of Torigny, Chronica, P. 249.

وكان ستيفن كونت سانكير حفيدا لستيفن كونت بلوا وشارتر أحد قادة الحملة الصليبية الاولى ، وهو ابن تيبالد الثانى Theobald II كونت بلوا وشارتر وتروى انظر : William of Tyre, Vol. 2, P. 384.

(٦٠) انظر ملحق رقم (١) بآخر البحث .

(٦١) فى يوليو ١١٦٩ م بعث عمورى ملك بيت المقدس بفريدريك رئيس أساقفة صور الى غرب أوربا طلبا للمساعدة من ملوك الغرب . وقبل نهايات عام ١١٧٠ م أرسل عمورى الى مبعوثه يطلب منه الاتفاق مع كونت سانكير للحضور الى بيت المقدس للزواج من ابنته سبيلا وتم ذلك . ووصل ستيفن الى فلسطين قبل عودة عمورى من القسطنطينية —
=

وفى بلاط بيت المقدس ، لابد وأن توفرت الفرصة لستيفن كى يشير الى مشروع فرض الضرائب التى كانت الاموال التى أحضرها هو الى بيت المقدس جزءا من حصيلتها • وربما أشار الى قواعد فرض هذه الضريبة بعض الحجاج الصليبيين والتجار والمبعوثين الذين توجهوا الى الشرق الادنى خلال العقدين السادس والسابع من القرن الثانى عشر الميلادى(٦٣) • وبذلك يمكن الاخذ بأن مرسوم ضريبة عام ١١٦٦ م

=

الذى كان قد رحل من عكا فى ١٠ مارس ١١٧١ م وبقى فى القسطنطينية حتى ١٥ يونيو من نفس العام حيث عقدا اتفاقية مع الامبراطور مانويل كومنين — وحين اجتمع ستيفن بالملك تخلى عن فكرة الزواج من سبيلا وعاش فترة فى بيت المقدس ، ثم رحل الى انطاكية ، وبعد بقائه فتـــرة أسيرا لدى الأرمن توجه الى القسطنطينية . انظر :

William of Tyre Vol. 2, p. 384 C. F. also Steven Ranciman, A History of the Crusades 3 Vol. S, Cambridge, 1968, Vol. 2, PP. 392 — 393.

(٦٣) فى اواخرصيف ١١٦٨ م حضر الى بيت المقدس وليم الرابع كونت نيفر Nevers وفرسانه ، واشترك فى حملة عمورى على مصر فى نفس العام . ولحق بهم اسطول من الغرب فى نوفمبر من نفس العام ورسا فى بحيرة المنزلة . وعاد فريدريك رئيس اساقفة صور ومبعـــوث عمورى الى ملوك غرب اوربا ، عاد الى فلسطين فى اواسط عام ١١٧١ م . كما حضر كل من ستيفن كونت سوان Saône وهنرى دوق برجنديا فى عام ١١٧١ م . وفى عام ١١٧٢ م حضر الى فلسطين هنرى الاسد دوق سكسونيا وبافاريا . وفى عام ١١٧٦ م حضر الى بيت المقدس وليم طويل السيف اكبر أبناء ماركيز مونتفيرات بناء على دعوة بولدوين الرابع ملك بيت المقدس للزواج من سبيلا شقيقة الملك . وفى عام ١١٧٧ م حضر الى فلسطين فيليب كونت الفلاندرز الذى رفض قيادة الحملة البيزنطية الصليبية على مصر فى سبيل مشاركة بوهيمند الثالث مشاريعه ضد المسلمين فى حارم ، وفشل فى تحقيق اهدافه . وأخيرا وفى خريف عام ١١٧٩ م حضر الى الشام من فرنسا هنرى الثانى كونت شامبلنيا وبطرس سيد كورتيناى وفيليب أسقف بيفيه . ولابد ان كل هؤلاء — واغلبهم من رعايا ملك فرنسا — قد نقلوا انباء عن ضريبة عام ١١٦٦ م الى الحكام الصليبيين فى بلاد الشام .

=

التى فرضت فى فرنسا وانجلترا كان نموذجا نقل عنه صليبيو بيت المقدس غالبية بنود مرسوم عام ١١٨٣ م . واذا كانت هناك بعض التفاصيل التى اختلفت فى مرسوم عنها فى الآخر ، فان ذلك يرجع الى أن مرسوم بيت المقدس (١١٨٣ م) كان لابد وأن يأتى — بالرغم من تشبثه بالممارسات الاوربية — موائما للاحوال المحلية للملكة الصليبية(٦٣) .

ولا شك فى أن ضريبتى ١١٦٦ م و ١١٨٣ م كانتا تجربتين مفيدتين لما فرض فى أوربا من ضرائب بعد ذلك . ولايضاح ذلك لابد من التعرض لما جاء فى مرسومى عامى ١١٨٥ م و ١١٨٨ م من بنود . ففيما يخص شرعية الضريبة وتحديد اطارها العام — ولأن الغرض الذى فرضت من أجله هو نفس الغرض الدينى — فكان لابد وأن يبدأ المرسومان نفس بداية مرسومى لى مان ١١٦٦ م وبيت المقدس (١١٨٣ م)

=

وللمزيد عمن وفد من غرب أوربا الى بلاد الشام من الفرنج انظر :

R.C. Smail, Latin Syria and the West (1149 — 1187) in, T.R.H.S., Vol. 20, 1969, P, 13, S, Runciman, Op, Cit Vol, 2, PP 397, 381, 392 — 393 411, 415, 421.

(٦٣) لم يرد اى ذكر لملك بيت المقدس — بولدون الرابع المجذوم — فى مرسوم عام ١١٨٣ م ويظهر أمراء المملكة كمدشنى الاجراء . وربما ارتبط ذلك باضمحلال السلطة الملكية وزيادة سلطة النبلاء فى السنوات الاخيرة للملكة الصليبية الاولى . حيث عاق المرض الملك الصليبى عن السيطرة على دفة الامور من حوله وسط الصراع بين حزب البارونات بقيادة ريموند الثالث كونت طرابلس ويضم النبلاء من اسرة ابلين وبوهيمند الثالث أمير انطاكية ، وبين حزب الملك الام آجنيس ويضم البطريرك هرقل واخيها جوسلين كورتيناى ورينودى شاتيون سيد اقليم ما وراء نهر الاردن . انظـر :

Chronique de Ernoul et de Bernard le Trésoreir, ed. L. de Mas-Latrie. Paris, 1971, pp. 137 — 139; Gestes des Chiprois, in R.H.C. Doc. Arm., Vol, 1, P 659,

فرنسا وانجلترا قد فرضت بموافقة وقبول الجميع[٦٤] • أما فيما يخص تحديد الملكيات الخاضعة للضريبة ، فبالرغم من أنها قد شملت — كما حدث فى مرسومى لى مان وبيت المقدس — الدخل والمنقولات والقروض المستحقة الدفع ، فقد شمل مرسوم ١١٨٥ م بعض الاعفاءات التى تكررت فى مرسوم ١١٨٨ م ، والتى تعدت كثيرا تلك التى جاءت فى مرسوم لى مان • وقد شملت اعفاءات مرسوم ضريبة عام ١١٨٥ م كنوز وزخارف الكنائس ، والكتب ، والخيول ، والآنية ، وملابس الكهنة الرسمية ، والجواهر ، وكل الادوات الضرورية للاستعمال اليومى فى العمل الكنسى • ذلك بالنسبة لرجال الدين ، أما بالنسبة للفرسان فقد أعفوا من دفع الضريبة على الخيــول والاسلحة وكل أنواع العتاد الحربى ، والملابس[٦٥] • وفى مرسوم ١١٨٨ م تكررت هذه الاعفاءات بالنسبة لرجال الدين والعمانيين مع اضافة مجوهرات الفرسان الى قائمة الاعفاءات • كذلك زاد مرسوم ١١٨٨ م هذه الاعفاءات بأن أعفى من دفع الضريبة تماما كل رجال الدين والعلمانيين الذين سيشاركون فى الحملة الصليبية المزمع قيامها بقيادة ملكى انجلترا وفرنسا[٦٦] • أما بالنسبة لمعدل الضريبة ، فقد نص مرسوم ١١٨٥ م على أن تجبى الضريبة لمدة ثلاث سنوات ، وأن كل شخص يمتلك منقولات تبلغ قيمتها مائة صولدى أو أقل ، عليه أن يدفع فى كل سنة بنسين عن كل منزل يملكه • ورعايا الملك الفرنسى الذين تبلغ قيمة منقولاتهم أكثر من مائة صولدى يدفعون عنها عشرين صولديا (بنسين عن كل جنيه) بعملة بروفانس[٦٧] • ورعايا هنرى الثانى فى أملاكه الاوربية الذين تبلغ

---

(٦٤) انظر ملحق رقم (٢) وملحق رقم (٣) بآخر البحث •

(٦٥) انظر ملحق رقم (٢) بآخر البحث •

(٦٦) انظر ملحق رقم (٣) بآخر البحث •

(٦٧) فى الواقع كانت العملة المميزة والوحيدة المتداولة فى العالم المسيحى اللاتينى فى العصور الوسطى هى البنس ، وفى البداية كان البنس عملة فضية خالصة تزن ما بين جرام وجرامين من الفضة فى شكلها النمطى =

منقولاتهم نفس القيمة يدفعون بنسين بالعملة المتداولة فى آنجو . أما من يملكون نفس الثروة من رعاياه فى انجلترا فيدفعون جنيها واحدا بالعملة الانجليزية . وبالنسبة الذين يملكون أراضى أو مصادر أخرى للدخل تبلغ قيمتها مائة جنيها انجليزيا أو أكثر فعليهم أن يدفعوا سنويا جنيها انجليزيا واحدا عن كل مائة جنيـــه . وبذلك جاءت ضريبة عام ١١٨٥ م متدرجة على الدخل والمنقولات(٦٨) كما أضاف مرسوم ١١٨٥ م معدلا آخرا لضريبة لم نجدها الا فى مرسوم لى مان عام ١١٦٦ م ، اذ نص المرسوم على أن من يموتون خلال العشر سنوات التالية على عام ١١٨٤ م ويستطيعون أن يقدموا الصدقات لخلاص أرواحهم ، فعليهم أن يدفعوا عشر الدخل للاراضى المقدسة(٦٩) . ولفظ العشر decema هنا ينطبق فقط على هذا البنــد المتعلق بصدقات الموتى ولا ينطبق على الضريبة ككل . كذلك الحال بالنسبة لمدة العشر سنوات

=

كما سكت لأول مرة فى عهد شارلمان فى القارة الاوربية ، وفى عهد الملك اوفا Offa فى انجلترا . والاسم اللاتينى للبنس هو الديناريوس Denarius وبالفرنســية Dinier وبالايطاليــة Denaro وبالاســبانية Dinero بينما أطلــق عليها بالانجليــزية اســم البنــس Penny وكان الشلن الانجليزى حتى نهاية القرن ١٢ م يساوى ٢٠ بنسا . بينما كان الجنيه الانجليزى Libra يساوى مائة بنس (ديناريوس) . انظر :

Martin Jessop Price, Coins. An Illustrated Survey (650 B.C. to the Present Day), London, 1980, p. 143.

(٦٨) S.K. Mitchell, Txation in Medieval England ed. Sidny Painter, New Haven, 1951, P. 118.

راجع ايضا ملحق رقم (٢) بآخر البحث .

(٦٩) راجع ملحق رقم (٢) بآخر البحث .

فانها تنطبق على صدقات الموتى فقط[٧٠] • أما مرسوم عام ١١٨٨ م • فقد حدد معدل الضريبة بصفة عامة بعشر الدخل أو عشر قيمة المنقولات دون تدرج يذكر ، ودون ذكر لصدقات الموتى ، وأن تجبى الضريبة لمدة عام واحد[٧١] •

أما عن وسيلة تقدير الثروة الشخصية لدافعى الضرائب ، فبينما خلا مرسوم عام ١١٨٥ م من الاشارة الى ذلك[٧٢] ، فقد نص مرسوم عام ١١٨٨ م على أنه فى كل أبرشيه يقوم كل شخص بأداء قسم يؤكد به قيمة ممتلكاته ودخله ، واذا لم يقدر القيمة الحقيقية لممتلكاته أو دخله فان قسمه يصبح باطلا ، ويتعرض لعقوبة الحرمان من الكنيسة ، وتقوم لجنة بتقدير ثروته تتكون من قس الابرشية ونائب المطران وعضو من جماعة الداوية وعضو من جماعة الاسبتارية وأحد رقباء الملك وأحد كتبته ، وأحد رقباء البارون وأحد كتبته ، وكاتب الاسقف • واذا دفع شخص مبلغا لا يبلغ القيمة التى تتراءى لهؤلاء كعشر يجب أن يؤديه هذا الشخص ، فانهم يختارون أربعة أو ستة رجال من الثقاة من سكان الابرشية والذين يحيطون بما يملكه هذا الشخص من أراض ومنقولات

---

(٧٠) S. K. Mitchell Ibid, Fred A. Gazel, The Tax of 1185, P. 387.

راجع أيضا ملحق رقم (٢) بآخر البحث .

(٧١) Benedict of Pterbrough, Gesta Regis, Vol. 2 P. 30; William of New-brugh, Historia Rerum Anglicarum, P. 273.

راجع أيضا ملحق رقم (٣) بآخر البحث .

(٧٢) ربما يرجع ذلك للتدرج الذى تميز به معدل هذه الضريبة والذى جعله فى مقدور كل الخاضعين لها ، دون اشارة اية شكاوى من ثقل عبء الضريبة كما حدث بالنسبة لعشر صلاح الدين . انظر :

S.K. Mitchell, Taxation, P. 10.

وما له من دخل ، ويقوم هؤلاء بتقدير قيمة ممتلكاته ويقسمون على صحة هذا التقدير(٧٣) . هذا عن سكان الاقاليم ، أما سـكان المدن فيخبرنا بندكت راهب بيتربورو أن تقدير قيمة الممتلكات الشخصية لتحديد العشر الذى يدفعه كل شخص يتم بواسطة لجنة خاصة ، بمعنى ربط الضريبة بالتحكيم والقضاء(٧٤) . أما عن الذين يقومون بجمع الضريبة فقد حددهم مرسوم عام ١١٨٥ م بعضو من جماعة الداوية وآخر من جماعة الاسبتارية كجباة للضريبة فى كل دوقية ، وينضم اليهما القس واثنان من رجال الدين فى كل أبرشية(٧٥) . أما مرسوم عام ١١٨٨ م فكانت اللجنة تقدر قيمة الممتلكات هى نفسـها التى تقـوم بجباية الضريبة(٧٦) .

ويتضح مما سبق أن تجربة فرض الضرائب لمساعدة مملكة بيت المقدس الصليبية وهى الضرائب التى ظهرت فى عام ١١٦٦ م ثم فى عام

---

(٧٣) S.K. Mitchell, Taxation, P. 90.

راجع أيضا ملحق رقم (٣) بآخر البحث .

(٧٤) يروى بندكت أن الملك هنرى الثانى أمر بأن يمثل امامه الاغنياء من سكان مدن انجلترا كلها محددين بالاسم . وكانوا على سبيل المثال مائتا رجل من مدينة لندن ، ومائة رجل من مدينة يورك ، ليمثلوا امامه فى ايام واماكن محددة ليحصل منهم على العشور المقررة على ثرواتهم التى يتم تقدير قيمتها « حسب تقدير رجال ثقاة على دراية بدخل وممتلكات هؤلاء الرجال » .

"Secdum aestimationem Virorum fidelium qui redditus et mobilia eorum noverant".

انظـر :

Benedict of Peterbrough, Gesta Regis, Vol. 2, P. 33.

(٧٥) انظر ملحق رقم (٢) بآخر البحث .

(٧٦) انظر ملحق رقم (٣) بآخر البحث .

١١٨٣ م فى المملكة الصليبية نفسها قد أمدت هنرى الثانى وفيليب أوغسطس ملكى انجلترا وفرنسا بخبرة التنبؤ بحصيلة الضرائب التى فرضاها فى أملاكهما — لنفس الغرض — فى أعوام ١١٨٥ م و ١١٨٨ م . وفى ضوء التجربتين الاخيرتين نلمس تطورا كبيرا فى وضع بنود المرسوم الخاصة بكل ضريبة منهما لذلك اختفت بعض البنود وبقى بعضها ، واستجدت أيضا بنود جديدة لم تكن تشملها المراسيم السابقة على كل ضريبة منهما .

ففيما يخص معدل الضريبة نجد أن ضريبة عام ١١٨٥ م قد استقت وحدة المئة المستخدمة فى تحديد معدل ضريبة بيت المقدس عام ١١٨٣ م . ويبدو أن استخدام هذه الوحدة (١٠٠ بيزنط) يعكس استخداما محليا فى مملكة بيت المقدس(٧٧) ، دون أن يظهر له أثر فى غرب أوربا فى ذلك الوقت ، وبذلك يمكن القول بأن الظهور المفاجىء لهذه الوحدة فى مرسوم ١١٨٥ م — الذى أصدره كل من فيليب أوغسطس وهنرى الثانى — كان نتيجة لدراية ملكى فرنسا وانجلترا بمعدل ضريبة بيت المقدس عام ١١٨٣ م(٧٨) . وبينما اتخذ مرسوم ١١٨٥ م وحدة المئة وتخلى عن وحدة الجنيه — التى استعملت فى مرسوم ١١٦٦ م — فان مرسوم

---

(٧٧) كانت وحدة المئة بيزنط هى الوحدة التى تجبى بها كل انواع الضرائب التى تجبى فى مملكة بيت المقدس وحتى فى الامارات الصليبية الاخرى سواء كانت هذه الضرائب تجبى من الاتباع ، أو من جاليات المدن التجارية الايطالية فى الموانى أو المدن الصليبية على السلع أو على رسو السفن فى الموانى الصليبية . وللمزيد عن انواع هذه الضرائب ومعدلاتها انظر :

Lon Monte, Feudal Monarchy, PP. 166 ff.

راجع ايضا : حسين عطية : امارة انطاكية الصليبية ، ص ٢٤٩ ، حاشية ٨ ، ٩ .

(٧٨) ربما كان لاجتماع هرقل بطريرك بيت المقدس بملكى فرنسا وانجلترا عام ١١٨٥ م أثر فى المام الملكين ببنود مرسوم ١١٨٣ م الصادر فى مملكة بيت المقدس الصليبية . انظر ما سبق ، ص ١٢٥ — ١٢٦ .

١١٨٨ م لم يرتبط بوحدة معينة فى تحديد معدل الضريبة . لأن ضريبة ١١٨٨ م لم تكن متدرجة وانما تحدد لجبايتها العشر بصفة عامة سواء عشر الدخل أو عشر قيمة المنقولات التى يملكها دافع الضريبة[٧٩] .

واذا كان مرسوم بيت المقدس عام ١١٨٣ م قد أخضع كل سكان المملكة الصليبية وكافة ممتلكاتهم للضريبة ، واذا كانت اعفاءات مرسوم ١١٨٥ م قد تعدت اعفاءات قانون لى مان عام ١١٦٦[٨٠] ، واذا كانت اعفاءات مرسوم ١١٨٨ م قد تعدت اعفاءات المرسومين السابقين ، فان مرسوم عام ١١٨٥ م اشتمل على نص يختص بعشر صدقات الموتى الذى ورد فى مرسوم لى مان دون أن يرد فى مرســـوم بيت المقدس ١١٨٣ م أو مرسوم عام ١١٨٨ م (عشر صلاح الدين)[٨١] .

وكل هذه الاختلافات فى بنود مراسيم هذه الضرائب انما تعكس تطورا ملحوظا فى النظام الضرائبى ــ من أجل مساعدة الصليبيين فى الاراضى المقدسة ــ أملته ضرورة الوصول بحصيلة كل ضريبة الى ما لم تبلغه ضريبة سابقة عليها ، وتتناسب مع حجم المشروع الصليبى الذى فرضت الضريبة لأجله . ويتضح ذلك من محاولة تتبع قيمة عائد كل ضريبة من هذه الضرائب .

ولم تسجل المصادر التاريخية ما يشير الى أن دافعى ضرائب عام ١١٦٦ م أو عام ١١٨٥ م رأوا فى معدل هذه الضرائب شيئا يتعدى معدل أية ضرائب أخرى مألوفة لهم . وتوضح المصادر التاريخية أنه فقط فى عام ١١٨٨ م كان الشعور قويا بأن عشر صلاح الدين (ضريبة ١١٨٨ م) كان يفوق قدرات الافراد المادية[٨٢] . وهذا دليل على أن

---

(٧٩) راجع ملحق رقم (٣) بآخر البحث .

(٨٠) انظر ما سبق ، ص ١٤٤ .

(٨١) انظر ملحق رقم (٢) بآخر البحث .

(٨٢) S.K. Mitchell, Taxation, P. 10.

حصيلة عشر صلاح الدين كانت تفوق حصيلة أية ضريبة سابقة عليها من الضرائب التى فرضت لمساعدة مملكة بيت المقدس الصليبية[٨٣] . ومن أسف أن المصادر التاريخية لم تسجل لنا قيمة حصيلة أية ضريبة من هذه الضرائب . الا أن محاولة مقارنة معدلات هذه الضرائب بعضها ببعض ربما تساعد على تحقيق ذلك . ومن الاوفق أن نقصر المقارنة على معدلات ضرائب أعوام ١١٦٦ م و ١١٨٥ م و ١١٨٨ م دون معدل ضريبة عام ١١٨٣ م . فالضرائب الثلاث الاولى فرضت فى غرب أوربا ، وبالتحديد فى أملاك ملكى فرنسا وانجلترا . أما الضريبة الاولى ففرضت فى مملكة بيت المقدس الصليبية ، التى يختلف عدد سكانها عن عدد رعايا الملكين الفرنسى والانجليزى . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فان المصادر التاريخية لم تسجل أية اشارة الى حصيلة ضريبة بيت المقدس (١١٨٣ م) .

وفى الحقيقة ، لا أحد يعرف قيمة عائد الضريبة عام ١١٦٦ م أو ضريبة عام ١١٨٥ م[٨٤] . ولكن جيرفاس راهب كنيسة كانتربرى يخبرنا أن الملك هنرى الثانى وعد هرقل بطريرك بيت المقدس بخمسين ألف مارك فضى من أجل الدفاع عن مملكة بيت المقدس ، من حصيلة الضريبة التى فرضها على رعاياه فى أملاكه فى انجلترا وفى القارة الاوربية فى عـام ١١٨٥ م " Promisit et rex ad defensionem terrae Jerosolimitane L. Milia marcas argenti"[٨٥] ويقرر جيرفاس ، فيما

---

(٨٣) من الملاحظ ان ضرائب عامى ١١٦٦ م و ١١٨٥ م قد فرضت لمساعدة مملكة بيت المقدس الصليبية ، اما ضريبة عام ١١٨٨ م (عشر صلاح الدين) فقد ارتبطت بقرار القيام بحملة صليبية مشتركة الذى اتخذه كل من فيليب اوغسطس وهنرى الثانى ، لذلك كانت الضريبة لاعداد هذه الحملة ، الأمر الذى يتطلب أموالا طائلة . انظر :

Bendict of Peterbrough, Gesta Regis, Vol. 2, pp. 29 — 30.

(٨٤) S.K. Mitchell, Taxation, P. 119.

(٨٥) Gervase of Canterbury, P. 325

بعد ، أن حصيلة عشر صلاح الدين — ضريبة عام ١١٨٨ م — قد بلغت — فى انجلترا — سبعين ألف جنيها انجليزيا دفعها المسيحيون الى جانب ستين ألفا دفعها اليهود من رعايا الملك[٨٦] . واذا وضعنا معـدلات الضرائب محل المقارنة ، فاننا نجد أن ضريبة عام ١١٦٦ م قد جبيت فى أملاك هنرى الثانى بمعدل $\frac{١}{١٢٠}$ (بنسان عن كل جنيه) لمدة عام واحد ، وبمعدل $\frac{١}{٢٤٠}$ (بنسا واحدا لكل جنيه) لمدة أربعة أعوام ، أو ٢½٪ من قيمة دخل عام واحد[٨٧] . أما ضريبة عام ١١٨٥ م فقد جبيت بمعدل يتدرج — حسب قيمة وأنواع الثروات الشخصية — من $\frac{١}{٢٤٠}$ الى $\frac{١}{١٠٠}$ ولكن لمدة عام واحد فقط[٨٨] ، أما ضريبة عام ١١٨٨ م فقد جبيت بمعدل العشر لمدة عام واحد فقط . وبذلك تكون الضريبة الاخيرة — عشر صلاح الدين — قد بلغت قيمتها أربعة مرات قدر قيمة ضريبة عام ١١٦٦ م ، وثلاث مرات أو أربع مرات قدر قيمة ضريبة عام ١١٨٥ م[٨٩] . واذا كانت حصيلة عشر صلاح الدين قد بلغت ١٣٠ ألف جنيها انجليزيا ، فان حصيلة ضريبة عام ١١٦٦ م بلغت حوالى ٣٠ ألف جنيها انجليزيا ، بينما تراوحت حصيلة ضريبة عام ١١٨٥ م ما بين ٣٠ ألف و ٤٠ ألف جنيها انجليزيا ، وذلك فقـط فيما يخص

---

(٨٦) "Ut Christiani Lxx. milia Librarum et eo amplius Pecuniam darent, Judaei vero Ix. Milia".

انظـر : Gervase of Canterbury, P. 422.

(٨٧) Fred A. Cazel, The Tax of 1185, P. 388, n. 18.

(٨٨) S.K. Mitchell Taxation p. 119.

راجع ايضا ملحق رقم (٢) بآخر البحث .

(٨٩) S.K. Mitchell Taxation, P. 118.

الاسهام الانجليزى فى حصيلة هذه الضرائب[٩٠] . ومن ذلك يمكن القول بأن ضريبة عام ١١٦٦ م قد أمدت هنرى الثانى بخبرة التنبؤ بحصيلة ضريبة عام ١١٨٥ م ، وأن تجربة عام ١١٨٥ م ربما عاونته على التخطيط لعشر صـــلاح الدين (١١٨٨ م) ، لذا كانت حصـــيلة هذا العشر تفوق حصيلتى الضريبتين الســـابقتين عليه مجتمعتين . ويرجـــع ذلك الى التطـــور الذى حدث فى نظـــام فرض الضرائب الصـــليبية وزاد من ضريبـــة لاخـــــرى لتزداد معه حصـــيلة كل ضريبـــة عن الاخـــرى[٩١] ، لمواجهـــة الموقف المتأزم بالنســـبة

(٩٠) حرص مؤلف تاريخ حملة ريتشارد قلب الاسد (ابن هنرى الثانى) على ان لا يغفل ذكر قيام هنرى الثانى بارسال عائد ضريبة عام ١١٨٥ م وقدره ثلاثون ألف مارك مع أعضاء منجماعتى الداوية والاسبتارية للدفاع عن مملكة بيت المقدس الصليبية . كما يشير المؤرخ نفسه ــ وأيده فى ذلك كاتب تاريخ هرقل ــ أن هنرى قد أرسل هذه الاموال على مدار عدة سنوات وليس كدفعة واحدة . ويثبت ذلك امرين : الاول ان حصـــيلة ضريبة عام ١١٨٥ م بلغت ثلاثين ألف ماركا . والثانى أن عائد الضريبة قد وصل بالفعل الى بيت المقدس ، انظر :

Itinerarium Peregrinorum et gesta Regis Ricardi, ed., W. Stubbs, in R.S., London, 1865, Ch. XII, P. 26; Earcles, P. 46 — 47,

(٩١) نلاحظ أن الاعفاءات من ضريبة ١١٨٥ م هى نفس الاعفاءات من عشر صلاح الدين (١١٨٨ م) . وأن استخدام أعضاء جماعتى الداوية والاسبتارية فى جمع الضريبة الأولى استمر فى جمع الضريبـــة الثانية مع تعديل بسيط وهو أن حصيلة عشر صلاح الدين لم تكن تبقى بحوزة هؤلاء وانما يتم ارسالها الى لجنة من رجال الملك فى كل مدن انجلترا وظيفتها حفظ هذه الحصيلة ، لتجمع هذه الاموال فى النهاية معا للاعداد للحملة الصليبية التى عزم الملك على القيام بها بالاتفاق مع ملك فرنسا .

انظـــر : S.K. Mitchell, Taxation PP. 24.

هذا ، الى جانب ان اعضاء جماعتى الداوية والاسبتارية لم يكونوا وحدهم الذين يقومون بجباية عشر صلاح الدين ، وانما كانوا ضمن هيئة تكونت لجمع هذا العشر . وربما كان دورهم ينتهى بجمع هذه الضريبة من الابرشيات . بعكس ضريبة عام ١١٨٥ م التى كانوا يقومون بجمعها وارسالها الى فلسطين بأنفسهم .

راجع ملحق رقم (٣) بآخر البحث .

للكيان الصليبى فى الاراضى المقدسة • وبذلك تكون تجربة ضريبة عام ١١٦٦ م هى التى تحظى بالسبق عما تلاها من تجارب فى كثير من النواح • وهذه التجربة هى التى منحت ملوك غرب أوربا وحتى حكام مملكة بيت المقدس الخبرة فى وضع بنود مراسيم الضرائب اللاحقة لتحقيق أكبر عائد ممكن لكل ضريبة عما حققته سابقاتها •

وأخيرا ، فهناك تساؤل ربما يفرض نفسه ، وهو : هل تم بالفعل جمع هذه الضرائب ؟ وهل وصلت بالفعل الى مملكة بيت المقدس ؟ أم كانت المراسيم التى صدرت بشأن هذه الضرائب مجرد قوانين غير معمول بها ؟ • والاجابة على هذا التساؤل بالنفى أو بالايجاب ترتبط ارتباطا وثيقا بقدر ما يرد فى المصادر التاريخية من اشارات تحدد طبيعة الاجابة نفسها • فبالنسبة لضريبة عام ١١٦٦ م ، أخبرنا روبرت التورى من قبل ما يفيد بأن هذه الضريبة قد تم جمعها ، كما أكد وصولها الى بيت المقدس محددا شخصية من أنيط اليه بنقلها من أوربا الى مملكة بيت المقدس ، وأكد لنا وليم رئيس أساقفة صور وشاهد عيان للأحداث ، وصول هذا الشخص الى بيت المقدس[٩٢] • أما عن ضريبة عام ١١٨٣ م التى فرضت فى مملكة بيت المقدس نفسها ، فلا تحتاج الى دليل على جمعها من عدمه — وان لم تشر المصادر الى ذلك — وكل رعايا المملكة الصليبية والسلطات الصليبية فيها لم يكن أمامهم خيار آخر غير تنفيذ القرار الذى اتخذه المجلس الصليبى الذى فرض هذه الضريبة لمساعدة مملكتهم فى التصدى للمسلمين • أما عن ضريبة عام ١١٨٥ م ، فانها لم تترك أثرا يدل على اتمام جبايتها بالفعل ، الامر الذى دفع بالبعض الى التشكك فى ذلك[٩٣] • وفى الحقيقة هناك أسباب تجعل من الصعب وجود أى دليل على جباية هذه الضريبة • فبداية ، فان هذه الضريبة لم يجمعها الملك كما حدث فى جمع ضريبتى

---

(٩٢) انظر ما سبق ، ص ١٤٢ •

(٩٣) W.E. Lunt, The Valuation of Norwhich, Oxford, 1962, P. 5.

عام ١١٦٦ م وعام ١١٨٨ ، بينما قام بجباية هذه الضريبة أعضاء من جماعات الفرسان الرهبان من الداوية والاسبتارية ، الذين ربما قاموا بنقل عوائد هذه الضريبة الى بيت المقدس مباشرة[٩٤] • وليس غريبا اذن أن لا توجد اشارة الى ضريبة عام ١١٨٥ م — التى لم يجمعها الملك — فى السجلات الملكية • كما أن معدل ضريبة عام ١١٨٥ م كان أقل من معدل ضريبة عام ١١٨٨ م — عشر صلاح الدين — التى أثارت كثيرا من شكاوى الخاضعين لها ، وبالتالى لم تسجل المصادر التاريخية مثل هذه الشكاوى بخصوص ضريبة ١١٨٥ م ، وبذلك لا يتبقى أمامنا سوى التمعن فى المصادر التاريخية لاستخلاص الاشارات التى تدل — من جهة — على جبايتها ، ومن جهة أخرى على وصولها الى مملكة بيت المقدس • وبداية فان الربط بين المساعدة التى وعد ملكا فرنسا وانجلترا بتقديمها لملكة بيت المقدس فى نهاية اجتماعهما المنعقد على حدود نورمانديا فى نهاية أبريل — بداية مايو ١١٨٥ م[٩٥] وبين خطاب بولدوين رئيس أساقفة كنيسة كانتربرى الى معاونيه فى كنائس انجلترا فى نفس العام ، والذى حثهم فيه على الاهتمام بجباية هذه الضريبة ، وبين الغفران الذى منحه أساقفة نورماندى لهؤلاء الذين يدفعون الضريبة فى دوقياتهم[٩٦] : هذا الربط يضع مرسوم ضريبة عام ١١٨٥ م محل التنفيذ[٩٧] • وهناك بعض الاشارات التى تدل على أن ضريبة عام ١١٨٥ م ، قد تم جبايتها — فى أملاك هنرى الثانى — وفى الوقت ذاته تدل على وصول بعض عوائد هذه الضريبة من الاسهام الانجليزى الى مملكة بيت المقدس • فقد أرسل هنرى الثانى بعض الاموال الى الاراضى المقدسة قبل وبعد عام ١١٨٥ م ، كما قرر مؤرخ حملة ريتشارد

---

(٩٤) S.K. Mitchell, Taxation, PP. 12 — 14, 64.

(٩٥) انظر ما سبق ، ص ١٢٦ •

(٩٦) W.E. Lunt, The Text of the Ordinance of 1194, P. 240.

(٩٧) Fred A. Cazel The Tax of 1185, PP. 390 — 301.

قلب الاسد أن الملك هنرى قد أرسل ثلاثين ألف مارك الى الاراضى المقدسة ، كما أشار أحد مكملى تاريخ وليم الصورى ، الى أن هنرى قد أرسل الأموال الى مملكة بيت المقدس على عدة دفعات وليس دفعة واحـــدة[٩٨] .

أما فيما يخص ضريبة عام ١١٨٨ م ـــ عشر صـــلاح الدين ـــ فالدلائل كثيرة على أنهـــا قد جبيت ، على الاقـــل فى أملاك هنرى الثانى[٩٩] . أما فيما يخص وصول عائد هذه الضريبة الى مملكة بيت المقدس ، فلم نقف على ما يدل على حدوث ذلك فى المصادر التاريخية . واذا لم يكن عائد هذه الضريبة قد وصل الى بيت المقدس ، فربما

---

(٩٨) وبالطبع كانت ترسل هذه الاموال مع جباتها من اعضاء جماعتى الداوية والاسبتارية . انظر ما سبق ، حاشية رقم (٩٠) .

(٩٩) احتوت السجلات الملكية المالية الخاصة بالملك هنرى الثانى وابنه ريتشـارد الاول على ارشارات كثيرة تؤكد تسلم اللجان المركزية التى كانت ترد اليها حصيلة عشر صلاح الدين من الابرشيات المختلفة . فقد أصدرت اللجنة التى تسلمت ما وصلها من عوائد عشر صلاح الدين فى مدينة سالسبرى Salisbury عدة ايصالات تفيد استلامها هذه العوائد . فنجد رادولف أوف ورشستر Ralph of Worcester يصدر ايصال استلام بمبلغ خمسة وثلاثين جنيها وثلاث عشرة بنسا وسلمه لجباة الضريبة من ابرشية تكهيل Tickhill . كما دفع حاكم مدينة اكسفورد ١٥ جنيها وخمسة بنسات الى اللجنة المكلفة بجمع الضريبة فى المدينة . انظر :
S.K. Mitchell, Taxation, P. 24.

راجع ايضا ما سبق ، حاشية رقم (٧٤) .

ومع ذلك فلم يكن كل اتباع هنرى الثانى يؤدون هذه الضريبة . فقد قرر بندكت بيتروورو أن وليم ملك اسكتلندا رفض السماح لاسقف مدينة درهام Durham — الذى بعثه هنرى الثانى على راس لجنة مهمتها جمع عشر صلاح الدين فى اسكتلندا ـــ بدخول بلاده للقيام بمهمتهم ، وعرض أن يدفع لهنرى خمسة آلاف مارك من الفضة بدلا من جباية العشر داخل بلاده . ورفض هنرى ذلك . انظـــر :
Benedict of Peterbrough, Gesta Regis, Vol. 2. P. 34.

وربما لم يتم جمع بعض حصيلة عشر صلاح الدين بالمرة وذلك لعدم

يرجع ذلك الى أن قرار ملكى فرنسا وانجلترا الخاص بفرض هذه الضريبة فى أملاكهما انما ارتبط باعدادهما للقيام بحملة صليبية الى الشرق . وهذه الحملة فى حد ذاتها كانت هى المساعدة التى تحتاجها المالكة الصليبية وليست أموال الضريبة المجباة . ومن المؤكد أن أموال هذه الضريبة كانت ستستخدم فى اعداد الحملة الى الشرق . ولم يكن ارســال الاموال الى بيت المقــدس هو ما عنيه الملــكان بمساعدة المملكة الصليبية ، وانما كان القيام بالحملة المشتركة هو ما قصداه . ويؤكد ذلك أن مرسوم ضريبة عشر صلاح الدين قد أعفى كل رجال الدين والعامانيين الذين سيشتركون فى هذه الحملة من هذا العشر(١٠٠) .

وبعد التأكد من جباية الضرائب الصليبية ومن وصولها الى مملكة بيت المقدس ، يبقى الرد على تساؤل ربما يفرض نفسه فى هذا المجال . وهو : ما هى أوجه صرف عائد هذه الضرائب التى ثبت وصولها الى المملكة الصليبية ؟ وهل كانت هذه الاموال تصرف فى أوجه الدفاع عن المملكة الصليبية — الهدف من جبايتها فى غرب أوربا — ؟ وللاجابة على هذا التساؤل أيضا ليس أمامنا سوى التمعن فى مصادر تاريخ الحروب الصليبية للوقوف على الاشارات التى تساعد على الرد على هــذا التساؤل بالايجاب أو بالنفى . واذا كانت المصادر التاريخية قد منت علينا بالدليل الذى يؤكد صرف عائد ضريبة عام ١١٦٦ م بعد وصوله

=
توفر صدق النية لدى البعض ممن عهد اليهم بجمعها أو دفعها . فيقرر بندكت فى موضع آخر أن جيلبرت أو جلستون Gilbert de Oglestion ، أحد اعضاء جماعة الداوية فى انجلترا الذين عهد اليهم بجباية الضريبة ، قد حاول الاستيلاء لنفسه على ما قام بجمعه من اموال الضريبة ، وعهد الملك الى مقدم الداوية فى لندن بتوقيع العقوبة المناسبة على جيلبرت الذى تم سجنه . انظــر :

Benedict of Peterbrough, Gesta Regis, Vol. 2, P. 48.

(١٠٠) راجع ما سبق ، ص ١٤٤ . وايضا ملحق رقم (٣) بآخر البحــث .

الى بيت المقدس فى أوجه الدفاع عن المملكة الصليبية ، واذا كان من الواضح أن عائد ضريبة عشر صلاح الدين (١١٨٨ م) قد استخدم فى اعداد الحملة الصليبية الثالثة ، فقد حالفنا التوفيق فى الوقوف على اشارة تاريخية تؤكد صرف عائد ضريبة عام ١١٨٥ م فى الدفاع عن المملكة الصليبية . ففى ٢٠ سبتمبر ١١٨٨ م كتب كونراد مونتفيرات[١٠١] الى بولدوين رئيس أساقفة كانتربرى فى انجلترا يشكو اليه مقدم الداوية ، الذى لم يبد تعاونا مع كونراد للدفاع عن صور ضد المسلمين . ويذكر كونراد فى خطابه الى رئيس الاساقفة الانجليزى أنه وجه اللوم الى مقدم الداوية الذى لم يسلمه الجزء الذى كان بحوزة الداوية من الاموال التى أمر الملك هنرى الثـــانى بجبايتها وتقسيمها بين الداوية والاسبتارية لمساعدة مملكة بيت المقدس الصليبية . وبينما قام مقدم الاسبتارية بتسليم كونراد نصيب جماعته من هذه الاموال للدفاع عن مدينة صور ، فقد امتنع مقدم الداوية عن القيام بذلك[١٠٢] . الا أن

---

(١٠١) كان كونراد شقيقا لوليم مونتفيرات زوج سبيلا اخت الملك بولدوين الرابع . وهو عم بولدوين الخامس . ارتحـــل من اوربا الى القسطنطينية حيث تزوج من شقيقة الامبراطور البيزنطى اسحق انجيلوس ، ثم حضر الى الشـــــام فور موقعة حطين ، فوجد أن عكا قد عادت الى المسلمين ، فتوجه الى صور ، المدينة الوحيدة التى بقيت فى ايدى الفرنج من كل مملكة بيت المقدس . وتولى أمر الفرنج فى المدينة ، ورفض تسليمها لصلاح الدين ، وقاوم هجوم المسلمين فى نوفمبر ١١٨٧ م — رمضان ٥٨٣ هـ . وقام بتحصينها ورفض تسليمها للملك جى لوزنيان بعد فك أسره . وبقى بها حتى قدوم الحملة الصليبية الثالثة . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٨٣ — ٨٤ .

راجع أيضـــا : Eracles, PP. 74 — 78.

(١٠٢) Radulf de Diceto, Ymagines, PP. 60 — 62; Matthew Paris Cronica Majora, Vol. 2, pp. 338 — 339; R. Rohricht, ed., Regesta Regni Hierosolymitani, 2 Vols., Insbruck, 1893 — 1904, No. 676, P. 181.

كما بعث كونراد بنفس الشكوى الى كل من فيليب اوغسطس ملك =

دعوى كونراد ضد الداوية كانت بعيدة عن الحقيقة ، فقد كان الداوية قد دفعوا نصيبهم ، من الاسهام الانجليزى لمساعدة الصليبيين فى بلاد الشام ، الى الملك جى لوزينان (١١٨٦ — ١١٩٢) ليتمكن من اعلان التعبئة العـامة arrière-ban بين الصليبيين قبيل وقعة حطين ، كما يقرر ارنول فى تاريخه[١٠٣] . ومن هذه الوقائع يتأكد لنا أن جزءا من أموال الضرائب التى فرضت فى غرب أوربا قد أنفق فى تجهيز الجيش الصليبى استعدادا لمواجهة صلاح الدين فى حطين . بينما أنفق الجـزء المتبقى فى الدفاع عن مدينة صور التى أصبحت الامل الوحيد لصليبيى مملكة بيت المقدس بعد حطين . وهذا دليل على أن أموال الضرائب الصليبية كانت تنفق فى الوجهة الصحيحة لها ، والهدف الذى فرضت من أجله .

ولا يقتصر الامر على التساؤل السابق . فهنـاك تساؤل أخير يحتاج الى اجابة وهو : ألم يخصص جزء من حصيلة تلك الضرائب ليؤول الى خزانة البابوية ؟ وفى الحقيقة ، لا يوجد هنـاك أى ذكر لمندوبين عن البابوية ضمن الاشخاص الذين كلفوا بجباية هذه الضرائب والذين حددتهم مراسـيم هـذه الضرائب . وكان رجـال الدين المكلفين بالحضـور أثناء جبـاية الضرائب فى فرنسـا وانجلترا انما ذكروا كأتبـاع للملك وليس للبابا . الى جانـب ذلك فان الخطابات التى كان يبعث بابوات روما الى ملوك فرنسا وانجلترا يستحثونهم على تقديم المساعدات للصليبيين فى بلاد الشام ، والتى

= فرنسا وريتشارد الاول ملك انجلترا ووليم ملك صقلية والى حكام بيزا وجنوا . انظـر :

Chronica Regia Coloniensis, in M.G.H.SS., in Ussum Scholarum, Hanover, 1880 P. 141.

(١٠٣) وتقدير الدور الملك الانجليزى ، فقد أمر الملك جى لوزينان بأن يحمل الجنود الذين جهزهم بهذه الاموال لواءا عليه شعار هنرى الثانى . انظـر :

Ernoul, pp. 156 — 157.

كان يستجيب لها دائما ملكا فرنسا وانجلترا ، وتأتى هذه الاستجابة فى شكل ضرائب يفرضها الملكان فى بلديهما ، لم تتضمن هذه الخطابات أية اشارات تفيد بأن البابوية تسعى للحصول على شىء من عوائد تلك الضرائب[١٠٤] .

ومن كل ما سبق ، يتضح أنه نتيجة للصيحة التى انطلقت فى يوم ٢٨ نوفمبر من عام ١٠٩٥ م خارج كنيسة كليرمونت بجنوب فرنسا ، ممثلة فى الحماسة التى أثارتها كلمات البابا أوربان الثانى المؤثرة ، وجد المجتمع الاوربى الغربى نفسه — بكل طوائفه — فى عصر سيطرة الكنيسة اللاتينية ، مجبرا على قبول التزام يحقق للبابوية سيطرتها

---

(١٠٤) فى خطابه الى هنرى الثانى ملك انجلترا والذى حمله اليه هرقل بطريرك بيت المقدس ، حث البابا لوكيوس الثالث Lucius III (١١٨١ — ١١٨٥ م) الملك الانجليزى على سرعة ارسال المساعدات الى مملكة بيت المقدس الصليبية قبل أن يجتاح صلاح الدين أملاك الصليبيين . وذلك فى بداية عام ١١٨٥ م . فى أكتوبر / نوفمبر ١١٨٧ م بعث البابا جريجورى الثامن الى ملك انجلترا ضمن من راسلهم من ملوك غرب أوربا بخطاب يحثه فيه على الاسراع فى ارسال المساعدات الى الصليبيين فى بلاد الشام بعد أن اجتاح صلاح الدين المملكة الصليبية وقضى على جيشها فى حطين . ولم ترد اية اشارات فى خطابات البابوية الى ملك انجلترا تحدد ما يمكن تخصيصه ليؤول الى خزانتها من المساعدات المرسلة الى بيت المقدس . ويؤكد ذلك ما اصدره البابا كليمنت الثالث Clement III (١١٨٧ — ١١٩١ م) من تعليمات تخص جباية ضريبة عام ١١٨٨ م (عشر صلاح الدين) . فقد اقتصرت هذه التعليمات على بذل الغفران من الذنوب لكل من يؤدى هذه الضريبة ، وكيفية المحافظة على املاك من يشتركون فى الحملة الصليبية التى كان من المفروض أن يقوم بها ملكا فرنسا وانجلترا (الحملة الثالثة) وعلى الديون التى تستحق الدفع لهؤلاء . وشروط اعفاء هؤلاء من الضريبة . وكيف يدفع أتباعهم هذه الضريبة . وغيرها من التعليمات دون أن يحدد البابا اية مخصصات تؤول الى خزانة البابوية من حصيلة هذه الضريبة . انظر :

Benedict, Gesta Regis, Vol. 2, PP. 31 — 32; William of Newburg, Historia Rerum, PP. 245 — 247.

راجع أيضا ما سبق ، حاشية رقم ٧ .

التامة على أوروبا . ويرضى نزعتها ضد المسلمين . ومع مرور الوقت كان هناك أكثر من التزام . فاقامة الركائز الصيلبية فى ديار الاسلام ، استوجبت المحافظة على هذه الركائز ، وتقديم المساعدات المتتالية لمواجهة الجبهة الاسلامية التى ظهرت بوادرها مع بداية القرن الثانى عشر الميلادى وآتت ثمارها على أيام صلاح الدين ، وفشل المشروع الصليبى البابوى . وكانت المساعدات المادية — الى جانب الحملات الصليبية — هى ما يحتاجه الكيان الصليبى فى بلاد الشام ، وليست الحماسة الصليبية فقط . واضطر ملوك غرب أوروبا وخاصة ملكا فرنسا وانجلترا الى الاسراع لنجدة الكيان الصليبى الذى أطاح به صلاح الدين الايوبى . ولم يكن مصدر هذه المساعدة سوى ضريبة حملت اسم الرجل فعرفت باسم — عشر صلاح الدين — وخضع لها كافة رعايا الملكين . وبتتبع الالتزام الاوربى الغربى نحو المشروع البابوى الصليبى ، يتضح أن عشر صلاح الدين لم يكن الا تطورا لنظام ضرائبى صليبى بدأ فى عام ١١٦٦ م فى فرنسا وانجلترا ثم طبقه صليبيو مملكة بيت المقدس فى وقت أزمة مروا بها ، بشكل يتفق مع ظروفهم المحلية . وكان لما طبقوه تأثير فيما فرضه ملكا فرنسا وانجلترا فى بلديهما من ضرائب — لنفس الغرض — بعد عامين من التجربة الصليبية فى الشرق . كذلك كانت ضرائب أعوام ١١٦٦ م و ١١٨٣ م و ١١٨٥ م مجالا لاكتساب خبرة التنبؤ بحصيلة عشر صلاح الدين . وفى النهاية ، كانت ضريبة عام ١١٦٦ م هى التى حازت السبق فى هذا المجال . وكان الارتباط بالتتابع الزمنى لهذه الضرائب ، له دور كبير فى تأثير بعض هذه الضرائب على ما تلاها من ضرائب مماثلة . وهكذا حتى جاءت حصيلة ضريبة عشر صلاح الدين تفوق ما حققته الضرائب السابقة عليها من عوائد نتيجة للتطور الذى طرأ على النظام الضرائبى الصليبى خلال عشرين عاما قبل ذلك اتاريخ .

الملاحـــــــق

الملحـــق الأول

مرســـوم ضريبة عام ١١٦٦ م / ٥٦١ هـ الذى أصـــدره الملك الانجليزى هنرى الثانى فى مدينة لى مان فى ١٠ مايو ١١٦٦ م / ٨ رجب ٥٦١ هـ نقلا عن :

Gervase of Canterbury, Opera Historica, Vol. 1, PP. 188 — 199.

النص اللاتينى

Rex Henricus in Normanniam transfretavit habitoque cum suis epiescopis et baronibus consilio, instituit quandam collectam fieri denariorum per omnes terras suas; unde scriptum compositum est ipso praecipiente in hunc modum : "Ego Henricus, Dei gratia rex Angliae, dux Normanniae et Aquitaniae, et comes Andegaviae apud Cenomanniam, proxima tertia feria post Dominicam qua cantatur "Misecordia Domini". primo cum ibi adessent ...., Consilio et assensu omnium, petitione et precibus domini regis Francorum et exemplo suo, qui per terram suam similiter statuit fier; statui tu ad defensionem et juvamen ecclesiae et terrae orientalis unusquisque de terris meis, de omni mobili quod habet, sive sit aurum sive argetntum, absque lapidibus sive animalia sive quicquid sit absque vestibus incisis, et de redditibus similiter det hoc anno MCLXVI, de unaquaque libra duos denarios; deinde quatuor sequentibus annis de singulos libris singulos denarios. Hoc quoque faciat de culturis et vineis. Hoc etiam de debitis de quibus recipiendis certitudinem habent. Hoc faciant archiepiscopi, episcopi, abbates, et clerici, comites barones, vavasores, milites, cives, burgenses, rustici. Omnis homo domum habens et non valorem librae det unum denarium. Homo non habens valorem librae, et tamen aliquod officium

agens, det unum denarium. Elemosina ista solvetur a die Sancti Remigii infra dies xv. sequentes. Et si quem infra hunc terminum mori contigerit, prius soulits debitis suis decimam partem suae partis dabit in hanc elemosinam. Et erit truncus in omnibus civitatibus et in ecclesia episcopali et per singulas villas in ecclesiis, ubi quisque post juramentum ita fideliter mittet, rebus suis diligenter numeratis, quicquid ex eis modo praedicto colligi poterit ita veraciter ne infringat juramentum, neque incidat in excommunicationem, quae fait super eos qui aliquid de fraudaverint. Truncus vero habebit tres claves, quarum unam custodiet presbyter, duas fideliores viri de parochia, Infra festum quidum Omnium Sanctorum pecunia in villis collecta ad episcopatum deferatur per eosdem qui collegerunt, et per alios ligitmos testes. Deinde simul colligetur per terras meas ubi ego assignavero per archiepiscopon et episcopos qui mecum ad hoc statuendum interfuerient. Condonata est tertia pars poenitentiae suae ominbus qui fideliter de rebus suis hanc eleemosinam persolverint. Haec acta sunt anno ab incarnatione Domini M. CLXVI".

الترجمـة العربيـة

عبر الملك هنرى[١] البحر الى نورماندى ، وعقـد مجلسا ضم أساقفته وباروناته ، وتقرر جباية عشور فى كل أملاكه ، ومن ثم وضع هذا المرسوم حسب توجيهاته على النحو التالى :

« أنا هنرى ، بفضل الرب ملك انجلترا ، ودوق نورماندى وأكوتين ، وكونت أنجو ، فى [مدينة] لى مان ، فى العيد الثالث التالى لعيد المسيح الذى يرتل فيه « السـيد الرحيم » ، أولا عنـدما حضر الى هنا ....[٢] .

(١) المقصود به هنرى الثانى ملك انجلترا (١١٥٤ — ١١٨٩ م) .

(٢) يلى ذلك حوالى تسعة أسطر تحتوى على أسماء رجال الدين والبارونات من اتباع هنرى الثانى الذين حضروا مجلسه .

[و] باستشارة وموافقة الجميع ، وحسب رغبة والتماسات فخامة ملك فرنسا[٣] ، وبناء على طلبه ، الذى قرر أن يتم ذلك فى بلاده ، قررت ، من أجل الدفاع عن كنيسة وأرض الشرق ودعمهما ، أن يدفع كل من رعاياى عن كل منقولاته سواء كانت ذهبية أو فضية ، باستثناء المجوهرات ، وكذلك عن الدخول ، فى هذا العام ١١٦٦ م ، عن كل جنيه بنسين ، وبعد ذلك وخلال الاعوام الاربعة التالية ، يدفع عن كل جنيه بنسا واحدا • وينطبق ذلك أيضا على المحاصيل والكروم • وكذلك على الديون التى يملكون صكوكا بضمانها • ويؤدى هذه الضريبة كل من رؤســـاء الاساقفة والاساقفة والقساوسة ، ورجـــال الدين ، والكونتات والبارونات والبحارة والجنـــود والمواطنون والبرجوازية والمزارعون • وكل من يملك منزلا ولا يملك ما تبلغ قيمته جنيها ، عليه أن يدفع بنسا واحدا • وكل من لا يملك ما تبلغ قيمته الجنيه ، ومع ذلك يشغل وظيفة ما ، فعليه أن يدفع بنسا واحدا • وتؤدى هـــذه الضريبة اعتبارا من عيد القديس ريمى[٤] ولمدة خمسة عشر يوما تالية • واذا حدث وتوفى شخص خلال هذه الفترة ، قبل دفع ديونه سيدفع عشر نصيبه من هذه الضريبة • وسوف تكون هناك خزانة فى كل المدن ، وفى الكنيسة الاسقفية وفى كنيسة كل قرية ، وعندما يرسل أى شخص بعد أن يقسم قسما صادقا وتحصى كل أملاكه بدقة ، وكل شىء يمكن جمعة على النسق السابق ، يتم بشـــكل بالغ الدقة حتى لا يحنث فى قسمه ، وحتى لا يتعرض لقرار الحرمان الذى سيصدر ضد هؤلاء الذين يخادعون فى أى أمر • وعلى أية حال ، سيكون لكل خزانة ثلاثة مفاتيح ، يكون أحدها فى حوزة رئيس الكنيسة ، والمفتاحان الآخران يحتفظ بهما اثنان من رجال الابرشية النتقاه • وبعد عيد كل القديسيين من كل عام[٥] ترسل الأموال التى تجمع فى القرى الى الاسقفية بصحبة نفس

---

(٣) المقصود به لويس السابع ملك فرنسا (١١٣٧ — ١١٨٠ م) •

(٤) اول اكتوبر ١١٦٦ م •

(٥) اول نوفمبر من كل عام •

الرجال الذين قاموا بجمعها مع شهود آخرين معترف بهم • ثم تجمع الاموال من كل أملاكى فى المكان الذى سأحدده (بمشورة) رئيس الاساقفة والاساقفة الحاضرين معى والذين شاركونى اتخاذ هـذا القرار[٦] • ويسقط ثلث الغرامة عن كل هؤلاء الذين سيدفعون هذه الضريبة عن أملاكهم • تم ذلك فى العام الميلادى ١١٦٦ م •

الملحـــق الثـانى

مرسوم ضريبة ١١٨٥ م الذى أصـدره ملكا فرنسا وانجلترا (فيليب أوغسطس وهنرى الثانى) فى أبريل / مايو ١١٨٥ م •• نقـلا عن :

W.E. Lunt, The text of the Ordinance of 1184 Concerning an Aid for the Woly land, in E.H.R. Vol. 37, 1922 PP. 240 — 242,

النص اللاتينى

"Talis est dispositio ad subveniendum terre Ierosolomitane a domino Philippo, rege Francie, et Henrico, rege Anglie, Communi Consilio episcoporum et comitum et baronum terrarum suarum approbata, scilicet, quod unusquisque, tam clericorum quam laicorum, qui plusquam centum solidus non habuit de unaquaque domo quam habuit, ubi singulis diebus ignis Consuetudianarie accendetur, II denarios sigulis annis usque ad tres annos pelsolevt, Si vero in mobilibus plusquam centum solidos habuerit, de unaquaque libra in tota terra regis Francie II denarios Proveniensis monete, vel equipollens, et in terra regis Anglie cismarine II denarios Andegavensis

(٦)تخص هذه العبارة حصيلة الضريبة التى جبيت فى أملاك هنرى الثانى الفرنسية ، لكنها ربما شملت ايضا مثيلتها فى انجلترا • وربما اتخذ هنرى اجراءات مشابهة فى انجلترا • وعلى اية حال ليس لدينا عبارة محددة تخص حصيلة الضريبة التى جبيت فى انجلترا • انظر :
Mitchell, Taxation, P. 24.

monete, et in Anglia unus Sterlingus persolvetur usque ad predictum terminum. Oui vero centum libras in terris vel in redditibus habuerit, vel eo amplius, de centum libris XX solidos annuatim dabit. Que vero in redditibus minus quam centum ilbras habuerit, de XX libris dabit quatour solidos et de XL libris VIII Solidus, et ita deinceps vel rationem predictam. Habentes vero mobilia ultra centum Solidos iurabunt quod de singulis XX solidis fideliter duos denarios dabunt. De parte mortui, et debet elemosinam pro anima sua facere. Decima debetur ad defensionem terre Ierosolomitane a nativitate sancti Iohannis Baptiste anno incarnationis Domini millesimo CLXXXIIII in decem annos, salvo iure dominorum et ecclesiarum. Excipiuntur ab ista ordinatione in clericis thesauri et ornamenta ecclesiarum et libri et equi et vasa et vestimenta et gemme et utensilia que cotidianis usibus et sibi necessaria sunt; et in militibus equi et arma et vasa et indumenta que usibus eorum deputantur. Ad hanc elemosinam colligendam instituenteur in singulis episcopatibus duo fratres, unus de templo et alter de hospitali, et sigulis parochianis illi duo fratres et dominus presbiter ville et duo de legalioribus parochianis elemosinam constitutam fideliter colligant et conservabunt".

الترجمة العربية

هذا هو المرسوم الذى أصدره السادة فيليب ملك فرنسا[١] وهنرى ملك انجلترا[٢] بمشورة وتصديق جميع أساقفة وكونتات وبارونات بلادهما ، وينص على أن كل شخص سواء كان من رجال الدين أو من العلمانيين ، لا يملك أكثر من مائة صولدى ، عليه أن يدفع بنسين كل عام ، لمدةثلاث سنوات ، عن أى منزل يملكه ما لم يتعرض للحريق الطبيعى فى يوم من الايام • وعلى أية حال ، من يملك ، من رعايا ملك فرنسا ، منقولات تزيد قيمتها عن مائة صولدى ، عليه أن

(١) المقصود به فيليب أوغسطس ملك فرنسا (١١٨٠ — ١٢٢٣ م) •
(٢) المقصود به هنرى الثانى ملك انجلترا (١١٥٤ — ١١٨٩ م) •

يدفع بنسين عن كل جنيه بعملة بروفانس[٣] • ومن يملك نفس الثروة من سكان أملاك ملك انجلترا فيما وراء البحر[٤] عليه أن يدفع بنسين بعملة أنجو • ومن يقيم منهم فى انجلترا يدفع جنيها انجليزيا واحدا ، حتى الفترة المحددة • ومن يملك ما تبلغ قيمته مائة جنيها أو أكثر من أراض أو دخل ، عليه أن يدفع سنويا عشرين صولديا عن كل مائة جنيها من الدخل[٥] ومن يملك دخلا أقل من مائة جنيها سوف يدفع عن كل عشرين جنيها أربع صولديات وعن الاربعين جنيها ثمان صولديات• وهكذا كان يقدر المعدل تصاعديا • والذين تتعدى قيمة منقولاتهم المائة صولدى سوف يقسمون باخلاص أنهم سيدفعوا بنسين عن كل عشرين صولديا • والذى يتوفى ، وينبغى أن يقدم صدقة لخير روحه ، يدفع العشر للدفاع عن الاراضى المقدسة اعتبارا من عيد ميلاد القديس يوحنا المعمدان من عام ١١٨٤ م[٦] لمدة عشر سنوات حفظا لحقوق السادة والكنائس • ويستثنى من هذا المرسوم ، بالنسبة لرجال الدين ، الخزائن وزخارف الكنائس والكتب والجياد والاوانى والملابس والمجوهرات وكل ضرورات الاستعمال اليومى • وبالنسبة للفرسان ، الجياد والاسلحة والاوانى وما يستخدمونه يوميا • وحتى وجوب جباية هذه الضريبة يعين فى كل أسقفية اثنان من الاخوة ، أحدهما من الداوية والآخر من الاسبتارية ، وفى كل ابرشية هذين الاخين وقس كنيسة القرية واثنان من رجال الابرشية الثقاة • وهؤلاء يقومون بجمع الضريبة المقررة ويحفظونها بأمانة •

---

(٣) اى يدفع عشرين صولديا عن كل مائة صولدى . انظر :
Mitchell Taxation, P. 118.

(٤) المقصود بها أملاك هنرى الثانى الفرنسية . انظر ما سبق ، حاشية رقم ٣٣ .

(٥) اى يدفع جنيها واحدا عن كل مائة جنيه • انظر :
Mitchell, Op. Cit., P. 118.

(٦) يدفع عشر الدخل كصدقة عن المتوفى خلال العشر سنوات التالية على ٢٤ يونيو من عام ١١٨٤ م ، وهو اليوم الذى يحتفل فيه بعيد القديس يوحنا .

Loc. Cit.

الملحـــق الثـالث

مرسوم ضريبة عام ١١٨٨ م « عشر صلاح الدين » الذى أصدره هنرى الثانى ملك انجلترا فى أواخر يناير ١١٨٨ م / أواسط ذى القعدة ٥٨٤ هـ ، نقـــلا عن :

Benedict of Peterborough, Gesta Regis Henrici Secundi, ed. W. Stubbs, 2 Vols, in R.S., London, 1867, Vol. 2, PP. 30 — 31.

النص اللاتينى

Henricus igitur rex Angliae, post crucis suseptionem, venit usque Cenomannum et ibi ordinatum est ab eo, in praesentia Ricardi fillii ejus, ... ; quod :

"(I) Unusquisque decimam reddituum et mobilium souorum in eleemosynam dabit hoc anno, eceptis armis et equis, et vestibus militum; exceptis similiter equis et libris et vestibus et vestimentis, et omnimoda capella clericorum, et lapidibus pretiosis tam clericorum quam laicorum.

(II) Colligatur autem pecunia ista in singulis parochiis, praesente presbytero parochiae et archipresbytero, et uno Templario et uno Hospitalario, et serviente domini regis et Clerico regis, serviente baronis et clerico ejus et clerico episcopi; facta prius excommunications ab archiepiscopiis super unumquemque, qui decimam praetaxatam legitime non dederit sub praesentia et conscientia illorum qui debent, sicut dictum est interesse. Et si aliquis juxta conscientiam illorum minus dederit quam debuerit, eligentur de parochia quatuor vel sex viri legitimi, qui jurati dicant quantitatem illam quam ille debuisset dixisse; et tunc oportebit illum superaddere quod minus dedit.

(III) Clerici autem et milites, qui crucem acceperunt, nihil de decima ista dabunt, sed de proprio suo et dominico; et quicquid homines illorum debuerient ad opus illorum colligentur per supradictos, et eis totum reddetur.

(IV) Episcopi autem per litteras suas in signulis parochiis episcopatum suorum facient nonciari et in die Natalis, et Sancti Stephani, et Sancti Johannis, ut unusquisque decimam praetaxatam infra Purificationem Beatae Virginis penes se Colligat, Sequenti die et deinceps illis praesentibus qui dicti sunt, ad locum quo vocatus fuerit, unusquisque persolvet.

الترجمـــة العربيـــة

ثم ذهب هنرى ملك انجلترا ، بعد أن حمل الصليب ، الى لى مان ، وفى حضور ابنه ريتشارد و .... [1] وكان هذا المرسوم الذى أصدره بأن :

١ ــ على كل شخص أن يدفع عشر دخله ومنقولاته خلال هذا العام على سبيل التبرع ، ويستثنى من ذلك أسلحة وجياد وملابس الجنود ، وبالمثل جياد وكتب وملابس رجال الدين ، وكل أنواع الاوانى المقدسة الخاصة بالكهنة ، وأيضا كل المجوهرات الخاصة برجال الدين والعلمانيين .

٢ ــ بالاضافة الى ذلك ، تجمع كل الاموال المذكورة فى كل أبرشية فى حضور قس الابرشية ونائب المطران ، وأحد جماعة الداوية وأحد جماعة الاسبتارية ، وأحد أعضاء خاصة الملك ، وكاتب الملك ،

---

(١) يلى ذلك حوالى سبعة أسطر تتضمن اسماء من شارك الملك اتخاذ هذا القرار من رجال دين وبارونات وكونتات من اتباعه فى أملاكه الفرنسية الى جانب ابنه ريتشارد .

وواحد من خاصة البارون وكاتبه ، وكاتب الاسقف ، وبداية ، يصدر قرار الحرمان بواسطة رؤساء الاساقفة والاساقفة ونواب المطارنة فى كل أبرشية ضد كل شخص لا يدفع العشر المذكور بأمانة فى حضور ، وحسب تقدير أولئك المكلفين بالحضور آنذاك . واذا ما دفع أى شخص أقل — حسب تقديرهم بوازع من ضمائرهم — مما يجب أن يدفع ، يتم اختيار أربعة أو ستة رجال معترف بهم من أهل الابرشية ، وهؤلاء عليهم أن يقسموا بأنهم سيقدرون المبلغ الذى كان عليه أن يقدره بنفسه ، والذى سيكون ملزما بأن يدفع بالاضافة اليه المبلغ الذى أنقص منه .

٣ — ومهما يكن من أمر . لا يتعين على رجال الدين والفرسان ، الذين سيشتركون فى الحملة الصليبية ، أن يؤدوا أى من هذه العشور ، ولكن تجمع دخول أملاكهم ، وكل ما يدين به لهم أتباعهم ، عن طريق الاشخاص المذكورين آنفا ، وتعاد اليهم دون أن تمس .

٤ — وعلى الاساقفة أيضا ، أن يعلنوا ، بمكاتباتهم ، فى كل أبرشيات أسقفياتهم ، فى عيد القديس ستيفن[٢] وعيد القديس حنا[٣] ، أنه يتعين على كل من كان مكلفا بجمع العشر المذكور آنفا ، والمطلوب منه أن يؤديه بحلول عيد تطهر القديسة مريم[٤] ، وفى اليوم التالى ، عليه أن يدفعه بأمانة الى هؤلاء الحاضرين من الاشخاص المذكورين ، فى المكان المحدد .

---

(٢) ٢٦ ديسمبر .
(٣) ٢٤ يونيو .
(٤) ٢ فبراير ١١٨٩ م

بيـــان بالمختصرات

B.E.O.	— Bulletin des Etudes Orientale.
E.H.R.	— English Historical Review.
J.E.S.H.O.	— Journal of Economic and Social History of the Orient.
M.G.H.	— Monumenta Germania Historica.
M.G.H.SS.	— Monumenta Fermania Historica, Scriptores
R.H.C.-Doc. Arm.	— Recueil des Historiens des Croisades, Documents Armeniens.
R.H.C. — H. Occ.	— Recueli des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux.
R.S.	— Rolls Series.
Speculum	— Speculum.
T.R.H.S.	— Transaction of the Royal Historical Society

قائمة المصـــادر والمراجــع

(ا) المصادر الاصلية العربية

ـــ ابن الاثير الجزرى (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) أبو الحسن بن أبى الكرم الملقب عز الدين : « الكامل فى التاريخ » ـــ ١٢ جـ ـــ القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٣٠١ هـ .

ـــ ابن شـــــداد (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٨ ـــ ١٢٣٩ م) بهاء الدين أبو المحاسن يوســف رافع بن تميم : « النــوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » ـــ تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ـــ القاهرة ١٩٦٤ م .

ـــ ابن العديم (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) كمال الدين عمر بن أحمد ابن هبة الله بن أبى جرادة : « زبدة الحلب من تاريخ حلب » ـــ ٣ جـ ـــ تحقيق سامى الدهان ـــ دمشق ١٩٥١ م .

ـــ ابن واصل (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليم : « مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » ـــ ٥ جـ ـــ جـ ١ ، ٢ ، ٣ ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ـــ القاهرة ١٩٦٠ م ، جـ ٤ ، ٥ ، تحقيق الدكتور حسنين ربيع ـــ القاهرة (دار الكتب) ١٩٧٢ ، ١٩٧٧ م .

— أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م) عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان شهاب الدين : « كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية » — جزءان فى مجلد واحد — القاهرة (مطبعة وادى النيــل) ١٢٨٧ — ١٢٨٨ م •

— مؤرخ مجهول (عاش فى نهاية القرن ٦ هـ / نهاية القرن ١٢ م) : « البستان الجامع لجمع تواريخ الزمان » — نشره مع ترجمة فرنسية كلودكاهن ••

أنظــــر :

Cahen (Claud), Un Chronique Syrien de VIe Siécle :
"Le Bustan Al-Jami Li-Jami tawarth az-aman" in B.E.O., Vol. VIII, 1938, PP. 113 — 158.

(٢) المصــادر الأصلية الأوربيــة

— Annuales de Salimbene, in M.G.H.SS., Vol. 32,

— Ansbert, Expeditio Friderici, in Quellen sur Gescrichte des Kreuzzuges Kaiser Friedrichs I, ed. A. Chroust, in M.G.H., Berlin 1892

— Benedict of Peterbrough, Gesta Regis Henrici Secundi, ed. W. Stubbs, 2 Vols, in R.S., London, 1867.

— Chronica Regia Coloniensis, in M.G.H.SS, in Ussum Scolarum-Hanover, 1880.

— Eracles L'Estoire d'Eracles empereur et la Conquete de la Terer d'Outremer, in R.H.C. — H.Occ., Vol, 1, 11,

— Ernoul, Chronique de Ernoul et de Bernard le Trésorier, ed. L. de Mas-Latrie, Paris, 1871

— Gervase of Canterbury, Opera Historica ed. W. Stubbs, 2 Vols, in R.S., London, 1879 — 80.

— Les Gestes de Chiprois, in R.H.C — Doc. Arm., Vol, 2.

— Itinerarium Peregrinorum et gesta regis Ricardi ed, W. Stubbs, in R.S., London 1879 — 80.

— Martin Bouquet et al., Recueil des Hisoriens des Gaules et de la France, 24 Vol. s, Paris 1869 — 1904, Vol. 19. ed. M.J.J, Baria,

— Matthew Paris, Chronica Majora, ed. H.R. Laurd in R.S., 7 Vols, London, 1872 — 1924.

— Radulf de Diceto, Opera Historica ed. W. Stubbs, 2 Vols, in R.S., London, 1876.

— Ralph Niger, Chronica, Chronica Anglica, in M.G.H.SS., Vol. XXVII.

— Rigord, Gesta Philippi II Augusti, in M.G.H.SS., Vol. XXVI,

— Robert of Torigny, Chronica Chronicles of the Reigns of Stephen, Henry II, and Richard I, ed R. Howlett, Vol, 4, in R.S. London 1884 — 9.

— Roger of Howden, Chrnoica, 4 Vols., ed. W. Stubbs, in R.S., London, 1868 — 1871.

— Rohricht (R.) (ed.) Regesta Regni Hierosolymitani, 2 Vols. Insbruck, 1893 — 1904.

— William of Newburgh, Historia Rerum Anglicarum, in Chronicles of the Reigns of Stephen, Henry II, and Richard I, ed. R. Howlett, Vol. 1, in R.S., London 1884 — 9.

— William of Tyre, A History of Deeds Donet Beyond the Sea, 2 Vols, Trans and Annotated by Emily Babcock and A.C. Krey, New York, 1943.

(٣) المراجع الثانوية العربيـــة

ـــ جوزيف نسيم يوسف (دكتور) :

ـ دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ م .

ـ العدوان الصيبى على بلاد الشـــام ، هزيمة لويس التاسع فى الاراضى المقدسة ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ م

ـــ حسين محمـــد عطية (دكتور) :

« امارة أنطاكية الصـليبية والمســـلمون (١١٧١ ـ ١٢٦٨ م / ٥٦٧ ـ ٦٦٦ هـ) » الاسكندرية ، ١٩٨٩ م .

ـــ سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :

ـ أوربا العصور الوسطى ، جزءان ، القاهرة ١٩٦٦ م .

ـ الحركة الصليبية ، جزءان ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .

ـــ محمد محمد مرسى الشيخ (دكتور) :

« تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى » ، الاسكندرية ، ١٩٩٠ م .

ـــ ناصر النقشبندى (دكتور) :

« الدينار الاسلامى » ـ مجلة سومر ، جـ ٢ ، بغداد ، ١٩٤٥ م .

(٤) المراجع الثانوية الأوربيـــة

— Cazel (F.A.), The Tax of 1185 in Aid of the Holy Land, in Speculum, Vol. XXX 1955.

— Davis (R.C.H.), A History of Medieval Europe, London 1966.

— Ehrentreutz (A.S.), Arabic Dinars Struck by the Crusaders, in J.E.S.H.O., Vol, VII, 1964,

— Grandsen (A.) Historical Writing in England, C550 to C. 1307, 2 Vols, London 1974.

— Kedar (B.), The General Tax of 1183, in the Crusading Kingdom of Jerusalem, in E.H.R., Vol. 89, 1974.

— La Monte (J.L.), Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, New York, 1970.

— Lopez (R.S.) Back to Gold, in E.H.R., Vol, 9, 1957,

— Louis and Jonathan Riley-Smith, The Crusades, Idea and Reality (1095 — 1274), London, 1981.

— Lunt (W.E.), The Text of the Ordinance of 1184 Concerning an Aid for the Woly Land, in E.H.R., Vol, 37, 1922.

— The Valuation of Norwich, Oxford 1926.

— Mitchell (S.K.), Taxation in Medieval England, ed. Sidny Painter, New Haven, 1951.

— Prestwich (J.O.) Richard Coeur de Lion, Rex Bellicosus Ricardo Cuor di Leon Nella Storia et nella Legends (Academia Nazionale dei lincei no. 253) (Rome, 1981).

— Price (M.J.), Coins, An Illustrated Survey (650 B. C. to the Present Day) London, 1980.

— Rabie (H.M.), The Financial System of Egypt, A.H. 564 — 741/A.D. 1169 — 1341, London, 1972.

— Richard (J.), Le royaum Latin de Jérusalem, Paris, 1953.

— Runciman (S.), A History of the Crusades, 3 Vols, Cambridge 1968.

— Smail (R.C.), Latin Syria and the West (1149 — 1187), in T.R.H.S., Vol. 20, 1969,

آثار فنيـــة اســـلامية من لعبـــة الشـــــطرنج(*)

دكتور / ابو الحمد محمود فرغلى
كلية الآثار ــ جامعـــة القاهرة

نالت لعبة الشطرنج حيزا كبيرا من اهتمامات الانســـان ووقته باعتبارها لعبة للتسلية ولاعمال الفكر فشغف وولع بها مما أدى الى انتشـــارها وتطورها مع مرور الزمن . ولقد تغنى الشـــعراء بلعب الشـــطرنج وكان من بينهم الشـــاعر الايرانى الكبير أبو القاســـم الفردوسى[1] الذى سئل مرة عن سر احتفائه المتكرر بهذه اللعبة فأجاب « وجدت فى شعر الشطرنج مصـــدر ايحاء لا ينضب ولهذا أشـــكر الشطرنج »[2] . وتجدر الاشارة بايجاز لأهم الدراسات التى تناولت لعبة الشطرنج وتاريخها وتطورها وفضل المسلمين فى نقلها لأوروبا منها ما صدر باللغة العربية . ومنها ما صدر باللغات الاجنبية وهى أغلب الظن كانت الاقدم فى تاريخ الصدور وأذكر منها على ســـــبيل المثال : كتاب صدر عن تاريخ الشطرنج للسيد « موراى هـ. ج. »

(*) هذا البحث القى فى « سمنار » قسم التاريخ بكلية الآداب ــ جامعة القاهرة فى ١٩٨٨/٣/١٦ م .

(١) هو شـــاعر ايرانى كبير قام بتاليف الشاهنامة اى كتاب الملوك ويتكون من حوالى ستين الفا من أبيات الشعر الفارسى تروى قصص الملوك والأبطال بايران القديمة حتى الفتح الاسلامى . وقدم الفردوسى شاهنامته للسلطان محمود الغزنوى (٣٨٨ ــ ٤٢١ هـ / ٩٩٨ ــ ١٠٣٠ م) انظـــر :

د. عبد الوهاب عزام : الشاهنامة نظمها بالفارسية ابو القاســـم الفردوسى وترجمها نثرا الفتح بن على البندارى ــ المدخل ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٢) اللعب عامة ولعب الشطرنج خاصة ــ مقال فى مجلة فكر وفن (العدد ١٩) ص ٥٦ .

Murray H. J., The History of Chess. Oxford 1913. ثم أعيدت طباعته مرة أخرى فى عام (١٩٦٢ م) ويتناول لعبة الشطرنج بوجه عام وذكر فضل المسلمين ودورهم فى نقلها لأوروبا ، وصدر مرجع آخر يتناول لعبة الشطرنج من حيث أصلها وتطورها للسيدين « هانس » و « زيجفريد ويشمان » بمدينة ميونيخ :

Hans und Siegfried Wischmann, Schach Ursprung Und Wandlung der Spielfiguren in Zwolf Jahrhunderten. München, 1960.

كما صدر مرجع فى عام (١٩٧٢ م) يتناول لعبة الشطرنج من خلال المصادر العربية منذ بدايتها وحتى النصف الثانى من القرن السادس عشر بعد الميلاد وهو السيد « ويبرر » •

Wieber R., Das Schachspiel in der arabischen Literature Von der Anfangen bis Zur Zweiten Halfte des 16 Jahrhunderts Waldorf, 1972.

ومن الدراسات التى صدرت باللغة العربية وتتناول لعبة الشطرنج على سبيل المثال لا الحصر : كتاب صدر للسيد « عبد الرحمن محفوظ » بعنوان « الشطرنج علما وفنا » فى القاهرة عام (١٩٦٢ م) ، وللسيد « زهير أحمد القيسى » كتابه الصادر فى بغداد عام (١٩٧٧ م) بعنوان « الشطرنج فى التراث الاسلامى » • والمثال الاخير الذى أذكره للدراسات التى صدرت باللغة العربية عن لعبة الشطرنج للدكتور « عطية القوصى » بعنوان « المسلمون والشطرنج دراسة تاريخية » صدرت فى القاهرة عام (١٩٨٥ م) •

ومن خلال هذا العرض الموجز لبعض الدراسات التى تناولت لعبة الشطرنج يتضح أنها ما تزال فى حاجة ماسة لدراستها من خلال الآثار والفنون الاسلامية وذلك فى ضوء بعض الآثار الباقية حتى الآن دراسة أثرية فنية مستقلة سواء كانت تحفا فنية تمثل أدوات وقطع الشطرنج أو كانت زخرفة هندسية تمثل مربعات لوح الشطرنج تزين التحف الفنية المختلفة والعمائر الاسلامية الباقية ، فكان اختيارى لهذا البحث تحت عنوان « آثار فنية اسلامية من لعبة الشطرنج » •

تعريف بلعبة الشـــطرنج :

ولعبة الشطرنج هى لعبة بين شخصين تتكون من لوح مستطيل الشكل تقريبا يحتوى على مربعات، ذات لونين هما الابيض والاسود فى أغلب الاحوال يلونان المربعات، بالتبادل وقطــع خشبية فى الغالب تأخذ أشكالا مجسمة متنوعة على هيئة الجيوش فى وضع المواجهة حيث يكون الملك والوزير فى القلب ، ويطلق على هذه اللعبة اسم اللعبـــة الملكية[٣] وما تزال بعض الالفاظ التى تستخدم فى هذه اللعبة ذات أصل فارسى وهى ترتبط بكلمة « شاه » أى للملك منها على سبيل المثال « كش ملك » و « شاه مات »[٤] وتجدر الاشارة الى أن الفرس كان لهم الفضل فى اضافة بعض التطور على لعبة الشطرنج اذ جعلوها تقوم على أصول رياضية[٥] ، ولا سيما على يد الحكيم والفيلسوف الايرانى الكبير « بزرجمهر » الذى أحضر رقعة مستطيلة ورسم عليها أربعة وستين مربعا بالتساوى طولها ستة عشرة مربعا وعرضها أربعة مربعات كما جعل عدد قطع الشطرنج ست عشر قطعة أيضا لكل لاعب من اللاعبين[٦] .

أصـــل لعبـــة الشـــطرنج :

وردت العديد من الروايات والآراء المتضاربة عن أصل هــذه اللعبة تنسبها الى العديد من الاصول أغلبها يعتمد على قصص وأساطير

---

(٣) Encyclopaedia Britanica, Vol. V. (London, 1968) p. 478.

(٤) « كش ملك » تعنى باللغة العربية « اسحب الملك » و « شاه مات » تعنى « مات الملك ».

Arnold Th. & Guillaume A., The Legacy of Islam. p. 32.

(٥) د. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى — (القاهرة ١٩٦٣ م) ص ١٣٨ .

(٦) د. احمد عبد الرازق : وسائل التسلية عند المسلمين ص ١٢٤ .

خرافية لا أساس لها من الحقيقة ولا يتسع المقام لسردها تفصيلا ، وهناك بعض الآراء التى تنسبها الى المصريين القدماء ودليلهم فى ذلك المنظر المنقوش على مسطبة مرروكا يمثل مرروكا يلعب الشطرنج مع زوجته (شكل ١)[٧] ، كما يحتفظ المتحف البريطانى فى لندن ببردية سجل عليها الفنان المصرى القديم منظرا يمثل الاسد يلعب الشطرنج مع غزال ويرمز الاسد هنا الى الملك نفسه[٨] ، ولكن مما هـو جدير بالملاحظة أن لعبة الشطرنج التى عرفها المصرى القديم كانت تحمل فى طياتها مدلولا عقائديا فى أغلب الاحوال وبخاصة ابتداء من عصر الاسرة التاسعة عشرة[٩] • وهناك بعض الآراء التى تنسب لعبة الشطرنج الى الهند القديمة[١٠] ، ومع أنه لا يمكن تحديد الزمان على وجه الدقة لمعرفة الهند القديمة هذه اللعبة الا أنه من الثابت أن الهند عرفتها بمدلول يختلف عن المدلول العقائدى للعبة الشطرنج لدى المصريين القدماء اذ لعب الهنود القدماء هذه اللعبة بغرض التسلية والمنافسة فهى رياضة للذهن تحتاج الى ابراز الذكاء واعمال الفكر • ومن الراجح أن كلمة شطرنج عرفت الاسم السنسكريتى « شاتورانجا » Shaturanga عند الهنود القدماء[١١] • ثم انتقلت من الهند الى ايران القديمة فى حوالى القرن السادس بعد الميلاد وطبقا لاصول لغوية لدى لايرانيين القدماء أصبح يطلق عليها اسم « شاتارانجا » Shataranga [١٢] وهنـــاك

---

(٧) Duell P., The Mastaba of Mereruka. Part I. Text, p. 17., Part 11. Plates 171, 172.

(٨) د. محمد حماد : التصوير فى التراث المصرى القديم حتى العهد القبطى ، ص ٧٣ ، وشكل ٤٤ .

(٩) د. عبد العزيز صـــالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة ، ص ١٢٣ — ١٢٤ .

(١٠) د. عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(١١) Kreiser K., Lexikon der Islamischen Welt. 3 Band. S. 77.

(١٢) Encyclopaedia Britanica, Vol. V. (U. S. A.) pp 459 - 460.

قصة تتعلق بانتقال لعبة الشطرنج من الهنـد الى ايران وردت فى شاهنامه الفردوسى مضمونها أنه فى ذات يوم من الايام أرسل ملك الهند سفارة الى شاه ايران تصحبها الافيال والخيل وألف من البعير تحمل التوابل والذهب والفضة والجواهر الثمينة(١٣) • وما أن وصلت هذه السفارة لدى بلاط كسرى أنوشيروان(١٤) ومثلت بين يديه قدم السفير الهندى هداياه وعرض لعبة الشطرنج على الشاه وأخبره بشروط الملك الهندى • وملخصها أنه لو عرف حكماء ايران وفلاسفتهم سر هذه اللعبة وقواعد اللعب بها ترك لهم الهدايا كضرائب سنوية تدفعها الهند لايران • أما اذا فشلوا فعلى ايران أن ترد هذه الهدايا ومثلها الى الهند وتعترف بتفوق حكماء الهند • وعلى الفور قبل أنوشيروان التحدى بكل شروطه وأمر فى الحال باحضـار حكماء وفلاسفة بلاطه وعرض عليهم الامر وأمهلهم سبعة أيام لحل هذا السر الغامض • ومرت الايام وحضر الفيلسوف بزرجمهر أمام السفير الهندى الذى انبهر بذكاء هذا الحكيم الايرانى الكبير لنجاحه فى كشـف طريقـة اللعب الصحيحة بالشطرنج فانفرجت أسارير أنوشيروان العادل وأجزل المكافأة والعطاء لوزيره الاول وحكيم بلاطه بزرجمهر(١٥) • ومن هذه القصـة يمكن استخلاص نتيجتين هامتين ، الاولى وهى أن الهند كانت موطنا للعبة الشطرنج وكانت لعبة ارستقراطية يلعبها الملوك والامراء وتعتمد على روح المنافسة باعمال الفكر حتى أن ملك الهند يتحدى بها جيرانه من

---

(١٣) زوقت بعض المخطوطات من شاهنامة الفردوسى بصور ملونة توضح قصة وصول سفارة الهند لدى بلاط كسرى انوشيروان ومثال ذلك اللوحة التى نشرت فى صفحة (١٨٠) من :

Welch C. S., A, King's Book of Kings. Pl. p, 180.

(١٤) يعتبر كسرى انوشـيروان واحدا من أعظم ملوك الـدولة الساسانية حكم حوالى « ٤٨ سنة » (٥٣١ — ٥٧٨ م) وكانت فترة حكمه من أزهى الفترات فى العصر الساسانى وكان مشهورا بالعدل ولذا سمى « أنوشيروان العادل » .

(١٥) Ruckert F., Ferdosi's Konigsbuch (Schahname). Vol. I. Sage XX-XX/. S. 370-373.

الدول ذات الحضارات القديمة المزدهرة فى ذلك الوقت مثل ايران فى العصر الساسانى • والنتيجة الثانية هى دخول لعبة الشطرنج الى ايران فى عهد كسرى أنوشيروان الذى حكم فى الفترة من (٥٣١ م) وحتى (٥٧٨ م) مما يؤكد انتقال لعبة الشطرنج من الهند الى ايران فى منتصف القرن السادس بعد الميلاد على وجه التحديد •

معرفة المسلمين بلعبة الشطرنج :

وعن معرفة المسلمين بلعبة الشطرنج من الثابت أنها انتقلت اليهم كأحد ألوان التسلية بعد فتحهم ايران حيث كانت موقعة نهاوند الفاصلة فى عام (٢١ هـ / ٦٤١ م) التى وضعت نهاية للعصر الساسانى الطويل ليكتمل الفتح الاسلامى لايران[١٦] • ولقد أعجب المسلمون بهذه اللعبة الجديدة عليهم وولعوا بها حتى أنهم أخذوها بنفس الاسم الفارسى لها « شاتارانجا » Shataranga مع تغيير طفيف فأصبح الاسم الجديد لها « شــطرنج » Shatarang أو « الشطرنج » Al-Shatarang [١٧] • وانتشر هذا الاسم الجديد وذاع استخدامه لدى الايرانيين أنفسهم وكذلك فى الهند والبلاد التى فتحها المسلمون • وكان من ولع المسلمين بالشطرنج واللعب به أن تغنى الشعراء بوصفه وطريقة اللعب به ولعل أقدم اشارة عربية الى لعبة الشطرنج كما ذكر جورج يعقوب[١٨] قول ابن المعتز :

وحيطان كشطرنج صفوف فما تنفك تضرب شاه ماتا

كما بلغ من ولعهم بهذه اللعبة أن الحجاج وهم فى طريقهم الى

---

(١٦) دونالد ولبر : ايران ماضيها وحاضرها : ترجمة د. عبد المنعم حسنين . (القاهرة ١٩٥٨ م) ص ٤٩ .

(١٧) Encyclopaedia Britanica, Vol. V. pp. 459-460.

(١٨) جورج يعقوب : اثر الشرق فى الغرب خاصة فى العصـــور الوسطى ، ترجمه بتصرف د. فؤاد حسين على ، ص ٨٩ .

الحج حينما كانوا يركبون الشقاديف[١٩] التى توضع على الجمال وعليها مظلة يستطيع أن يلعب شخصان الشطرنج على هذه الشقاديف للتسلية فى سفرهم الطويل هذا[٢٠] . والغالب على الظن أن لعبة الشطرنج عرفت فى عصر الامويين (٤١ — ١٣٢ هـ / ٦٦١ — ٧٥٠ م)[٢١] اذ وصلنا بعض قطع الشطرنج المصنوعة من العاج ويمكن نسبتها الى هذا العصر كما سيأتى دراستها تفصيلا فى الصفحات التالية[٢٢] . ويستمر ولع المسلمين فى ازدياد بلعبة الشطرنج وبخاصة عند الخلفاء العباسيين ويعتبر أول خليفة عباسى لعب الشطرنج ودعا الى اللعب به كما ورد فى المصادر التاريخية هو الخليفة هارون الرشيد[٢٣] (١٧٠ — ١٩٣ هـ / ٧٨٦ — ٨٠٩ م)[٢٤] وكذلك الخليفة المأمون ابن هارون الرشيد[٢٥] . كما شغف الخلفاء الفاطميون بلعب الشطرنج واقتناء قطعه وأدواته من المواد الفخمة والمتنوعة ويتضح ذلك فى المصادر التاريخية عند ذكر خزائن الفاطميين وكنوزهم وبخاصة عند ذكر خزائن الجوهر[٢٦] . وكذلك جاء من الاخبار ما يفيد على شغف الكثير من سلاطين الايوبيين والمماليك بلعبة الشطرنج وأنهم كانوا يلعبون الشطرنج مع المقربين اليهم من الامراء والعلماء والادباء حيث كانت تحمل معهم فى أسفارهم كمية ضخمة من العاج برسم خرط الشطرنج حتى اذا لعب السلطان مرة أخذه بعد ذلك أرباب النوبة الذين

---

(١٩) الشقاديف هى اسم لحوامل واسعة من الصلب .

(٢٠) د. عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(٢١) Bosworth C. E., The Islamic Dynasties. p. 5.

(٢٢) انظر ص (١٠) وما بعدها من هذا البحث .

(٢٣) المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على البغدادى) مروج الذهب ومعادن الجوهر — الجزء الرابع — ص ١٦٣ .

(٢٤) Bosworth C. E., Op. Cit., p. 7

(٢٥) آدم ميتز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى — الجزء الثانى — ص ٢١٤ .

(٢٦) المقريزى (تقى الدين احمد بن على) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار — الجزء الثانى — ص ٤١٥ .

يصاحبونه فى أسفاره وجدد غيره للسلطان[٣٧] .

موقف علماء الدين من الشطرنج :

كان من نتيجة ولع المسلمين بلعبة الشطرنج ظهور تلك المشكلة التى تتمثل فى موقف علماء الدين من هذه اللعبة فاختلفت آراؤهم فى حكم الشطرنج واللعب به بين مجموعتين ، المجموعة الاولى تعتبر لعب الشطرنج من المنكرات وخاصة اذا دخلت فيها شبهة القمار أى المراهنة بالمال وكان على رأس هذه المجموعة على بن أبى طالب وعبد الله بن عمر فأصبح من الطبيعى ألا يزوج أهل المدينة المنورة لاعب الشطرنج فى ذلك الوقت[٣٨] .

والمجموعة الثانية : ترى أن لعب الشطرنج مبنى على اعمال الفكر والذهن ومن ثم أباحوا لعب الشطرنج ولكن بشروط من أهمها أن تخلوا من شبهة القمار أى المراهنة بالمال وألا تشغل اللاعب عن أداء الفريضة — أى الصلاة لوقتها — وأن يحفظ لسانه عن الفحش وردىء الكلام[٣٩] .

ومن خلال هذا العرض السريع للعبة الشطرنج وأصل اختراعها ومعرفة المسلمين بها ثم شغفهم باللعب بها مما ترتب عليه تصدى علماء الدين فى محاولة لتحديد شرعية اللعب بها يتضح مدى ولع المسلمين بلعبة الشطرنج واللعب بها مما أدى الى تشجيع الفنانين لصنع قطع وأدوات الشطرنج . وتحتفظ متاحف ومكتبات العالم ببعض المنتجات الفنية التى ما تزال باقية حتى الآن من لعبة الشطرنج . ولقد قام متحف المتروبوليتان بنيويورك باجراء بعض الحفائر الاثرية فى مدينة نيسابور شمال شرق ايران كشف عن بعض أحجار الشطرنج التى تعود

---

(٢٧) د. سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ص ٦٧ .

(٢٨) آدم ميتز : المرجع السابق . ص ٢١٤ .

(٢٩) د. عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ص ١٣٨ ، وسيد سابق : فقه السنة — المجلد الثالث عشر . المعاملات . ص ٥١٣ — ٥١٤ .

الى القرون الاسلامية الاولى[٣٠] . ومن الراجح أن قطع الشطرنج كانت تصنع قديما من الحجر وكان يطلق عليها اسم « أحجار الشطرنج » وما تزال تسمى كذلك ثم استخدمت مواد أخرى مثل الخشب والعاج والبلور الصخرى فى صناعة أحجار أو قطع الشطرنج وأخذت فى سبيلها للتطور بمرور الزمن وتعاقب الاجيال وربما نتيجة لاقبال السلاطين والامراء وعلية القوم من الطبقات الارستقراطية على لعب الشطرنج واقتناء قطعه أو أحجاره أصبحت تصنع من سائر أنواع الجـــوهر والذهب والابنوس برقاع الحرير المذهب فى عصر الفاطميين كما ذكر المقريزى[٣١] .

أولا ــ قطع أو أحجار الشطرنج :

تحتفظ المتاحف العالمية بأحجار أو قطع من الشطرنج صنعت من مواد متنوعة كالعاج والبلور الصخرى والزجاج نذكر منها بعض الامثلة والنماذج التالية :

١ ــ أحجار أو قطع الشطرنج من العاج :

يعتبر العاج Ivory مثل المعادن النفيسة والاحجار النفيسة من حيث أنه عزيز المنال ومن هنا كان حرص الصانع على عدم التفريط فى أى جزء من العاج مهما صغر حجمه والاستفادة بكل ما يمكن الحصول عليه منه[٣٢] وهو من المواد التى نالت اهتمام الفنان المسلم فاستخدمه فى زخرفة التحف الخشبية من حيث التطعيم والترصيع . كما استخدم العاج بوصفه مادة مستقلة فى صناعة التحف الفنية ذات زخارف نفذت بأسلوب الحفر السطحى والحفر الغائر[٣٣] ، وتحتفظ المتاحف العالمية

---

(٣٠) The Arts Of Islam, p. 50.

(٣١) المقريزى (تقى الدين احمد بن على) : الخطط ــ الجــزء الثانى ــ ص ٤١٥ .

(٣٢) د. محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الاسلامية فى مصر قبل عصر الفاطميين . ص ٩٥ .

(٣٣) د. حسن الباشا : مدخل الى الآثار الاسلامية . ص ٤٤٣ .

بالعديد من الصناديق أو العلب الصغيرة المصنوعة من العاج كانت تستعمل لحفظ الحلى والمجوهرات وكذلك تحتفظ بالعديد من قطع الشطرنج ومن أبواق الصيد من العاج وهى على هيئة قرون قليلة النقوس[٣٤] .

ولقد وصلنا من عصر الامويين مجموعة تشتمل على ثلاث قطع شطرنج (شكل ٢)[٣٥] القطعة الاولى منها يحتفظ بها متحف الفن الاسلامى ضمن متاحف الدولة ببرلين الغربية ، وهى ذات شكل اسطوانى يوجد بأعلاها فج وتحتوى فى مقدمتها على مايشبه سرج الحصان ومن الراجح أن هذه القطعة العاجية بهذه الهيئة انما تمثل فى لعبة الشطرنج « الملك »[٣٦] من بين قطع الشطرنج (شكل ٢ — أ) أما القطعة الثانية فهى عبارة عن قطعة عاجية مخروطية الشكل تنتهى فى أعلاها ببروزين كبيرين بعض الشىء يشكلان ما يشبه أذنا الفيل مما يرجح أن هذه القطعة فى لعبة الشطرنج تمثل « الفيل »[٣٧] (شكل ٢ — ب) • ويحتفظ متحف اللوفر بالقطعة الثالثة وهى عبارة عن قطعة عاجية مخروطية الشكل تنتهى فى أعلاها ببروز له ثلاث زوايا يشبه كثيرا — هذا البروز — رأس الفرس (الحصان) ، ومن ثم يصبح من الراجح أن هذه القطعة فى لعبة الشطرنج تمثل الفرس « الحصان » (شكل ٢ — جـ) •

وتعود أهمية هذه القطع العاجية الثلاث من الشطرنج الى النقاط الموجزة التالية :

— تحتوى هذه القطع الثلاث على زخارف بسيطة نفذت بطريقة

---

(٣٤) د. حسن الباشا : أبواق الصيد — مقال فى مجلة منبر الاسلام — (العدد ١١) ص ١٩٣ — ١٩٨ .

(٣٥) Kühnel E., Die Islamische Elfenbeineskulpturen VIII - XIII Jahrhundert. p. 13.

(٣٦) Ibid p. 13.

(٣٧) يحتفظ بهذه القطعة متحف المتروبوليتان بنيويورك .

الحفر وقوامها رسوم نقط مستديرة وصفوف من حبات اللؤلؤ ورسوم دوائر مركزية وخطوط . كما يقول « كونل Kühnel » أن هـذه الزخارف تحمل فى طياتها أثر الفن القبطى الذى كان سائدا فى مصر قبل الفتح الاسلامى[٣٨] ، ومن ثم يمكن نسبتها الى مصر فى حوالى القرن الثانى الهجرى (٨ م) .

— من دراسة هذه القطع أمكن التعرف على بعض قطع الشطرنج وأشكالها من حيث الشكل العام مما يساعد على التعرف عليها فى مواد أخرى ودراسة تطورها دراسة مقارنة فى العصور الاخرى ومثال ذلك تلك القطعة التى تمثل « الملك » والقطعة التى تمثل « الفيل » والقطعة التى تمثل « الفرس » .

— يمكن اعتبار هذه القطع العاجية الثلاث الشطرنج — السالفة الذكر — من أقدم قطع الشطرنج الاسلامية التى وصلتنا حتى الآن اذ تعود الى حوالى القرن (٢ هـ / ٨ م) .

وتنسب الى القرون الاسلامية الاولى فى ايران ، وعلى وجه التحديد خلال القرنين الثانى والثالث الهجريين (٨ و ٩ م) بعض قطع الشطرنج التى عثر عليها فى مدينة نيسابور من بينها قطعة شطرنج صنعت من العاج[٣٩] تمثل الفرس (شكل ٣) ومن الملاحظ أنها تختلف عن القطعة السابقة (شكل ٢ — جـ) من حيث أن الفنان صنع الفرس هنا ويمتطيه الفارس بأسلوب محور وقليل التفاصيل مما يبعده عن اظهار التجسيم فى هذه القطعة . وهناك قطعة مماثلة لهذه القطعة من الشطرنج صنعت من العاج يحتفظ بها المتحف القومى بمدينة ميونخ بألمانيا الغربية[٤٠] ، ومما لاشك فيه أن هاتين القطعتين من العاج تمثلان الفرس فى لعبة الشطرنج ويمكن اعتبارهما من حيث الاهمية الفنية

---

(٣٨) Kuhnel E., Op. Cit., p. 13.

(٣٩) The Arts of Islam p. 50. PL. No. 12.

(٤٠) " Bayrisches National Museum in Munchen "

تأتيان بعد القطع الثلاث السابق دراستها وذلك أن هاتين القطعتين يمكن نسبتهما الى أوائل العصر العباسى خلال القرنين (٢ — ٣ هـ / ٨ — ٩ م) .

وتجدر الاشارة فى هذا الصدد الى أن متحف الاوسمة بباريس يحتفظ ببعض القطع من الشطرنج المحفوظة فى علبة فخمة من العاج(٤١) وهى عبارة عن مجموعة بيادق — أى عساكر — تحمل بعض الزخارف والنقوش منها قطعة واحدة تحمل اسم الصـــانع فى عبارة نصها : « من عمل يوسف » وهناك كلمة أخرى لا يمكن تفسيرها(٤٢) ، والغالب على الظن أن قطع الشطرنج هذه ترتبط بالشطرنج الذى أهداه الخليفة العباسى هارون الرشيد لشارلمان ملك الفرنجة ومن ثم يمكن اعتبارها وثيقة تؤكد على العلاقات الوديه التى كانت فى ذلك الوقت . وتحتفظ كنيسة « سان دلى Saint Damis »(٤٣) بقطعة نادرة من العاج ورد فى سجلات الكنيسة أن هذه القطعة كانت من بين ذلك الشطرنج الرائع الذى تلقاه « شارلمان ملك الفرنجة » هدية من الخليفة العباسى « هارون الرشيد »(٤٤) ، وهذه القطعة تمثل ملكا يجلس على عرشه على ظهر فيل يحيط به الحاشية والفرسان كما يحمل الفيل على خرطومه بهلوانا . وقد نقش على قاعدة هذه القطعة اسم صانعها بخط كوفى بسيط على النحو التالى « من عمل يوسف الباهلى »(٤٥) ، وعند ذكر هذه القطعة تعترضنا مشكلة بخصوص تاريخها وموطنها فلقد اختلف علماء الآثار فى تحديد زمان ومكان صناعة هذه التحفة .

— بعض علماء الآثار أرجع هذه القطعة الى عهد هارون الرشيد

---

(٤١) د. عبد الجبار الجرمود : هارون الرشيد . دراسة تاريخية اجتماعية سياسية — الجزء الثانى — ص ٣٨١ — ٣٨٦ .

(٤٢) المرجع نفسه ، ص ٣٨٦ .

(٤٣) د. سعاد ماهر : الفنون الزخرفية — دراسات فى الحضارة الاسلامية بمناسبة القرن الخامس عشر الهجرى . المجلد الأول — ص ٣٢٣

(٤٤) المرجع نفسه ، ص ٣٢٣ .

(٤٥) المرجع نفسه ، ص ٣٢٣

بالرغم من أنه هناك من يرتاب فى حقيقــة هذه الهدية من الرشــيد لشارلمان[٤٦] .

— بعض علماء الآثار ينسب هذه القطعة الى الاندلس فى القرنين الرابع والخامس الهجريين (١٠ — ١١ م) حيث أن التحف العاجية الاسلامية كثيرة ومتنوعة فى الاندلس .

— الغالب على الظن أن هذه القطعة تعود الى الهند فى العصر المغــولى الهنــدى فى القرنين العاشر أو الحادى عشر الهجريين (١٦ — ١٧ م) وهذا الرأى يؤيده بعض علماء الآثار[٤٧] .

٢ — قطع شطرنج من البلور الصخرى :

وأما عن قطع الشطرنج المصنوعة من البلور الصخرى نجد أن معظمها ينســب الى عصر الفاطميين فى مصر (٣٥٨ — ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ — ١١٧١ م) ومن أمثلتها مجموعة كانت محفوظة ضمن مجموعة الكونتيسة دى بهاج فى باريس Comtesse de Behague, Paris [٤٨] وهذه المجموعة لها أهمية خاصة بالنسبة لموضوع البحث وذلك من حيث أنها تعطينا فكرة واضحة لاشــكال قطع الشطرنج المصنوعة من البلور الصخرى التى كانت تستخدم فى العصر الفاطمى وتعوض النقص فى قطــع الشطرنج المصنوعة من العاج التى جاء ذكرها فى المصــادر التاريخية بشأن خزائن الجوهر الفاطمية — كما سبق ذكره — ولم يصلنا منها شيئا . وتتكون هذه المجموعة من خمس عشرة قطعة من البلور الصخرى بعضها ملساء ناعمة قليلة الزخارف والبعض الآخر يشتمل على زخارف نباتية قوامها أشكال المراوح النخيلية (شكل ٤) وأنصاف مراوح نخيلية (شكل ٥) نفذت هــذه الزخارف بخطوط

---

(٤٦) د. عبد الجبار الجرمود : المرجع السـابق ، ص ٣٨٦ .

(٤٧) د. سعار ماهر : كتاب الفنون الاسلامية ، ص ٢٠٧ .

(٤٨) Lamm C. J., Mittelaterliche Glaser und Steinschnitt arbeiten aus dem Nahen Osten. Band I. S. 220.

واضحة فى أشكال فروع نباتية متماوجة (شكل ٦)[٤٩] ــ ومن خلال الدراسة التحليلية لقطــع هذه المجموعة من البلور الصخرى يمكن التعرف على قطع لعبة الشطرنج بمسمياتها على النحو التالى :

(أ) الملــــــك :

وتمثــله القطعتان أرقام « ١٣ و ١٥ »[٥٠] وتزينهما الزخارف النباتية المكونة من مراوح نخيلية وأنصاف مراوح نخيلية وفروع متماوجة ذات خطوط واضحة نفذت بطريقة القطع وهو الاسلوب المتبع فى زخــرفة البلور الصخرى فى العصر الفاطمى • وعلاوة على ثراء الزخارف النباتية فى هاتين القطعتين يلاحظ كبر حجمهما (شكل ٦) ، كما أن القطعة رقم « ١٣ » قريبة الشبه من حيث الشكل العام من القطعة السابق دراستها والمصنوعة من العاج والتى تعود الى مصر فى حوالى القرن (٢ هـ / ٨ م) •

(ب) الوزير أو المستشار :

وتمثله قطعة واحدة هى رقم (١١) (شكل ٦) عبارة عن قطعة ملساء ناعمة تكاد تخلو من الزخرفة وتنتهى فى أعلاها بقمة مخروطية الشكل قريبة الشبه من القلنسوة المدببة بقمتها وتمتاز بأنها متوسطة الحجم ليست بالكبيرة فى حجم قطعة الشطرنج التى تمثل الملك ولا بالصغيرة فى حجم قطعة الشطرنج التى تمثل العسكرى أو البيدق •

(جـ) الفيـــــــل :

وتمثله أربع قطع وهى أرقام « ٥ و ٦ و ٨ و ٩ » وكل قطعة منها ذات شكل اسطوانى تحتوى بأعلاها على بروزين مستديرين الى اليمين واليسار ويشيران الى أذنى الفيل (شكل ٥ و ٦) وتشتمل هذه القطع

---

(٤٩) Lamm C. J., Op. Cit Band 2, Tafel 77.

(٥٠) وضع هذا الترقيم السيد « لام » لقطع الشطرنج من البلور الصخرى حتى يسهل دراستها .

الاربع على نفس الزخرفة النباتية من مراوح نخيلية . وتذكرنا هذه القطع الاربع بتلك القطعة العاجية للفيل السابق دراستها (شـــكل ٢ — ب) وان كانت هذه القطعة العاجية تتسم بالبساطة فى أسلوب نحت أذنى الفيل وطريقة تنفيذهما الا أنه يتضح مدى التطور وفى الاسلوب الفنى خلال العصر الفاطمى فى مصر حيث ظهرت أذنى الفيل فى كل قطعة من القطع الاربع المصنوعة من البلور الصخرى وقد نحتت بدقة واتقان بحيث تظهر التفاصيل بوضوح .

(د) الفرس أو الحصـــان :

وتمثله ثلاث قطع وهى أرقام « ٧ و ١٠ و ١٤ » وكل قطعة منها تمتاز بشكلها المخروطى وبحجمها المتوسط وتنتهى من أعلى ببروز مائل بعض الشىء الى أسفل يوحى بما يشبه رأس الحصان والتى تمتاز هنا من حيث الاسلوب الفنى بالتجسيم الناتج عن استخدام خطوط واضحة تظهر التفاصيل وتحمل فى طياتها ذلك التطور والازدهار الفنى الذى كان سائدا فى العصر الفاطمى (شكل ٥ و ٦) وبمقارنة هذه القطعة بالقطعة التى تمثل الفرس والمصنوعة من العاج — سبق دراستها — يلاحظ مدى البساطة فى أسلوب تنفيذ رأس الحصان فى القطعـــة العاجيـــة .

(هـ) الرخ أو الطابية أو الحصن :

وتمثله قطعتان هما أرقام « ١ و ٣ » وكل قطعة منهما ذات شكل مستطيل تقريبا فى حجم متوسط ويلاحظ وجود فج أو تجويف عميق فى الضلع العلوى منها وتزين هاتين القطعتين نفس الزخارف النباتية من مراوح وأنصاف مراوح نخيلية تنطلق من الفروع النباتية المتماوجة تمتاز بخطوطها المنفذة بوضوح واتقان (شكل ٥) .

(و) العســـاكر أو البيادق :

وتمثلها ثلاث قطع فقط من هذه المجموعة ، هى أرقام « ٢ و ٤ و ١٢ » ومن الملاحظ أن هذه القطع صغيرة الحجم بالنسبة لقطـــع

الشطرنج من البلور الصخرى السابق دراستها من نفس المجموعة ، هذا الى جانب أن زخارفها بسيطة وغير واضحة التفاصيل وانما يشاهد منها فقط رسوم الخطوط المائلة والمتماوجة للتعبير عن رسوم تشبه أنصاف المراوح النخيلية (شكل ٥ و ٦) والتى سبق مشاهدتها فى قطع نفس المجموعة .

وبدراسة هذه المجموعة المكونة من خمس عشرة قطعة من الشطرنج صنعت من البلور الصخرى وتنسب الى مصر خلال العصر الفاطمى فيما بين القرن (٤ هـ / ١٠ م) والقرن (٥ هـ / ١١ م) نجد أنها اشتملت على مكونات القطـع العبـة الشطرنج وهى الملك والوزير والفيل والحصان والطابية والعساكر ومن هنا كانت أهمية هذه المجموعة من قطع الشطرنج المصنوعة من البلور الصخرى والتى كانت ضمن مجموعة الكونتيسة دى بهاج فى باريس .

٣ ــ قطع شطرنج من الزجاج :

وأما عن قطع الشطرنج التى صنعت من الزجاج ، يحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة[٥١] بمجموعة تشتمل على احدى عشرة قطعة زجاجية من الشطرنج تعطينا فكرة واضحة عن قطع الشطرنج المصنوعة من الزجاج والتى ترجع الى مصر حوالى القرن (٧ هـ / ١٣ م) والتى نفذت بحسب أسلوب الخيوط والتى شرحها أن هذه القطع عبارة عن كتل زجاجية معتمة ذات لون داكن زينت سطوحها بخيوط من عجائن زجاجية ملونة تم ضغطها وهى ساخنة على هذه السطوح بحيث صارت مساوية لها وشكلت بهذه الطريقة زخارف متعددة الالوان تشبه ألوان الرخام والمرمر المجزع[٥٢] .

---

(٥١) اسجل عميق شكرى وتقديرى للسادة أمناء متحف الفن الاسلامى بالقاهرة لاتاحتهم لى فرصـــة الاطلاع والتصوير لمجموعة قطع الشطرنج الزجاجية المنشورة فى هذا البحث .

(٥٢) عبد الرءوف على يوسف : الزجاج ــ مقال من كتاب القاهرة تاريخها فنونها آثارها للدكتور حسن الباشا وآخرين ، ص ٣٣٦ .

ومن خلال الدراسة التحليلية لقطع هذه المجموعة من الزجاج يمكن التعرف على قطع لعبة الشطرنج بمسمياتها عى النحو التالى :

(أ) الملــــك :

وتمثله ثلاث قطع من هذه المجموعة ، وهى القطعة سجل رقم (٥٦٤٠) تمتاز بشكلها المخروطى وصنعت من زجاج أســود محاط بأقواس بيضاء تم ضغطها على سطحها بحيث صارت مساوية لها على هيئة أقواس صغيرة وتحتوى بأعلى فى المنتصف على فج عميق يحتوى فى المقدمة على جزء يكاد يكون مخروطى الشكل ولكن فقدت مقدمته (شكل ٨) وهى قريبة الشبه من قطعة الشطرنج العاجية التى تمثل الملك وكذلك قطعة الشطرنج التى صنعت من البلور الصخرى وتمثل الملك أيضا (شكل ٦) • والقطعة الثانية قوامها شكل مخروطى من الزجاج الاسود المعتم بأعلاها فج وفاقد منها جزء (سجل رقم ٥٦٤١) وتمثل الملك (شكل ٩) والقطعة الثالثة مثل القطعتين السابقتين ولكنها تحتوى على زخرفة بسيطة قوامها رسوم نقط بيضاء بأعلاها حوالى ست نقط (سجل رقم ٥٦٤٢) وهى تمثل الملك على أرجح تقدير •

(ب) الفرس أو الحصـــان :

وتمثله قطعة واحدة ومن هذه المجموعة وهى القطعــة سجل رقم (٥٦٣٩/١) عبارة عن قطعة من الزجاج ذات شكل مخروطى يوجد بأعلاها بروز مسحوب الى الامام مما يعطى شكلا عاما لهذه القطعة يذكرنا بالقطعة التى تمثل الفرس (الحصـــان) فى لعبـــة الشطرنج (شكل ٢ ــ جـ) والمصنوعة من العاج وكذلك القطعة من البلور الصخرى التى تمثل الفرس ــ السابق دراستها ــ (شكل ٥ و ٦) •

(جـ) الفيـــــل :

وتمثله قطعتان من هذه المجموعة الاولى محفوظة بالمتحف تحت رقم سجل (٥٦٤٣) وهى عبارة عن قطعة من الزجاج الاسود المعتم

مخروطية الشكل تزينها أقواس من خطوط بيضاء وتحتوى فى قمتها على دائرة بيضاء تحصر بداخلها نقطة مطموسة سوداء اللون وتتطابق معها تماما قطعة ثانية والتى تحمل رقم سجل (٥٦٤٤) وذلك من حيث الشكل العام وأيضا من حيث الاسلوب الزخرفى .

(د) الرخ أو الطابيــة :

وتمثله قطعتان فقط من هذه المجموعة ، تحمل القطعة الاولى رقم سجل (٥٦٤٥) وهى من الزجاج الاسود المعتم ذات الشكل منشورى أقرب الى المستطيل ضلعه العلوى يحتوى على فج عميق فى المنتصف ليفصل بين شقين كل منهما مخروطى الشكل (شكل ١٠) وهذه القطعة بشكلها العام يذكرنا بقطعــة الشطرنج التى تمثــل الرخ أو الطابية المصنوعة من البلور الصخرى ــ سبق دراستها ــ (شكل ٥) .

وأما القطعة الثانية فهى تحمل رقم سجل (٥٦٤٦) عبارة عن الجزء السفلى من قطعة شطرنج تمثل الرخ أو الطابية وذلك بمقارنتها بالقطعة الزجاجية السابقة ــ رقم سجل (٥٦٤٥) .

ومما هو جدير بالذكر أن هاتين القطعتين تنفردان من بين قطع هذه المجموعة الزجاجية بحجمهما الكبير وكذلك تمتازان بذلك التنغيم فى استخدام لونين بالتبادل وهما لون الزجاج الاسود المعتم واللون الابيض ــ لون الخيوط الزجاجية ــ بأقواس من خيوط بيضاء متتالية ومرتبة فى صفوف منتظمة مما يوحى بالحــركة التى تخفف من حدة الجمود فى هاتين القطعتين .

(هـ) البيــدق أو العسكرى :

وتمثله قطة واحدة فقط من هذه المجموعة ، وتحمل رقم سجل (٥٦٤٧) وتأخذ شكلا هرميا من زجاج أحمر اللوّن زينت على بدنها الهرمى أقواس من خيوط بيضاء اللون تنتهى عند قمتها من أعلى بشكل زخرفى محور (شكل ٧) ومن الملاحظ أن هذه القطعة صغيرة الحجم بالنسبة لباقى قطع المجموعة التى نحن بصددها وتنفرد بشكلها الهرمى

على عكس بقية القطع فهى مخروطية الشكل فيما عدا القطعتين رقم سجل (٥٦٤٥ و ٥٦٤٦) فكل منهما عبارة عن منشور مستطيل كما سبق شرحه . وتذكرنا هذه القطعة الزجاجية باعتبارها تمثل البيدق أو العسكرى فى لعبة الشطرنج بالقطعة المصنوعة من البلور الصخرى — السابق دراستها — والتى تمثل العسكرى (البيدق) من حيث صغر حجمها أيضا (شكل ٥ و ٦) .

وجدير بالذكر أن هذه المجموعة من أحد عشرة قطعة زجاجية من لعبة الشطرنج تمثل الملك والفيل والحصان والطابية والعسكرى تنقصها قطعة واحدة وهى التى تمثل الوزير كى تكتمل قطع الشطرنج . ولكنها فى نفس الوقت تبرهن على مدى انتشار لعبة الشطرنج فى عصر المماليك حسبما ورد فى المصادر التاريخية عن ولع السلاطين والامراء فى ذلك العصر وكذلك علية القوم من الطبقات الارستقراطية على لعب واقتناء الشطرنج ، كما سبقت الاشارة اليه .

ثانيا — زخرفة مربعات الشطرنج :

من المعروف أن لعبة الشطرنج تتكون من قطع أو أحجار الشطرنج ومن لوح الشطرنج الذى يحتوى على أبيات ومربعات ترسم بلونين مختلفين وغالبا باللون الابيض والاسود ومن النادر أن تكون باللون الاحمر والاصفر بالتبادل . ولقد استعار الفنان المسلم هذه الابيات أو المربعات باعتبارها من العناصر الزخرفية الهندسية التى يقبل على استخدامها بكثرة فى منتجاته الفنية[٥٣] فزين بها العديد من التحف التطبيقية الاسلامية بمختلف أنواعها ، وكذلك زين بعض المنشآت المعمارية .

١ — زخرفة مربعات الشطرنج على التحف التطبيقية :

نتناول فى هذا المقام بعض الامثلة التى عثر عليها مزينة بزخرفة

(٥٣) عبد الرءوف على يوسف : الخزف — مقال فى كتاب القاهرة تاريخها فنونها آثارها للدكتور حسن الباشا وآخرين ، ص ٣١٧ .

هندسية تمثل مربعات الشطرنج وردت على بعض التحف المصنوعة من الخزف والفخار المطلى بالمينا وكذلك تزين بعض قطع النسيج الاسلامية وبخاصة تلك المستخدمة فى سروج الخيل المرسومة فى بعض التصاوير التى تزوق المخطوطات الاسلامية ونذكر بعض الامثلة التالية :

(أ) كسرة من الخزف الايوبى الدقيق الصنع :

هذا النوع من الخزف عجينته بيضاء ترسم فيه الزخارف — فى أغلب الاحوال — بألوان متعددة من الاحمر والازرق والاسود تحت طلاء شفاف ، كما ترسم فيه الزخارف أيضا بالاسود تحت طلاء زجاجى أخضر أو أزرق أو بنفسجى[٥٤] ويطلق على هذا النوع من الخزف اسم « الخزف الدقيق الصنع » نظرا لاتقان صناعته ولرقته[٥٥] ويحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بكسرة من الخزف الدقيق الصنع (رقم سجل ٥٣٧٩/٢٥)[٥٦] وتحتوى على منظر يمثل شخصين فى رحلة بحرية داخل مركب شراعى ويظهر فى المنظر ذلك الشراع بأعلى وتزينه زخرفة هندسية قوامها مربعات الشطرنج باللونين الاسود والابيض بالتبادل (شكل ١٢)[٥٧] ويمكن نسبة هذه الكسرة من الخزف الدقيق الصنع الى مصر خلال العصر الايوبى حوالى النصف الاول من القرن (٧ هـ / ١٣ م)[٥٨] .

(ب) مسرجة من الخزف المملوكى :

ظهر فى مصر خلال عصر المماليك منذ حوالى منتصف القرن (٨ هـ / ١٤ م) نوع من الخزف متأثر كثيرا بأوانى البورسلين والسيلادون الصينى المزخرف بالازرق على أرضية بيضاء وفى بعض

---

(٥٤) د. محمد مصطفى : الخزف الاسلامى ، ص ١٦ ، وشكل ٢٩ .
(٥٥) عبد الرءوف على يوسف : المرجع السابق ، ص ٣١٨ .
(٥٦) د. محمد مصطفى : متحف الفن الاسلامى دليل موجز ، ص ١١٣
(٥٧) المرجع نفسه ، شكل ٢٣ .
(٥٨) عبد الرءوف على يوسف : المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

الاحيان يظهــر لون آخر مع اللون الازرق فى زخرفة بعض هــذه الاوانى[٥٩] ، ومثال ذلك مسرجة يحتفظ بها متحف الفن الاســلامى بالقــاهرة (رقم سجل ٢٣٣٧٤)[٦٠] . وهى عبــارة عن مسرجة من الخزف على هيئة طبق لها فوهة واحدة فاقدة المقبض وكذلك فقدت جزء من أسفل قاعدتها وتزين قاعدة المسرجة من الداخل زخرفة هندسية قوامها مربعات الشطرنج رسمت باللونين الازرق والاحمر بالتبادل على أرضية باللون الابيض (شكل ١٣) . وتزين حافة هذه المسرجة خطوط متوازية باللونين الاحمر والازرق على هيئة تهشيرات . ويمكن نسبة هذه المسرجة الى مصر فى عصر المماليك حوالى النصف الثانى من القرن (٨ هـ / ١٤ م) .

(جـ) سروج الخيــــل :

يمكن القول بأنه لم تكشف الحفائر الاثرية — حتى الآن — عن قطع من النسيج الاسلامى تزينه زخرفة مربعات الشطرنج ، وانما جاءت رسوم تمثل سروج الخيــل من النسيج فى بعض المخطوطات الاســلامية وعلى وجه الخصــوص التى تنتمى الى مدارس التصوير الاسلامية فى ايران . تحمل رسوما تمثل مربعات الشــطرنج كعنصر زخرفى هندسى يزين هذه السروج سواء باللونين الابيض والاسود بالتبادل أو باللونين الابيض والاحمر بالتبادل أيضا .

ومن أمثلة الصور التى تشتمل على رسوم مربعات الشطرنج تزين سروج الخيــل فى هذه الصــور صورة تمثل المعركة بين الايرانيين والتورانيين من مخطوطة شاهنامة الفردوسى محفوظة ضمن مجموعة شستر بيتى بدبلن — تحت رقم ١١٤ — ومؤرخة بسنة (٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م)[٦١] وتنسب من حيث الاسلوب الفنى الى مدينة شيراز التى

---

(٥٩) المرجع نفسه ، ص ٣١٩ .

(٦٠) سجلات قسم الخزف بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة .

(٦١) Binyon L., Wilkinson J. V. S. & Gray B, Persian Miniature Painting. PL. XXXI. A.

كانت عاصمة المظفريين حتى سنة (٧٩٦ هـ / ١٣٩٤ م) ٠ وتتشابه رسوم هذه الصورة مع رسوم صور مخطوطة أخرى من الشاهنامة للفردوسى محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة — تحت رقم ٧٣ تاريخ فارسى — ومؤرخة بسنة (٧٩٦ هـ / ١٣٩٤ م)[٦٢] ٠ ويلاحظ فى صورة المخطوطة الأولى أنها تحتوى على رسم لفرسين يكسوهما سرجان ٠ الفرس الاول الى اليمين والذى يحده اطار الصورة يغطيه سرج من القماش تزينه زخرفة الشطرنج باللونين الاحمر والاصفر بالتبادل ٠ فى حين يشاهد الفرس الثانى وهو يتقدم الاول ويغطى ظهره سرج كبير من القماش ويغطى كل رقبته حتى يصل الى أذنيه وكذلك يغطى ظهره كله حتى يصل الى منتصف أرجله الامامية كما يبدو فى الصورة (شكل ١٤) وتزين هذا السرج زخرفة مربعات الشطرنج بحجم أكبر من السرج للفرس الاول ورسمت هنا باللونين الاســـود والابيض بالتبادل ٠

ونفس الزخرفة يمكن ملاحظتها فى مثال ثان فى صورة تمثل الاسكندر يأسر داراب من مخطوطة الاشعار الفارسية ترجع الى حوالى (٨١٢ هـ / ١٤١٠ م)[٦٣] وتنسب أيضا الى أسلوب مدينة شيراز فى التصـــوير الايرانى بحسب المدرسة التيمورية خلال القرن (٩ هـ / ١٥ م)[٦٤] ٠ حيث يرى فى الصورة رسوم سروج أربعة من الخيل تزينها زخرفة مربعات الشطرنج التى نفذت باللونين الاحمر والابيض بالتبادل لسرجى فرسين فى حين رسمت مربعات الشطرنج لسرجى الفرسين الآخرين باللونين الاسود والبنى الباهت بالتبادل ٠

والمثال الثالث يشاهد فى صورة تمثل البطل كستهم يقطع بسيفه رقبة « فرشيد ورد » من مخطوطة شاهنامه الفردوسى نسخت لمحمد

---

(٦٢) Ibid. pp. 62 - 63.

(٦٣) Gray B., Persian Painting, PL. p. 74.

(٦٤) Ibid. p. 70.

جوكى ترجع الى حوالى سـنة (٨٤٣ هـ / ١٤٤٠ م)[٦٥] محفوظة بالجمعية الملكية الآسيوية بلندن وتنسب الى مدرسة هراة فى التصوير الاسلامى فى ايران خلال العصر التيمورى • وتقتصر رسوم الصورة على شخصين أحدهما يمثل البطل كستهم يمتطى صهوة جواده وقد هوى بسيفه على رقبة فرشيد ورد ففصل رأسه عن جسده وهو فوق فرسه فى حين يوجد رسم لشخص ثالث سـقط على الارض قتيـلا (شكل ١٥)[٦٦] ومما يلاحظ فى هذه الصورة أن المصور قد استخدم اللونين الاحمر والابيض بوضوح فى رسم زخرفة مربعات الشطرنج تزين سرج الفرس الذى يمتطيه البطل كستهم •

(د) زخرفة تربيعات الشطرنج على العمائر الاسلامية :

يغلب على الظن أنه نتيجة لولع المسلمين بلعبة الشطرنج وشغفهم بها ظهرت زخرفة مربعات أو تربيعات الشطرنج على هيئـة زخرفة هندسية قوامها مساحات مربعة الشكل لونت بلونين بالتبادل هما الابيض والاصفر ، والابيض والاحمر ، والابيض والرمادى (الاسود أحيانا) فظهرت هذه الزخرفة بصـورة أقرب الى زخرفة الحجر المشـهر أو الابلق[٦٧] • وربما كان من أقدم الامثلة لزخرفة المشهر أو الابلق على هيئة تربيعات الشطرنج فى الاندلس فى بوابات المسجد الجامع بقرطبة (١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)[٦٨] فى المغرب الاسلامى فى مئذنة جامع أبى فطاطة بسوسة فى تونس (٢٢٣ — ٢٢٦ هـ / ٨٣٨ — ٨٤١ م)[٦٩] •

ويؤكد هذان المثالان على استخدام تربيعات الشطرنج فى تزيين

---

(٦٥) Gray B., Op. Cit., p. 92.

(٦٦) Ibid. Pl. p. 91.

(٦٧) د. شامى عبد الحليم : الحجر المشهر حلية معمارية بمنشآت المماليك ، ص ٣٩ •

(٦٨) د. السيد عبد العـزيز سـالم : تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى ، ص ٣٥٥ •

(٦٩) Mosquees de Tunisie. p. 80.

وزخرفة العمائر الاسلامية من مساجد أو مآذن خلان القرن الثانى بعد الهجرة (٨ م) • ومن الراجح أن هذه الزخرفة ظهرت فى مصر لتزيين العمائر المختلفة وقتذاك ولكن ليست هناك أدلة مادية وانما أقدم مثال يحمل هذه الزخرفة من الحجر المشهر على هيئة تربيعات الشطرنج تأثيرات مغربية وأندلسية تشاهد بوضوح فى ضريح وخانقاه بيبرس الجاشنكير[٧٠] بالجمالية بالقاهرة (٧٠٩ هـ / ١٣٠٤ م)[٧١] وتشاهد كذلك فى مدرسة السلطان المنصور قلاوون بالنحاسيين بالقاهرة وبخاصة الواجهة الخارجية التى عملت من الحجر الملون على هيئــة تربيعات الشطرنج باللونين الاحمر والابيض[٧٢] •

واستمرت هذه الزخرفة الهندسية المستوحاة من تربيعات لوح الشطرنج فى الظهور كحلية معمارية من الحجر المشهر فى عمائر المماليك حتى نهاية عصرهم ومثال ذلك مئذنة مسجد ومدرسة السلطان قنصوه الغورى[٧٣] (٩٠٦ — ٩٢٢ هـ / ١٥٠١ — ١٥١٦ م) ولقد زينت هذه المئذنة بالحجر المشهر على هيئة تربيعات الشطرنج فى بدنها بالطابق الثالث[٧٤] (شكل ١٦) •

خاتمـــة البحـث

ومن هذه الدراسة لنماذج من الآثار الفنية الاســلامية للعبة الشطرنج سواء كانت قطعا أو أحجارا للشطرنج أو كانت تمثل زخرفة لتربيعات الشطرنج على المنتوجات الفنية الاسلامية أو على العمائر الاسلامية من عصور مختلفة يمكن استخلاص النتائج التالية :

---

(٧٠) Hautecoeur Les Mosquees du Caire. p. 296.

(٧١) د. سامى عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٧٢) د. كمال الدين سامح : العمارة الاسلامية فى مصر . الطبعة الثالثة ، ص ٣٨ .

(٧٣) د. سامى عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٤٠ ، ولوحة ٢٣ .

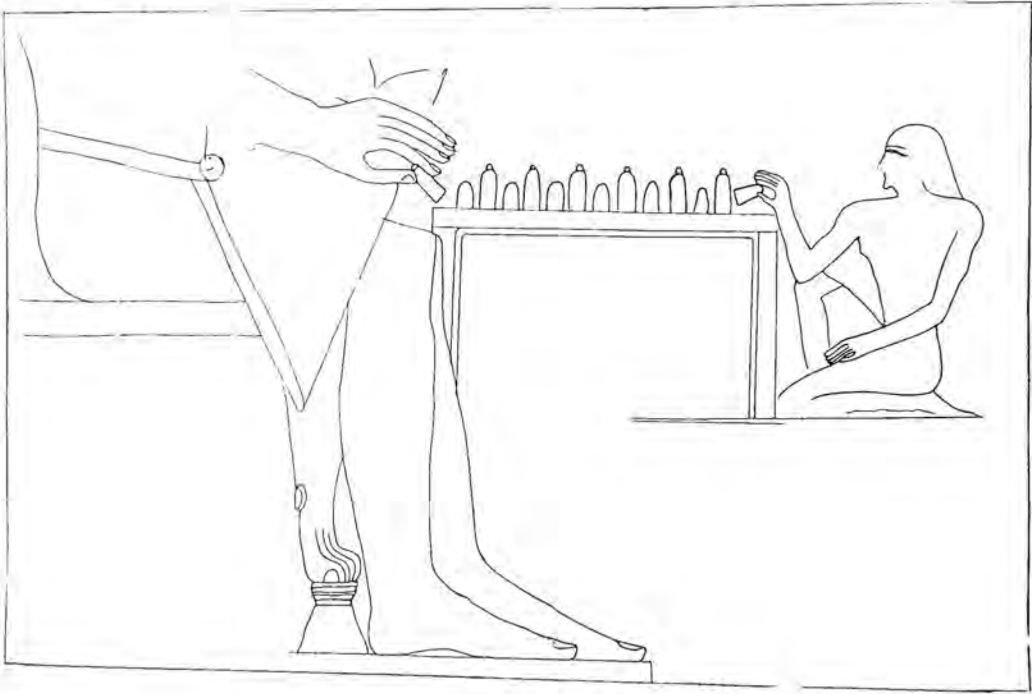
(٧٤) د. كمال الدين سامح : المرجع السابق ، ص ٥٠ (شــكل ٩٥ و ٩٦) .

أولا : كانت الهند القديمة أول من ابتكر لعبة الشطرنج كلعبة للتسـلية ثم انتقلت الى ايران القديمة فى عهـد كسرى أنوشيروان (٥٣١ ـ ٥٧٨ م) ثم انتقلت الى المسلمين بعد فتحهم لايران فى أوائل القرن الاول بعد الهجرة (٧ م) الذين كان لهم فضل ادخالها لاوربا حوالى القرن الرابع بعد الهجرة (١٠ م) •

ثانيا : أمكن التعرف على أشكال قطع الشطرنج فى العصور الاسلامية بشكلها المألوف لدى المسلمين وقتذاك • وتجدر الملاحظة بأن أحجار أو قطع الشطرنج الاسلامية جاءت ـ فى أغلب الاحوال ـ غير مجسمة فى معظمها على عكس قطع الشطرنج التى صنعت فى أوربا خلال العصور الوسطى اذ كانت لديهم مجسمة •

ثالثا : ليست هناك شبهة تحريم فى لعب الشطرنج ما دامت تتوافر أثناء اللعب الشروط السابق ذكرها ويؤكد ذلك أحجار وقطع الشطرنج التى تحتفظ بها المتاحف العـالمية حتى الآن والتى صنعت من مواد مختلفة متنوعة مثل العاج والزجاج والبلور الصخرى وتنتمى الى عصور اسلامية مختلفـة • وعلاوة على ذلك استخدمت مربعات أو تربيعات الشطرنج كزخرفة هندسية تزين تحفا فنية اسلامية متنوعة وكذلك عمائر اسلامية مثل المساجد والمدارس وكذلك بعض المآذن كما سبق ذكره •

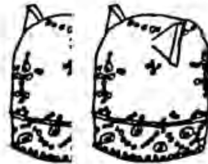
رابعا : أمكن من خلال هذا البحث نشر بعض قطـع زجاجية للشطرنج لاول مرة وهى محفوظة فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة سجل رقم ٥٦٣٩/١ و ٥٦٤١ ـ ٥٦٤٣ و ٥٦٤٥ و ٥٦٤٧) • هذا بالاضافة الى مسرجة من الخزف المملوكى تحتوى على مربعات الشطرنج محفوظة بنفس المتحف (سجل رقم ٢٢٣٧٤) •



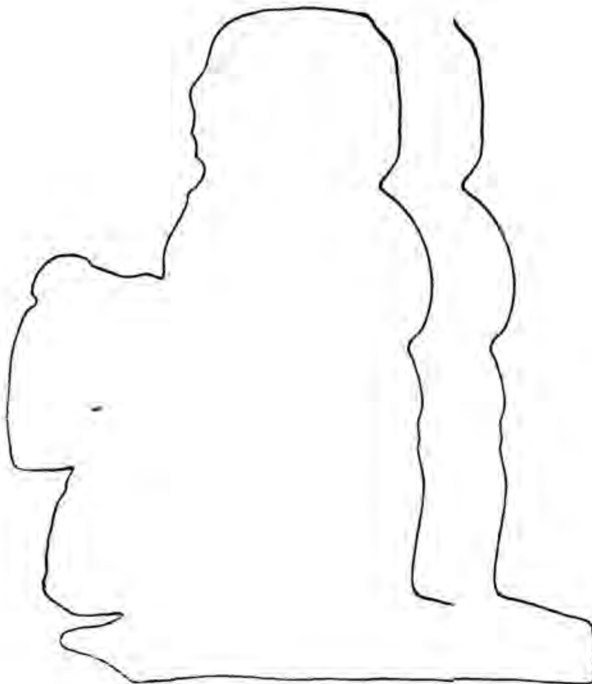
شكل رقم (١)



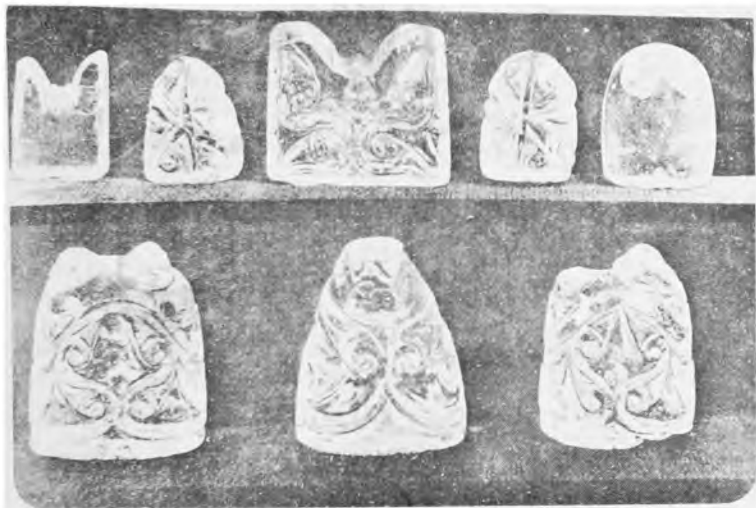




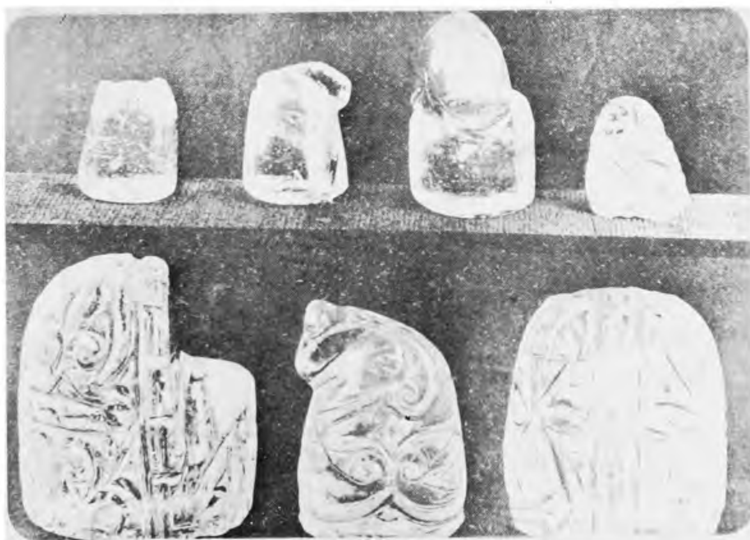
شكل رقم (٢)



شكل رقم (٣)



شكل رقم (٥)



شكل رقم (٦)



شكل رقم (٤)



شكل رقم (٧)



شكل رقم (٨)



شكل رقم (٩)



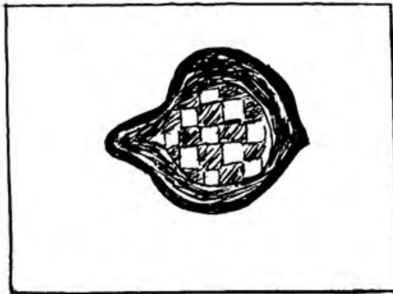
شكل رقم (١٠)



شكل رقم (١١)



شكل رقم (١٢)



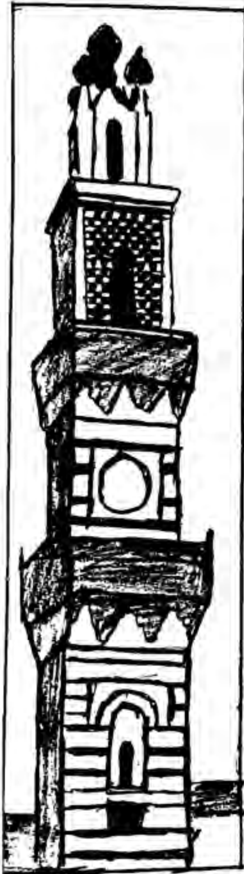
شكل رقم (١٣)



شكل رقم (١٤)



شكل رقم (١٥)



شكل رقم (١٦)

بيـــان الاشــكال :

شكل رقم (١) مرروكا يلعــب مع زوجته الشطرنج من نقش بمسطبة مرروكا .

(Duell P., The Mastaba of Mereruka. Part II. Pls 171, 172)

شكل رقم (٢) (أ و ب و جـ) ثلاث قطع من الشطرنج صنعت من العاج من العصر الاموى .

(Küknel E., Die Islamischen Elfenbeineskulpturen).

شكل رقم (٣) قطعة شــطرنج من العاج محفــوظة بمتحف المتروبوليتان بنويورك .

(The Arts Of Islam Pl. No. 12)

شكل رقم (٤) قطع شطرنج من البلور الصخرى ترجع الى العصر الفاطمى بمصر . كانت ضمن مجموعة الكونتيسة دى بهاج بباريس .

(Lamm C. J., Mittelalterliche Glaser und Steinschnitt arbeiten aus dem Nahen Osten. Band 2, Tafel 77).

شكل رقم (٥) تفاصيل من الشكل السابق (شكل ٤) .

شكل رقم (٦) تفاصيل من الشكل السابق (شكل ٤) .

شكل رقم (٧) ثلاث قطع شطرنج من الزجاج المحفوظة فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة (سجل رقم ٥٦٤٧ و ٥٦٤٠) لم يسبق نشرها .

شكل رقم (٨) قطعة شطرنج من الزجاج محفوظة فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة . (سجل رقم ٥٦٣٩/١) . لم يسبق نشرها .

شكل رقم (٩) قطعة شطرنج من الزجاج محفوظة فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة . (سجل رقم ٥٦٤١) . لم يسبق نشرها .

شكل رقم (١٠) قطعة شطرنج من الزجاج . محفوظة فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة (سجل رقم ٥٦٤٣) . لم يسبق نشرها .

شكل رقم (١١) قطعة شطرنج من الزجاج محفوظة فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة (سجل رقم ٥٦٤٥) • لم يسبق نشرها •

شكل رقم (١٢) كسرة من الخزف الايوبى المرسوم تحت الطلاء « دقيق الصنع » تشتمل على زخارف منها زخرفة مربعات الشطرنج • محفوظة فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة (سجل رقم ٢٥/٥٣٧٩) • (د• محمد مصطفى : متحف الفن الاسلامى — دليل موجز شكل ٢٣) •

شكل رقم (١٣) مسرجة من الخزف المملوكى المرسوم تحت الطلاء وتشتمل على زخرفة مربعات الشـــطرنج • محفـــوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة (سجل رقم ٢٢٣٧٤) • لم يسبق نشرها •

شكل رقم (١٤) تفاصيل من صـــورة تمثل المعركة بين الايرانيين والتورانيين من مخطوط من شاهنامه الفردوسى ضمن مجموعة شستر بيتى بدبلن (٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م) • ويلاحظ زخرفة مربعات الشطرنج تزين سروج الخيل •

(Binyon, Wilkinson & Gray, Persian Miniature Painting. PL XXXI, A.)

شكل رقم (١٥أ) تفاصيل من صورة تمثل البطل كستهم يقطع بسيفه رقبة « فرشيد ورد » من مخطوط من شاهنامة الفردوسى نسخت لمحمد جوكى (٨٤٣ هـ / ١٤٤٠ م) — محفوظة بالجمعية الملكية الآسيوية بلندن • ويلاحظ سرج الفرس تزينه مربعات الشطرنج •

(Gray B., Persian Painting. Pl. p. 91).

شكل رقم (١٦) مئذنة مدرسة السلطان قانصوه الغورى (ويلاحظ زخرفة تربيعات الشطرنج تزين الطابق الثالث للمئذنة •

(د• سامى عبد الحليم : الحجر المشهر • حلية معمارية بمنشآت المماليك فى القاهرة • لوحة ٢٣) •

مراجـــع البحـــث

أولا ــ المصـــادر المطبـــوعة :

ــ المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على البغدادى) •
مروج الذهب ومعادن الجوهر ــ الجزء الرابع ــ بيروت ١٩٧٣ م •

ــ المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) •
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ــ جزءان ــ (بولاق ١٢٧٠ هـ) •

ثانيا ــ المراجـــع العربيـــة :

١ ــ أحمد عبد الرازق أحمد (دكتور) : وســائل التسلية عند المسلمين ــ دراسات فى الحضارة الاسلامية بمناسبة القرن الخامس عشر الهجرى ، المجلد الاول ــ (القاهرة ١٩٨٥ م) •

٢ ــ آدم ميتز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ــ جزءان (القاهرة ١٩٤٠ م) •

٣ ــ السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى (الاسكندرية ١٩٨٢ م) •

٤ ــ جورج يعقوب : أثر الشرق فى المغرب خاصة فى العصــور الوسطى • ترجمه بتصرف د• فؤاد حســين على (القاهرة ١٩٤٦ م) •

٥ ــ حسن الباشا (دكتور) : أبواق الصيد ــ مقال فى مجلة منبر الاسلام العدد ١١ يناير ١٩٦٨ م •

ــ مدخل الى الآثار الاسلامية (القاهرة ١٩٧٩ م) •

٦ ــ دونالد ولبر : ايران ماضيها وحاضرها ، ترجمة د• عبد المنعم حسنين (القاهرة ١٩٥٨ م) •

٧ ـــ سامى عبد الحليم امام (دكتور) : الحجر المشهر حلية معمارية بمنشآت المماليك فى القاهرة (١٩٨٤ م) •

٨ ـــ سعاد ماهر محمد (دكتور) : الفنون الزخرفية ـــ دراسات فى الحضارة الاسلامية بمناسبة القرن الخامس عشر الهجرى ، المجلد الاول ـــ القاهرة (١٩٨٥ م) •

ـــ كتاب الفنون الاسلامية • القاهرة (١٩٨٧ م) •

٩ ـــ سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ـــ الطبعة الاولى • القاهرة (١٩٦٣ م) •

١٠ ـــ سيد سابق • فقه السنة ـــ المجلد الثالث عشر « المعاملات » ـــ الطبعة السابعة •

١١ ـــ عبد الجبار الجومرد (دكتور) : هارون الرشيد • دراسة تاريخية اجمتاعية سياسية ـــ جزءان ـــ بيروت (١٩٥٦ م) •

١٢ ـــ عبد الرءوف على يوسف : الخزف ـــ مقال فى كتاب القاهرة تاريخها فنونها آثارها الدكتور حسن الباشا وآخرين • القاهرة (١٩٧٠ م) •

ـــ الزجاج • مقال فى الكتاب السابق نفسه •

١٣ ـــ عبد العزيز صالح (دكتور) : التربية والتعليم فى مصر القديمة • القاهرة (١٩٦٦ م) •

١٤ ـــ عبد المنعم ماجد (دكتور) : تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى • القاهرة (١٩٦٣ م) •

١٥ ـــ عبد الوهاب عزام (دكتور) : الشاهنامة نظمها أبو القاسم الفردوسى وترجمها نثرا الفتح بن على البندارى • جزءان • القاهرة (١٩٣٢ م) •

١٦ ــ كمال الدين سامح (دكتور) : العمارة الاسلامية فى مصر • الطبعة الثالثة • القاهرة (١٩٨٧ م) •

١٧ ــ محمد حماد (دكتور) · التصوير فى التراث المصرى القديم حتى العهد القبطى • الطبعة الثانية • القاهرة (١٩٦٣ م) •

١٨ ــ محمد عبد العزيز مرزوق (دكتور) · الفنون الزخرفية الاسلامية فى مصر قبل عصر الفاطميين • القاهرة (١٩٧٤ م) •

١٩ ــ محمد مصطفى (دكتور) · متحف الفن الاسلامى ــ دليل موجز ــ القاهرة (١٩٥٤ م) •

ــ الخزف الاسلامى • القاهرة (١٩٥٦ م) •

ثالثا ــ المراجــع الاجنبيــة :

— Binyon L., Wilkinson J.V.S. & Gray B., Persian Miniature Painting. Oxford, 1933.

— Bosworth C. E., The Islamic Dynasties, a Chronological and genealogical handbook, (Revised edition, 1980).

— Duell P., The Mastaba of Mereruka. 2 Parts. University of Chicago Press 1938.

— Encyclopaedia Britanica, Vol. V. London, 1968.

— Encyclopaedia Britanica, Vol. V, Printed in U.S.A.

— Gray B., Persian Painting. Skira, 1977.

— Hans & Siegfried Wischmann, Schach Ursprung und Wandlung der spielfiguren inZwolf Jahrunderten. Munchen, 1960.

— Hautecoeur, Les Mosquees du Caire. Pairs, 1932.

— Kreiser K., Lexikon der Islamischen Welt. 3 Band (Nor-Z.). Germany, 1974.

— Küknel E., Die Isiamische Elfenbeineskulpturen VIII - XIII Jahrhundert. (Deutscher Verlag fur Kunstwissenschaften).

— Lamm C. J., Mittelalterliche Glaser und Steinschnitt arbeiten aus dem Nahen Osten. 2 Bande. Berlin, 1929.

— Mosquees de Tunisie, Maison Tunisienne de L'Edition, Tunis, 1978.

— Murray H. J., The History of Chess. Oxford, 1913.

— Rückert F., Ferdosi's Konigsbuch (Schah - name). Berlin 1890

— The Arts of Islam. Masterpieces from the metropolitan Museum of Art New York. (Berlin, 1981).

— Welch C. S., A King's Book og Kings. The Shah-Nameh of Shah Tahmasp. New York, 1972.

— Wieber R., Das Schachspiel in der Arabischen Literatur von der Anfangen bis zur Zweiten Halfte des 16 Jahrhunderts. Waldofr, 1972.

المراجعــات والتقــارير وعرض الكتب

أندريه ريمون : مدن عربية كبيرة فى العصر العثمانى(*)

عرض وتحليـــل

د. أيمن فـؤاد ســـيد

رغم تعدد الدراســات والنــدوات والمؤتمرات التى عقدت فى العشرين عاما الاخيرة عن المدن العربية ، فاننا لا نكاد نملك عرضا شاملا أو مدخلا جامعا لهذه الاعمال ، بحيث نستطيع القول أننا نملك حقيقة دراسات تتيح لنا أن نرسم تصورا شاملا عن المدن العربية الكبرى .

وقد كانت بعض المدن العربية الكبرى فقــط موضوعا لأبحاث اجمالية تناولت تاريخها على امتداد عصورها المختلفة مثل : القاهرة وحلب وفاس وأخيرا صنعاء . أما الجزائر ودمشق وتونس والموصل وبغداد فلم تكن موضوع أية دراسة منهجية منظمة . وعلى ذلك فان كتابة دراسة عامة عن المدن العربية الكبرى ، هى بالتأكيد ، محاولة صــعبة .

يضاف الى ذلك الغموض حول بعض المفاهيم التقليدية فى هذا النوع من الدراسات . هذا الغموض يرجع فى الاساس الى امكانية الحديث عن مدينة « اسلامية » فيما يتعلق بالمدن العربية الواقعة على البحر المتوسط ، أو العربية بمفهومها العام ، وذلك فى الوقت الذى لا نعرف فيه ، بطريقة مرضية ، ماهية خصائص المدينة العربية قبل الاسلام (اليمن والحجاز) ، ولا خصائص المدن الاســلامية غير العربية ، والتى تعتبر الاكثر عددا (المدن الايرانية ــ الافغانية ،

(*) André Raymond, **Grandes villes arabes á lèpoque ottomane,** Paris - Sindbad 1985, 22 × 14 cm., 390 p.

والمدن الباكستانية — الهندية ، والمدن الاندونيسية) • فهذه المدن لا يتناولها عادة الباحثون الذين يتصدون لتحديد الخصائص العامة للمدينة « الاسلامية » •

فمشاكل البنية والوظائف المدينية التى تطرح فيما يخص المدن العربية والاسلامية ، يمكن عادة توضيحها مقارنة بالمشاكل العامة التى تطرحها المدن عموما ، وأيضا بارجاعها الى النمط الوحيد الباقى من الحضارة الاسلامية وهو مدن العصر العربى •

كل ذلك بغرض عدم تناول مشـكلة التنظيم المدينى لهذه المدن الا بطريقة محدودة •

وقد ركز أندريه ريمون فى هذه الدراسة على الفترة الممتدة من القرن السادس عشر الى القــرن الثامن عشر كاطار تاريخى ، وعلى المنطقة التى كانت فى الفترة نفسها تحت سيطرة الامبراطورية العثمانية ، كمساحة جغرافية (من الجزائر الى العراق الحالية) • هذا التحديد المزدوج ، فى الزمن والمكان ، يسمح بتكوين تصنيف منسجم للمدن • وقد حدد ريمون نطاق تحقيقاته فقط حول كبريات المدن التى تظهر فيها مشاكل البنية والوظائف المدينية بطريقة تفرض مقارنة تؤدى الى استخراج مدونة متماسكة •

وعلى ذلك فان مدنا كالجزائر وتونس والقاهرة ودمشق وحلب والموصل وبغـداد ، (وهى عواصم الاقاليم العربية للامبراطورية العثمانية) تبدو مجموعة متناسقة • ولم يمنع هذا التحديد ريمون من تناول مدن متوسطة الاهمية كالقدس وحماة وأنطاكية ومدن كبرى غير عثمانية ، كفاس وصنعاء •

وقد قسم ريمون كتابه الى ستة فصول :

تناول فى الفصـــل الاول : « المدن العربيـــة فى الامبراطورية العثمانية » مشيرا الى الفتح العثمانى وتنظيم الاقاليم العربية • والمعطيات الاساسية حول تطـــور المدن العربيـــة الكبرى ونموها المـــدينى •

وفى الفصل الثانى تناول « سكان المدن » من عسكريين ومماليك ثم العلماء والاشراف ، والرعية من تجار وحرفيين ، والعلاقة بين الطبقة الحاكمة وبقية الرعية ، ثم الأقليات، الاسلامية والمسيحية واليهودية والاوروبية •

أما الفصل الثالث فقد خصصه « للوظائف المدينية » وتناول فيه : ادارة المدن والتنظيمات الشعبية كالطوائف الحرفية والجماعات العرقية والدينية ، والاحياء السكنية • ثم النظام المدينى كالشرطة والامن العام ، ثم الخدمات العامة من نظافة واضاءة للطرق ومكافحة للحرائق والنقل داخل المدينة ، وتزويد المدينة بالماء •

وتناول فى الفصل الرابع « تنظيم المساحات » : الانشطة التجارية ، الفصل بين الطوائف ، انقسام المدينة الى قطاعين متميزين ، الاحياء السكنية ، والاحياء المتطرفة والضواحى • ثم تفاوت بنية المساحات فى المدن المختلفة • ودور الاوقاف ثم الفوضى العمرانية •

وخصص الفصل الخامس للحديث عن « الانشطة الاقتصادية » محددا مواقعها وأنواعها : محلات ، أسواق ، وكالات ، ثم الانشطة الحرفيـــة •

أما الفصل السادس فقد خصصه للحديث عن « مناطق السكن وأنماط المساكن » •

وقد ركز المؤلف فى الاساس على ذكر المظاهر السياسية والاجتماعية للمدينـــة ولم يتعرض كثيرا للنواحى المعمارية والمكانية (وان كانت موجودة) • وهو بذلك يعرض علينا مدنا حية بعيدة عن الأنماط التقليدية لدراسة المدينـــة •

فقد كانت دراسات المدن قبل ذلك حكرا على علماء الآثار ، الذين اهتموا فى الاساس بالنواحى المعمارية والتخطيطية للمدينة ، مضحين عادة بالمظاهر الاجتماعية والاقتصادية والتنظيمية للمدينـــة • لذلك فدراسة المدن فى حاجة دائمة الى باحث يجمع بين التاريخ والآثار حتى يقدم لنا عرضا متكاملا لنمو المدينة وتطورها عمرانيا ومدينيا واجتماعيا واقتصاديا ، ونمط معيشتها وتوزيع الخدمات بها •

دليـــل الرســـائل الجامعية

عـرض الرســـائل الجامعيـة

اعـــداد

محمـد نجيب الوسـيمى

١ ـ بنو حفص والقوى الصليبية فى غرب البحر المتوسط فى القرنين ٨ ـ ٩ هـ / ١٤ ـ ١٥ م :

رسالة ماجستير مقدمة من السيد / عبد الناصر جبار

تبدو أهمية الموضوع فى حقيقة أن الدولة الحفصية ، بالرغم من أنها أهم دولة أقيمت على أرض المغرب منذ الفتح الاسلامى ، سواء من حيث مدة حكمها التى امتدت نحو ٣٧٨ سنة هجرية (٣٦٦ سنة ميلادية) وهى أطول مدة تبقاها أسرة فى الحكم فى المغرب دون انقطاع • أو من حيث دورها فى الوقوف فى وجه القوى الصليبية الطامعة فى العودة الى هذه المنطقة والقضاء نهائيا على أحلامها • وكذلك من حيث علاقاتها الخارجية المتعددة الجوانب مع كل القوى المحيطة بها ، إلا أنها لم تحظ باهتمام كبير من الباحثـين العرب مثلما حظيت به الدولتين المرابطية والموحدية من قبلها •

ويتناول البحـث بالدراسـة علاقات الدولة الحفصية بالغرب الاوربى (ممثلا فى جنوة ، وبيزا ، والبندقية ، وأرغونة) فى جانبيها الحربى والسلمى معتمدا فى ذلك على مجموعة من الوثائق والمصادر الهـامة •

وتعرض الفصل الاول لحملة لويس التاسع على تونس والحصار الذى أقامه حولها والمقاومة التى واجهته • ثم المحاولات التى قام بها شارل دانجو بعد وصوله وفشلها • ثم إنهيار الحصار وعقد الهدنة

والانسحاب . كما درس حياة ونشاط المبشر الميورقى ريمون لول من مولده حتى تحوله إلى عالم التبشير ثم اتصالاته بالزعماء الاوربيين ومناظراته مع العلماء المسلمين فى بجاية وتونس ، ثم نهايته .

أما الفصل الثانى ، فتناول بالدراسة حملة لويس الثانى البوربونى على مدينة المهدية ، فبدأ بعرض الاوضاع العامة فى الدولة الحفصية ومجهودات أبو العباس من أجل اعادة توحيدها . وكذلك أوضاع جنوه وفرنسا والكنيسة . ثم انتقل بعد ذلك الى عرض وتحليل أسباب الحملة ومساعى التعبئة العامة التى اجتاحت أوربا لمساعدتها ، ثم الانطلاق نحو المهدية والحصار والمعارك التى احتدمت بين الطرفين . وأخيرا فشل الحصار وعقد الهدنة وما ترتب على ذلك .

وفى الفصل الثالث تناول الباحث بالدراسة والتحليل موضوع القرصنة ، فتحدث عن مدلولها ، مستعرضا كل أنواع النشاطات العدوانية فى البحر والفروق بينها . ثم موقف الدول من القرصنة واللصوصية فى المعاهدات وعلى أرض الواقع . ثم درس بعد ذلك أهم العمليات التى قام بها القراصنة أو اللصوص مع ذكر زمانها ومكانها . واختتم الفصل بالتعرض لمدى تأثير القرصنة واللصوصية على الحركة التجارية ، وكيفية تحرير الاسرى .

أما الفصل الرابع والاخير فتناول العلاقات التجارية ، مستعرضا الأوضاع الاقتصادية فى تونس ، والثروات الزراعية والطبيعية . ثم أهم الصناعات والحرف ، والحالة العمرانية . ثم بداية هذه العلاقات وتطورها ، وقواعد التعامل ، مع تحليل المعاهدات والمراسلات والسفارات المتبادلة بين الحفصيين من جهة وباقى القوى الأوروبية من

جهة أخرى . ثم تعرض بالدراسة لحياة التجار الاوربيين فى الدولة الحفصية ، والفنادق وأهميتها . ثم القناصل ودورهم فى السهر على مصالح بلادهم وتمثيلهم لدى السلطات الحفصية . ثم تناول بالدراسة أنواع المتاجر المتبادلة ، والجمارك ، ووسائل النقل وكيفية تأجيرها ، والرحلات التجارية عبر موانىء البحر المتوسط . واختتم بالحديث عن المتغيرات التى حدثت فى نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر فى البحر المتوسط ، وما ترتب عليها من آثار عميقة على النشاط التجارى مما أدى الى تراجعه بشكل خطير .

٢ — أزد عمان فى القرنين الاول والثانى للهجرة

رسالة ماجستير مقدمة من السيد / سعيد بن محمد بن سعيد الغيلانى

الأزد من القبائل العربية الشهيرة التى أسهمت فى الاحداث التى صاحبت ظهور الاسلام وانتشاره ، واتساع دولته فى القرنين الاول والثانى للهجرة .

وتناول هذا البحث بالدراسة فى فصله الاول ، التعريف بعمان ومسمياتها ، وموقعها الجغرافى ومساحتها إبان تلك الفترة . ثم تعرض بالدراسة لهجرة الازد الى عمان ، وما صاحب ذلك من أحداث ديموجرافية هامة . وألقى الفصل أضواء على أهل عمان وسكانها ، قبل قدوم هؤلاء الأزد إليها ، والصراع الذى احتدم بينهم وبين الفرس الذين كانوا يحتلون عمان فى ذلك العصر .

وعالج الفصل الثانى أحوال عمان بعد أن تم لمالك بن فهم القضاء على النفوذ الفارسى بها ، وأوضح كيفية السيطرة على البلاد ، ثم تتبع هجرة القبائل اليها . وألقى الضوء كذلك على شخصية مالك بن

فهم وحكمه لعمان ، وما ترتب على مقتله من أحداث ، وكيف هاجر ابنه سليمه الى بلاد فارس حيث استطاع أن يحكم كرمان .

ودرس الفصل الثالث كيفية انتقال الحكم من بنى مالك بن فهم الى بنى معولة بن شمس . وأوضح الاحوال الدينية التى كانت سائدة فى عمان قبل الاســلام ، ثم تحدث عن اســلام أهل عمان وطردهم للمجوس من البلاد بعد أن رفضوا الدخول فى الاســلام . واختتم الفصل بالاشارة الى الردة ومدى اسهام أزد عمان فيها .

أما الفصل الرابع ، فقد خصصه الباحث لدراسة علاقة أزد عمان بالخلافة العباسية ، حيث ناقش أحوال عمان فى ظل خلافة الراشدين ثم الدولة الأموية ، فالدولة العباسية فى عصرها الاول . وتتبع جهود الحجاج الثقفى فى إخضاع عمان لادخالها تحت نفوذ الدولة الأموية ، كذلك تعرض لظهور الامامية الاباضية الاولى بعمان وحتى قضت عليها الدولة العباسية وما صحب ذلك من أحداث حتى القرن الثانى للهجرة .

وفى الفصل الخامس والأخير ، تعرض البحث لدور أزد عمان فى بناء الدولة الاسلامية ، فأشار الى دور بعض الاشخاص العمانيين فى ذلك الصدد ، ثم تحدث عن مدى اسهام بعضهم فى الحياة الدينية . واختتم البحث بايضاح نصيب أزد عمان فى إثراء الحياة الثقافية الاسلامية وضرب أمثلة لبعض الأعلام ممن كان لهم دور بارز فى هذا المجــال .

٣ — بنو نبهان فى عمان والأوضاع الاقتصادية فى عصرهم
٥٤٩ ــ ٩٠٦ هـ (١١٥٤ ــ ١٥٠٠ م)

رسالة ماجستير مقدمة من السيد / عبد الله بن ناصر بن سليمان الحارثى

تناول الفصل الاول من البحث بالدراسة حقيقة بنى نبهان ، فتعرض لأصولهم العرقية ، ثم ظهورهم على مسرح الاحداث السياسية وحروبهم مع منافسيهم • كما تعرض بالبحث لعلاقة بنى نبهان بالامامة الاباضية وبالقوى الخارجية •

أما الفصل الثانى فقد بحث فى أحوال الزراعة وما يرتبط بها من نظم الرى وملكية الارض ، وعرض لأهم المحاصيل الزراعية فى عمان إبان تلك الفترة ، وأسهب فى دراسة شجر اللبان نظرا لأهميته الاقتصادية فى ذلك العصر •

وتناول الفصل الثالث دراسة موضوع التجارة والثروة البحرية فى عصر بنى نبهان ، وذلك نظرا لما للتجارة والثروة البحرية من أهمية فى اقتصاد عمان فى تلك الحقبة التاريخية • وأوضح البحث أن الأسماك كانت فى مقدمة الثروة البحرية فى ذلك العصر ، فى حين كان اللؤلؤ بمثابة الثروة التى تعادل النفط فى عصرنا الحالى • كذلك عالج هذا الفصل تجارة عمان الخارجية وأهم سلعها ، ومراكزها التجارية ، بالاضافة الى تجارتها الداخلية ، وأسواقها ، وطرقها الرئيسية والفرعية • ثم تعرض البحث لبيان مدى انعكاس الاحداث الخارجية الممثلة فى الحروب الصليبية ، وحركة المغول التوسعية ، ثم اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح على تجارة العبور بعمان •

أما فى الفصل الرابع والاخير فقد تعرض بالدراسة للصناعة فى عمان فى عصر نبهان ، فتحــدث عن التعدين فى عمان ، ومدى وفرة

النحاس خصوصا • ثم تطرق الى الحديث عن أهم الصناعات التى ازدهرت فى عمان سواء كانت صناعات معدنية أو فخارية أو صناعة السفن وصناعة الاقمشة والنسيج وغير ذلك •

٤ ـ الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى خراسان فى العصر العباسى الأول (١٣٢ ـ ٢٣٢ هـ)

رسالة ماجستير مقدمة من السيد / ابراهيم احمد عبد الرحمن

لاقليم خراسان أهمية خاصة فى التاريخ الاسلامى ، فهو الجسر الذى عبرت عليه الحضارة الاسلامية الى كل بلاد المشرق ، وما أدى إليه ذلك من نتائج هامة تركت أثرها الواضح فى تاريخ وحضارة تلك المناطق حتى وقتنا الحاضر •

وتناول البحث بالدراسة فى الفصل الاول التعريف باقليم خراسان جغرافيا وإداريا ، فعرض لموقع هـذا الاقليم وأهميته ومساحته • وتناول خراسان بين الادارة العباسية والطاهرية ، فعرض للادارة العباسية فى خراسان ، وعلاقة خراسان بكل من اقليمى ما وراء النهر وتركسـتان •

وخصص الفصل الثانى لدراسة الحياة الاقتصادية فى خراسان ، فتناول بالدراسة الموارد المالية من خراج ، وجزية ، وزكاة ، ومكوس وضرائب ، مع عرض لديوان الخراج • كما بحث الفصل أوجه النفقات : فى عطاء الجند ، ورواتب الموظفين ، ونفقات اعداد الجيوش ، والمرافق العامة ، بالاضافة الى الهدايا والمنح • ثم تناول بالبحث مظاهر النشاط الاقتصادى فى خراسان ، فعرض أولا للزراعة والرعى وملكية الارض ومناطق الزراعة وما يرتبط بها من نظم الرى وخلافه • كما عرض للانتاج الزراعى وأهم محاصيله ثم تناول الثروة الحيوانية • وتناول

الفصل بعد ذلك النشاط الصناعى ، فتحدث عن الثروات الطبيعية فى الاقليم ، وأهم الصناعات ومراكزها ، والايدى العاملة . وتناول الفصل أخيرا النشاط التجارى فى خراسان ، فعرض للطرق التجارية وأهميتها ، والصادرات والواردات ، والاسواق وأخيرا مدى انعكاس كل ما سبق على مستوى المعيشة فى الاقليم ابان تلك الفترة .

وبحث الفصل الثالث موضوع الحياة الاجتماعية فى خراسان إبان تلك الحقبة ، فتحدث عن عناصر السكان من عرب ، وموالى ، وأهل ذمة ورقيق . وتناول بالدراسة مظاهر الحياة الاجتماعية من أعياد ومواسم واحتفالات ، وملابس ، ودور ومساكن ثم حياة الاسرة . كما تعرض للمجالس الاجتماعية ونظم القضاء والشرطة فى الاقليم .

وأرفق البحث ببعض الملاحق عن كور خراسان وولاتها والقبائل العربية بها ، وقوائم الخراج فيها ، وبيان بالدنانير والدراهم المضروبة فى خراسان ودور السكة بها فى عصر الولاة والطاهريين .

٥ ــ سقوط نظام الاحتكار فى مصر الحديثة وأثره فى تطورها الاقتصادى (١٨٤٠ ــ ١٨٨٢ م)

رسالة دكتوراه مقدمة من السيد / أحمد محمد حسن النماص

اهتم البحث بدراسة فترة هامة من تاريخ مصر الحديث ، تلك الفترة التى أعقبت تجربة « محمد على » الاقتصادية والتى شهدت تجربة التحديث فى عصر اسماعيل والايقاع بها فى حبائل الديون الخارجية . ثم الاحتلال البريطانى ، وما ترتب على ذلك من اندماج الاقتصاد المصرى فى اقتصاد السوق العالمى فى عصر الحرية الاقتصادية بدرجة كبيرة بحيث أصبحت مصر تتأثر كثيرا بحالة السوق العالمية طبقا لسياسة مرسومة من الخارج أدت اليها طبيعة التطور الاقتصادى فى

مصر وأوروبا • فكان من أثر ذلك ضرب تجربة محمد على من الرأسمالية الأوروبية مجتمعة فى عام ١٨٤٠ م ثم ضربها من الرأسمالية الانجليزية وحدها فى عام ١٨٨٢ وذلك بهدف النفاذ الى مصر وسحبها الى السوق العالمية بعد ضرب التجربة المصرية التى استهدفت بناء اقتصاد مستقل يعتمد على التمويل الذاتى ويستبعد رأس المال الاجنبى مما شكل تهديدا للمصالح الاجنبية •

وخصص الفصل الاول لدراسة الزراعة التى عانت من أزمة فى التمويل بعد سقوط نظام الاحتكار وما ترتب على ذلك من استغلال رأس المال الاجنبى الفرصة ليقوم بدور الممول للزراعة بعد عجز رأس المال الوطنى عن أن يلعب هذا الدور بعدما أصبحت رؤوس الاموال الوطنية شبه منعدمة على أثر سقوط نظام الاحتكار • ومن ثم كان لابد من تطوير حقوق حيازة الارض نحو الملكية الخاصة والعامة لتأمين حقوق رأس المال الاجنبى كما كان لابد من تطوير الحاصلات الزراعية لخدمة السوق العالمية بما يتطلبه ذلك من تطوير للانتاج الزراعى •

أما الفصل الثانى فقد تناول بالدراسة موضوع الصناعة ، ويتضمن ثلاثة محاور ، أولها يدور حول الصناعات الحرفية : باحثا عن عوامل النمو والانكماش فى هذه الصناعات • ويدور المحور الثانى حول الصناعات الحديثة فى ضوء ما حدث من تطور — بعد ضرب تجربة محمد على — فى تمويل الصناعة بعدما تخلت الدولة عنها ، وكيف فتحت أبواب مصر للبضائع الأوروبية • ويدور المحور الثالث حول دور الدولة والأجانب من الصناعة المصرية لما لذلك من أهمية على مسيرتها وتطورها •

وتناول الفصل الثالث موضوع التجارة فى محاولة للبحث عن

مدى ارتباط التغير فى الانتاج الزراعى والصناعى والاتجاه نحو حرية التجارة ولذا تركز الفصل فى جزئيات ثلاث ، الأولى: **التجارة الداخلية :** من حيث تمويلها ، عناصرها وأسواقها • **والثانية : التجارة الخارجية ،** فبالاضافة الى البحث فى مصادر تمويلها وعناصرها ومصادرها تعرض للبحث فى علاقة الواردات بالصادرات مستخرجا الميزان التجـــارى • **والثالثة : الدولة وتنظيم التجارة :** خاصة فيما يتعـــلق بالضرائب والعوائد وأثرها على التجارة الداخلية ، وكذلك الجمارك وأثرها مع دراسة بعض مراسيم حظر تصدير أو تداول بعض السلع •

أما الفصل الرابع فقد تعرض بالدراسة لموضوع النظام المالى نظرا لما له من أهمية ، فهو الاطار المنظم للاقتصـــاد والقوة الدافعة والمرآة التى تعكس قوته وضعفه وانتظامه أو اخلاله باعتباره ضابطا لايرادات البلاد ومصروفاتها • وعلى ذلك فان فى دراســـة عناصره المختلفة التى أولها العملة والنظام النقدى • وثانيها رأس المال : تكوينه وتطوره وعوامل نموه أو عرقلته • وثالثها : الاستثمارات المباشرة المتمثلة فى البنوك والشركات القائمة فى قطاعات الزراعة والصناعة والتجارة والنقل والخدمات ، ورابعها ديون الحكومة •

ولعل دراسة هذه الجزئيات الأربعة تبرز آثار النظام الاقتصادى المتمثل فى تكاليف المعيشة والتغير فيها وما يمثله ذلك من تحديد للقوة الشرائية للعملة وقيمتها ومستوى الاسعار وتوفر الخدمات وبالتالى معرفة جدوى النظام الاقتصادى القائم وآثاره •

وتعرض الفصل الاخير لدراسة التغير الاجتماعى الذى ترتب على ارتباط الاقتصاد المصرى بالسوق العالمية واندماجه فيها خلال فترة الدراسة نتيجة لهذا الارتباط • ولادراك حقيقة التغير الذى طرأ

على المجتمع المصرى استلزم الامر دراسة أمرين : الحراك الاجتماعى الذى جرى داخل المجتمع المصرى وما ترتب عليه من انتقال أو تحريك فئات اجتماعية درجات من السلم الاجتماعى صعودا وهبوطا •

والامر الثانى : المجتمع المصرى من ناحية قواه الاجتماعية ، نمو وتطور المدن ونشوء المدن الجديدة •

7 Walid Mubarak (Dr.) - Debate on the Issue of the Gulf Security - Social Sciences Magazine Second ed., July, 1980.

Third - Political Newspapers and Magazines :

1. Al-Khaleej Newspaper - Sharjah, issued an 4-6 Oct., 1986.

2 Al-Khaleej Newspaper - Sharjah, issued on 31/1/1981.

3. Al-Ittihad Newspaper - Abu Dhabi - ed. (3979). issued on 22/5/1981.

4. The Kuwaiti Message Magazine, issued on 15/6/1985.

6. Dr. Khaldoun Hassan Al-Naqeeb - The Society and the State.

7. Ministry of Information - Kuwait - The G.C.C. is An Accomplished Hope - Kuwait, 1984.

8. Mohammed Hisham Khawajkia - The Arabian Gulf Economical Integration - Publications of the Arabian Gulf and the Arabian Peninsula Magazine - Kuwait.

9. Dr. Tawfiq Hasweh Arabian Gulf American Relations - Dar Al-Kitab Al-Jami'ee Al-Ain 1987.

10. U. A. E. Ministy of Informstion and Culture - The G. C.C. Documents - Abu Dhabi.

Second - Periodicals :

1. Abdullatif Mohammed The Political Caliphate in the Kuwaiti Perspective World Politics Magazine, ed. 52, April, 1978.

2. Audo Steinbach - Introduction to Solidarity in the Middle East - The Ararbian Gulf Magazine, third ed., 1975.

3. Emil Nakhleh - The Internal Stability and National Security in the Arabian Gulf - The Arabian Gulf Magazine, vol; 15, ed. (42), 1983.

4. Ghanim Al-Najjar (Dr.) and Mohammed Karam (Dr.) - The Electoral Behaviour in Kuwait - World Politics Magazine, ed. 79 - July, 1987.

5. Mohammad al-Sa'eed Idrees - The Gulf Mascut Summit and the Balance in World Relations - World Politics Magazine, January, 1986, ed. 83.

6. Nabeel Abdulfattah - War and the Issue of Security in the Gulf World Politics Magazine, January, 1981.

30. Dr. Abdullah Fahd Al-Nafeesi, op. cit., P. 49

31. The Arabian Gulf and the Arabian Peninsula Study Magazine, ed. (28), Dctober 1981, and Al-Ittihad Newpaper, Abu Dhabi, ed. (3979) issued on 22/5/1981.

32. Dr. Abdullah Fahd Al-Nafeesi, op. cit., P. 48, and Al-Khaleej newspaper — Sharjah issued on 31/1/1981.

33. The Kuwaiti Message Magazine, issued on 15/6/1985.

34. Dr. Shamlan Al-Issa, Dr. Kamal Al-Manoufi, The Cooperation Magazine, fifth ed., PP. 79 — 80

35. Dr. Shamlan Al-Issa — Dr Kamal Al-Manoufi op. cit., P, 79

36. Dr. Shamlan Al-Issa — Dr. Kamal Al-Manoufi, op. Cit., P. 80.

References :

First — The Books :

1. Dr. Abdullah Fahd Al-Nafeesi The G.C.C. - The Political and Strategic Frame - Taha Printing Press, London, 1982.

2. Al-Ittihad Press and publishing Est. Zayed Draw the Features of the way - Abu Dhabi.

3. Arab Thought Forum - The G.C.C. Experiment is a Step Forward or An Obstacle in the Way of Arab Unity - Amman 1985.

4. Fuad Hamdi Bssaissou - The Development Cooperation Between the G.C.C.C. The Arabian Unity Studies Centre, Beirut - 1984.

5. Dr. Hamid Rabi' - The Arab National Security The Diplomatic Dobate on History and Econmical Subordination - U.A.E. Miniotry of Foreign Affairs - Abu Dhabi.

12. Dr. Sa'duddin Ibrahim — The Arab Thought Forum, P. 67.

13. Dr. Sa'duddin Ibrahim — op. cit., P. 67

14. Dr. Khaldoun Hassan Al-Naqeeb — Society and The State in the Gulf and the Arabian Peninsula, P. 180.

15. Audo Steinbakh — The Arabian Gulf Magaznie.

16. Nabeel Abdulfattah — op. cit., P. 99.

17. Mohammed Said Al-Saleh. The Arabian Gulf Magazine. 1986, P. 19.

18. Dr. Tawfeek Hassan. Arabian Gulf-American Relations. P. 24

19. Emil Nakhleh — The Arabian Gulf Magazine, ed. (2 — 4). 1983, P. 37.

20. The Kuwaiti Message Magazine issued on 5/6/1985.

21. Emil Nakhleh, op. cit. P. 37.

22. Emil Nakhleh, op. cit., P. 36.

23. Abdulatti Mohammed — The International Politics ed. 52. P. 179.

24. Abdulatti Mohammed, op. cit., P. 169.

25. Dr. Ghanim Al-Najar, Dr. Jassim Mohammed Karam — The International Politics, ed. 79, P. 41.

26. Dr. Ghanim Al-Najar Dr. Jassim Mohammed Karam, op. cit., P. 41.

27. Abdulatti Mohammed, op. cit., P. 168.

28. Dr. Abdullah Fahd Al-Nafeesi, op. cit., P. 50 — Al-Khaleej Newspaper — Sharjah issued on 31/1/1981.

29. Dr. Abdullah Fahd Al-Nafeesi — op. cit., P. 49

and unity in different aspects and establish the rules of political security and stability in the G.C.C. States.

Finally I would like to repeat my hope of establishing the democratic organizations and the "Joint Gulf Parliament" in the region, and I wish I was able to introduce some aspects connected with political security and the means which must be followed for its achievement by the G.C.C. States.

MARGINS :

1. Dr. Abdullah Fahd Al-Nafeesi — The G.C.C., P 54.
2. Dr. Su'ad Al-Sabbah, Arab Thought Forum — The G.C.C. Experiment, P. 64.
3. Ministry of Information and Culture — The G.C.C. Documents, P. 6.
4. Dr. Abdullah Al-Asha'l — The Comparative National Behaviour of the Members of the G.C.C. in the The Cooperation Magazine.
5. Dr. Abdullah Fahd Al-Nafeesi, op. cit., PP. 27, 28
6. Dr. Hamid Rabi' — The Arab National Security — The Diplomatic Debate on History and Economical Subordination, P. 27,
7. Dr. Hamid Rabi', op. cit., P. 28
8. Dr. Abdullah Fahd Al-Nafeesi, op. cil., P. 28
9. Nabeel Abdulfattah — War and the Issue of Security in the Gulf — The International Politics Magazine, P. 99.
10. Al-Khaleej newspaper Appendix — Edition No. 2751 issued on 2/11/1986 P. 54.
11. Al-Khaleej newspaper Appendix — op. cit., P. 54.

opment and from getting rid of underdevelopment. But we notice that these states try to get rid of underdvelopment and want to achieve development and political security, and at the same time entetr into a new era of the Capitalist Imperialism through the economic, political and military subordination, which means that the Capitalist Imperialism went out through the gate of independence but came back through the gate of subordination.

For this reoson, it is difficult to get rid of the subordination to the western Imperialism except through the people's participation in the political decision-making through the democratic organizations, because every political regime is in need of a strong and steadfast popular base to support it and this cannot be achieved except by its participation in bearing the burdens of responsibility through the democratic channels. Hence we can know the importance of creating the political security in the G.C.C. States which is consideretd among the first priorities, and the methods followed for achieving stability by the establishment of strong relations between the people and the political regime through the democratic channels and organizations so that the people can directly participate in the parliamentary elections, the development of a constitution which can meet the requirements of the era, which is based on the Islamic religion, as Islam is a perpetual religion at all times and places, and which must be derived from our heritage on which we based our Islamic civilization which came to liberate humanity and establish social solidarity and justice and the rules of democracy.

Based on this study of the parliamentary experiments in some of the G.C.C. States, we find that the Kuwaiti democratic txperiment, despite our reservations on it, is the most suitable for the societies in the Arabian Peninsula under the current circumstances of our Arab and Islamic nation. Thus, we are in favour of applying this experiment in the regoin so as to create strong relations between the people and the political rgime and eslablish a "Joint Gulf Parliament" which can accelerate the process of integration

abstained from giving their opinions amounted to one fifth of the sample(35).

Based on the above, it is clear that the majority of the people look forward to the formation of a strong unified army (92.3) the establishment of social justice (99.4%), the security and military coordination (86.9%) and the application of democracy, which means that the establishment of demorcatic organization comes in the fourth place among the priorities in the attitudes of the Kuwaiti public opinion, but as I see it, the formation of a strong unified army for the protection of the nation, the establishment of social justice, the security and military coordination and the political security and stability are all considered factors which complete each other for the sake of establishing a strong state.

It is well-known that Kuwait refuses any foreign existence whatever its from is and whether it is direct or indirect. It also considers the establishment of balanced relations between the East and the West necessary, bearing in mind that Kuwait is different from the other G.C.C. States concerning the issue of democracy represented by the constitution, the parliament, the freedom of the press and and the fact that it is the only state which officially and popularly refused the Bill of the proposel " Security Agreement " between the G.C.C. states(36) due to the political maturity of the Kuwaiti people and government. Nevertheless, if there is an opportunity for the rest of the citizens of the G.C.C. states, they will share their brothers in Kuwait their attitudes concerning the proposals included in the questionnaire regarding their opinions of the G.C.C.

CONCLUSION :

Political security of the G.C.C. States is considered one of the problems created by the European imperialism not only in the Arabian Gulf, but also in most of the third World countries. Not only do these states suffer from the problem of political security, but they also suffer from the problem of the comprehensive devel-

Based on the above tables we can notice the following :

1. The belief of the overwhelming majority of the peolpe that security cannot be achieved, whether by the Super Powers interference (81.2%) or by the military coordination with the U.S.A. and the West (72%).

2. The conviction of the overwhelming majority of the people that keeping the region away from the military alliances can guarantee its security and stability (80.4%). The most important factor of security in the G.C.C. States is represented in the formation of a strong Gulf army (92.3%) and the continuous coordination between these states in the military and security fields (86.6%).

3. People revealed their understanding of the necessity of the issue of political and social securtiy to the citizens of the G.C.C. States. This is clear in the approval of the overwhelming majority of relating security to democratic application and to estabalishing social justice in all the G.C.C. states (82.5%) and (88.4%) successively.

4. More than half of the sample on whom the study was conducted acknowletdged that dispensing with the Asian work force helps achieve the Gulf security.

As regards the possibility of the security coordination between the G.C.C. states, 68.9% of the sample gave positive answers based (according to their conception) on the similarity of the regimes, the geographical closeness, the unity of social habits and circumstances and the existence of the same quality of crimes and problems such as the problem of house maids. As for those who ruled out the possibility of coordination, their percentage did not exceed 10.8%. They justified their belief by the occasional dissimilarity of interests, the discrepancy of laws, the borders disputes and the diferences between the security conceptions. The number of those who

People's Conception of How to Achieve the Gulf Security :

Security in the G.C.C. States can be achieved by	I agree	agree I don't	I don't know
1. The Super Powers Interference	10.7	81.2	7.7.
2. Keeping the region far away from the military alliances and the Super Powers' Conflicts	80.4	11.2	7.4
3. The Security and Military co-ordination between the G.C.C. States.	86.9	4.8	7.3
4. The Military coordination with the U.S.A. and the West.	14.4	72	13.6
5. Building a strong Gulf Army.	02.3	3.5	3.9
6. The Application of Decocracy in the G.C.C. States.	85.5	7.9	6,4
7. Establishing Social Justice in the G.C.C States.	88.4	5.5	5,8
8. Dispensing with the Asian Work Force	52.7	29.6	17.7

The application of the Kuwaiti democratic experiment in the rest of the G.C.C. states can enhance political security and stabitity in them, create stronger ties between the people and the potitical regimes and pave the way for the establishment of a "Joint Gulf Parliament" which will be responsible for the success of the plans of integration and coordination, the promotion of political security and stability for facing foreign threats, giving impetus to the achievement of the current and future goals and programmes of the G.C.C. and enabling them to withstand all the internal and external challenges(34).

The Attitudes of the Kuwaiti Public Opinion on the Issue of political and Military Security in the G.C.C. States :

Studies were conducted by Dr. Shamlan Al-Issa and Dr. Kamal Al-Manoufi for the purpose of knowing the attitudes of the Kuwaiti public opinion towards the G.C.C. The results of these studies will be reviewed from the military aspect due to the relationship between this aspect and our study. The study consisted of a questionnaire delivered to a sample of people on the attitude of the Kuwaiti public opinion concerning the saying : "The Gulf Security is The Responsibitity of the Gulf States alone". The overwhelming majority (94.6%) of the people on whom the study was conducted agreed and were in favour of this saying. Then they were asked to give their opinion on eight main issues, five of which were connected with the classical conception of security, one was related to the Asian work force and two were connected with the concept of political security respresented by ensuring the political and social freedom of the citizens of the G.C. States which can be achieved by the establishmetnt of the democrotic organizations and social justice.

d) The Kingdom of Saudi Arabia :

No written constitution was developed in Saudi Arabia, but some statemetnts were issued in the wake of he assassination of king Faisal Bin Abdulaziz in March, 1975. These statements included the government's determination to establish a consultative council After the toppling of the Shah and the events of the Holy Shrines in Mekka in 1979, the Saudi government renewed its statements on this issue, and since that time the government has been working on the crystallization of the bill of the "Consulative Council" to be established. This Council will not entail the holding of elections but each one of the Saudi fourteen provinces will appoint two representative. Nevertheless, the Saudi government will have the right to depose them(33).

The Joint Gulf Parliament :

Based on the previous review of the parliamentary experiment in some of the G.C.C. States it is clear that the Kuwaiti parliamentary experiment might be the most successful one regarding the establishment of democratic parliaments in these states to pave the way for the establishment of a "Joint Gulf Parliament" which will play a very efficient role in bringing about political security and stability to the region.

The success of this experiment is due to the mutual trust between the peolpe and the ruling family, the experiment's suitability to our political, intellectual and social life, and the fact that there are no fears of applying it in the rest of he G.C.C. states on the basis of the political security currently witnessed by Kuwait, Thus security and stability are not only the responsibility of the state, but they are also the responsibility of the people, because no political regime can achieve policial security and stability unless it derives its power from the people who can guarantee its existence. The democratic parliamentary participation is considered the only guarantee for the stability of the internal front, and can give momentum to the national issues.

period of five years expiring in 1981, then it was renewed in 1986 and finally it was renewed to another period of five yeas. This means that the Emirates has lived under a temporary constitution since 1971 when the Parliament "the Federal National Council" mas established in December, 1976 in accordance with the temporary constitution, and Article 69 of this constitution gave every Emirate the freedom to choose the methods it deems suitable for electing the members of the Parliament (30). This means that the constitution gave these Emirates the freedom of the direct choice or appointment of the members for the seven Emirates which constitute the State of the Unied Arab Emiracs. But the Parliament" the Federal National Council" was esablished on the basis of the direct appointment by the ruler of each Emirate(31).

In his answer to the following question : " Will the United Arab Emirates take some actions in case there are some situations similar to those witnessed by Kuwait ? ", raised by Al-Ittihad newspaper, after the parliamentary life had returned and the direct elections had been practised in Kuwait in 1981, His Highness Sheikh Zayed Bin Sultau Al-Nahyan, the President said : " Situations are connected with the periods of time they occur at. We take into consideration the development of sound methods for creating and crystallizing all the means which can enhance and promote representation and participation and as such matters took a long time in the sisterly State of Kuwait, we must not hasten the results, the social process must crystallize quietly and slowly so that the appropriate stiuations and opportunities can be made available, then we will not hesitate to follow what can bring about our interests and the welfare of our people. Here, it is necessary to indicate that our regime which is based on our heritage and habits provides the people with every facility of accession to the rulers for the sake of expressing their opinions and viewpoints and for specifying their demands freely(32).

independence, the parliamentary life started in 1972 when the political regime called for holding the "Organizational Council's Elections". Thus, elections were held on 1/12/1972, and half of the of the members of the Parliament whose number amounted to twenty were directly elected from the people whereas the other half including the twelve ministers who were originally members of the Council in view of the positions they occupied were appointed by the political regime. In addition to that, the ruling authority appointed another eight members. One of he most important jobs assigned to the "Organizational Council" was represented in the development of a constitution for the State, and after that the parliamentary elecions (the elections of the Bahraini Natoinal Council) were held at the end of 1983. The " National Movement" succeeded in these elections and got eight seats, and in 1975, decisive discussions were held in the Parliament on inflation, housing, the general budget, the government expenditures, the internal security the American existence and the facilities provided in " Jaffir ". These discussions developed to skirmishes which consequently led to the government's boycotting the sessions of the the Parliament the Prime Minister's submission of his resignation, and the issue of a dacree on 26th Aug., 1975 including the dissolution of the Parliament " The National Council".

Thus, the parliamentary democratic life was halted in Bahrain until the Bahrainni Prime Minister disclosed in April, 1980 the plans of his government regarding democracy and the popular participation mentioned in the statement of Sheikh Muhammed Bin Mubarak Al-Khalifa to the Kuwaiti newspaper " Al-Kabas".

c) The United Arab Emirates :

The parliamentary life in the Emirates traces back to the municipal elections which were held at the beginnnig of the thirties, but it did not last long. After independence, a temporary constitution of a period of five years was announced on 1/12/1981 provided that the permanent constitution replace it on 1/12/1976, but it was decided to renew this temporary constitution for another

situations particularly the Iraq-Iran war which was, at that time, very fierce and violent, the situations in Lebanon and occupied Palestine which flared up at that time and the torn Arab Arena. But in spite of all of the above setbacks, the results of the elections were unexpected because all the Kuwaiti political powers succeeded in these elections and were able to get seats in the Parliament which was called "The strong Parliament" or "The Parliament of the Whole Nation"(27).

In 1986 a decree was issued by the Prince including dissolving the Kuwaiti Parliament after it had played a positive role in many internal and foreign issues. This dissolution was not due to internal factors blt to foreign ones, particularly the pressures which were exerted by some neighbouring powers, in addition to other political considerations.

It was concluded that the demoraitc life in Kuwait will soon be practised after the elimination of the reasons which led to the dissolution of the Parliament, particularly as the Iraq-Iran war has ended and the situations in the region have improved. All these factors indicate that the parliamentary life well soon be practised in Kuait because the ruling family made people accustomed to it during the previous years as they established their rule on parliamentary democracy (28).

Besides, the Kuwaiti people have close ties with the ruling family and there is a great extent of mutual trust between them- This is clear through the people's support of the political regime during the last explosions, the attempt which was made to assassinate the Prince and the plight of the Kuwaiti hijacked aircraft.

b) Bahrain :

The first elections in Bahrain were held at the beginning of the thirties but they did not succeed due to the suppression practised by the British colonization which halted these elections to maintain its existence there. But after Bahrain had obtained its

To achieve political security, there must be a strong relationship between the people and the political regimes of the G.C.C., and afterwards we can talk about the shape of this relationship and the period of time it takes until it becomes a reality.

For this purpose, we have to consider the attempts which have been made in some G.C.C. States for constructing the democratic organizations and for forming the modern constitutions and specifying the functions of these organzations, the form of popular participatin in them and the political regime which can achieve stability and political security in the G.C.C. Countries.

a) Kuwait :

the parliamentary experience in Kuwait started in 1921 when the first consultative council was established, as Kuwait has always had precedence in establishing the democratic organization(24). The municipal elections were held in 1930 and several other councils were established. This democratic life developed more following the events of the legislative council in 1938 and the elections which were held in the fifties, and in January, 1962 "The Organizational Limited Council" was established and developed the constitution. The first Kuwaiti National Council (The Kuwaiti Parliament) was formed in January, 1963 and limited the period of time of each of its terms to four years unless the Prince issues a decree inluding its dissolution(25).

This Kuwaiti parliamentary experiment continued until the last elections were held on the 6th of February 1985 under crucial economic circumstances. Subesequently Kuwait witnessed an atmsophere of pessimism and melancholy after the activities of the "stock market" were halted due to the previous elections which were held in 1981, and resulted in the establishment of a parliament which was described as weak due to issuing some laws which contributed to the economic crisis known as " Souk Al- Manakh ", i.e. the "stock market" and the weak supervisory role this parliament played (26). But the elections which were held in 1985 were not better than the previous elections held in 1981 due to the local and international

there should be a constitutional framework related to the political regime represented in the democratic parliaments which can transfer the people's wishes and desires to reality and give them a suitable opportunity for performance and serious participation in creating and developing the modern life of the G.C.C. society(21).

In this regard, the G.C.C. political regimes issued some statements in the year 1980 which revealed their wish to create a sort of popular participation in these regimes and to give priority to the performance of internal political reforms. On this issue, Sheikh Mohammed Bin Mubarak Al-Khalifa the Bahraini Foreign Minister declared during an interview with Al-Kabas Newspaper in April, 1980 that there are three main considerations which must be understood regarding the issue of democracy (22) :

1. It is wrong to betieve that the G.C.C. States look for an "imaginative" democratic organization, because on the contrary, what thye look for is finding a real organization which is suitable to the region and capable of envisaging the status quo.

2. The forms of popular representation which the Gulf governments seek to adopt must be similar, but not wholly conforming to each other because, despite the fact that the G.C.C. countries have joint properties their experiments are to a great extent different.

3. Democracy and popular participation in ruling are the two main demands at this era of the life of the Arabian Gulf, and they are directly connected with internal stability, and the Bahraini government is aware of this connection and is seriously looking for creating a democatic form of ruling.

Based on the above declaration of the Bahraini Minister on popular participation and democratic organization aiming at the achievement of stability and political securtiy in the G.C.C. States and on the form of the parliamentary organization which might be constructed in Bahrain and in the rest of the G.C.C. States, we notice that some members of the G.C.C ruling families consider that the region's stability and political security are connected with each other(23).

ranks and positions in the political hierarchy(19). In the second place comes the middie class in the framework of the adminstrative and political leadership sequence in the G.C.C. States, but the number of the members of the working class is very small if compared with the foreign working class. Thus, this class has no influence on political security, whereas the foreign working class does not currently enjoy any political or economic privileges regarding internal issues, but its members might form a threat to and can exert pressures on political security under any unexpected circumstances.

Based on that, the transfer from politically underdeveloped tribal societies to the cnocept of the modern state and the political participation needs a very long time and colossal efforts bcause this process is still in the middle of the way (19).

The Democratic Orgarizations in the G.C.C. States :

There must be some efforts for the purpose of constructing integrated democratic organizations, and the gradual performance of this construction process must constinue in these states. But this needs a long time and immense efforts so as to transfer the citizens' wishes and their traditional support of the political regime to a process of paricipation via the democratic organizations. In addition to that, the relationship between the citizens and these regimes must be specified, the people should be at a certain educational level, there msut be a strong economy, the number the of the members of the middle class must increase and a strong and wise government must exist for the sake of tackling internal problems with sagacity(20), due to the efforts which have been exerted in the field of political, economic and military integration among the G.C.C. States.

This unificatoin experiment cannot succeed unless the people play a very important role for enhansing these efforts, exert their efforts for the sake of carrying out the desired transformation and participate in the collective process of decision making which very often wins the support and protection of the people. This participation should no longer be performed within the present spontaneous framework, but

but its second part needs additional development because finding modern constitutions which are existent in some G.C.C. States but are in need of reconsideration in accordance with the new events comes in the first place, to be followed by the establishment of democratic organization via direct popular participation by the people of the G.C.C. States, and so, the first steps towards stability can be achieved to be followed by the achievement of the remaining points mentioned above.

Amidst these proposals and opinions we must not forget our intrinsic and genuine identity. The political and religious aspects are considered twins which always accompany each othed and do not depart because the political organization of the G.C.C. States must be within the Islamic framework, and because the religious life of an individual cannot be practised and his personal freedom and socail justice cannot be maintained except within a strong democratic Islamic State since the Islamic dogma and awareness are considered an important ingredient to get rid of underdevelopment and to find a solution to the political, intellectual and cultural crisis which not only the people of the G.C.C. States suffer from, but also the rest of the Arab nation. This problem lies in " how to build the contemporary democratic states" to keep pace with all the aspects of the modern dvelopment related to civilizatior without assigning the principles and values derived from the Islamic religion and historical heritage(16).

This is due to the popular participation which is connected with the political, social and econmical development and with the conventional policies of the present regimes, in addition to the size of the modernization pressures (17) exerted on the G.C.C. societies and their relation to the oil revenues.

We can notice that development in the political regimes differs from one state to another within the G.C.C. despite the fact that the principal methods of practice are similar. As regards the present popular participation we find that the second class (comprising those favoured by the regime and who are very oflten merchants enjoying political influence) is always ahead of those who occupy the highest

— Transferring the residents from the stage where they receive care and attention by sevral societies, establishments and tribes to citizens who are considered equal in front of the law.

— Subjecting the government to the supervisory and legislative authorities of the people's representatives, offering canstitutional guarantees to individual movements, respecting the sitizens' dignity and preventing the burearatic forfeiture of their freedom.

— Putting an end to the waste of the countries' financial, natural and human resources and performing the necessary administrative and social reforms.

— Putting an end to the leak of the counteries' resources due to tthe arbitrary and futile armament, the domination of military values and reducing the number of suppressive and terroristic agencies.

— Following and implementing the objective planning policies for the achievement of the social and economic development connected with civilization on a long-tern basis.

— Seeking to achieve the National Unity Project as it is considered a guaranteee to putting an end to the imperial appropriation of the nation's resources.

— Exchaning the "security coordination" among the current ruling regimes by means of the Ara-Islamic fatal strategic alliance and trying to take back the west of Asia from the imperial domination by joining it to an Arab-Islamic work formula on a long-term basis.

Based on the above, the first opinion is realistic and should be applied and implemented at the current stage, particularly after more than 8 years have passed on the establishment of the G.C.C., whereas the first part of the second opinion conforms to the first opinion .

3 — The social justice and intergration for facing exploitation and egoism related to social classes.

4 — The economically and humanly comprehensive and balanced development for facing underdevelpment or deformed development.

5 — The civilization genuineness and innovation for facing the heritage stagnancy and the cultural metamorphosis.

Dr. Ibrahim added that these elements form the main pillars of the Arabian National Project, and that the more the G.C.C. experiment bears the features of this project, the more ecstatic he felt and the more he liked it and the fact that it is still a creeping baby or even a fetus does not disgrace it because what is important here is whether this fetus carries the five features of the National Project, i.e. are the G.C.C. States nowadays less subordinate to foreign countries than they were four years ago ? Do their citizens participate in and contribute more to politics ? Have their five - year or ten-year development plans started to integrate and complete each other ? And more important than that, have the G.C.C. States crystallized a concept that is more comprehensive and more suitable to development ?

The second project was developed by Dr. Khaldoun Hassan Naqib, Dean of the Faculty of Arts at Kuwait University in his book on the societies and the states in the Arabian Gulf and the Arabian Peninsula. This project is represented in a list of popular requirements and demands, most important of which are the fottowing (15) :

— Legislation for the sake of specifying the privileges, authorities, powers and faculties of the ruling elite and for limiting their appropriation of the sources of power and wealth by the power of the law.

— The establishment of the democratic constitutional rule in the form considered popularly accessible.

and situations of each regime. In spite of this concern which was given to the issue of political security by the political and academic organizations (11) most of the third world regimes have been sufiering from this problem since political independence, particularly in the aspect of how to establish a political regime that can ensure the achievement of stability. Most of these regimes tried to emulate the sociatist East or the Capitalist West in the issues of modernizatoin, development and political and economic regimes in order to get rid of underdvelopment which is considered an obstacle in the face of political sability. But this emulation gave adverse results represented in the lack of stability, and concequently, these states suffered from subordination and exploitation by the Capitalist States the continuation of underdvelopment, the accumulation of their debts and the political and economic colonial domination.

If we consider the G.C.C. Countries we will see that they suffered from more adverse circumstances than the third world countries, but they started development on a large scale to shorten the distance between underdvelopment and dvetlopment by means of the oil revenues for the achievement of political stability(12), but they did not succeed effeciently despite their high expenditures because of the relationship between development and political stability which was not based on a sound foundation, in additoin to subordination and political underdvelopment.

There are two projects for the achievement of political stability and the establishment of a strong relationship between the people and the political regimes in the G.C.C. states. The first was presented by Dr. Sa'duddin Ibrahim during the Arab Thought forum on the Council's experiment and consisted of five elements(13).

1 — The national indenpendence for facing apparent or concealed foreign domination.

2 — The political or democratic participation for facing internal suppression and tyranny.

Then, it is used to justify all the inhuman practices and political egoism. Some political regimes believe that political security cannot be made available except by resorting to direct and sometimes to indirect suppressive and oppressive means sunch as imposing constraints on jobs, professions and living condition, oppressing the poutical opponents (9) and separating and seciuding them politically, But these methods are unsucessful. For instance, the Shah of Iran failed in maintaining his political security in spite of the big role playetd by the officers and members of the "Savak" Agency in tracking, tracing and suppressing the Iranian opponents. But the concept of political security in the G.C.C. Countries is based on protecting the political regimes against internal and external threats and securing and achieving the goals and interests of these regimes which surpass the conventional dimension as regards security at the regional and procedural levels, because the allegiance stemming out of seurity can be achieved throgh the allegiance to the regime internally. the regime's external, political and economic relations and its close ties with the Capitalist World(10).

As long as the relationship between the people and the ruling political regime is strong and close, internal stability increases and resutls in the prevalence of security, and consequently affects the regional security and stability of the Gulf and the Arabian Peninsula or the G.C.C. in the face of external threats and foreign greediness which subsequently leads to the maintenance of the political regimes of these countries and their abitity to face any foreign threats. But the question to be raised is : How can a strong and close relationship between the ruling political regime and the people be established ? and then how can stability and poilical security be maintained ?

Political Stability in the G.C.C. States :

Most of the political regimes in the third World countries suffered and are still suffering from the problem of political stability of the non-existence of political stability according to the experience

the political security which is more crucial and more important than the aspect of mititary secuity if we take into consideration the group of mechanisms operating in the Arabian Gulf and the Arabian Peninsula and that the problem of political security and the results accompanying it wihch reflect themselves on the general political situation in the region form a threat which is more dangerous in its contents and connotations than the threat posed by the melitary aspects. If we suppose that the G.C.C. Counteries succeeded in constructing all the military fortifications, does this mean that they have achieved the required political and social security ? Anyhow the Arabian area in general and the Arabian Gulf in parlicular have thier long experience in the field of military security and its failure in achieving political security".

The second concept is represented in the viewpoint of Dr. Hamid Rabi' who says :(6)

"The expression security " means reassurance. In this sense the word comprises all what is related to expressing the political existence. Reassurance means **stability and** the **ability** to face the expected and unexpected surprises without resulting in confusion in the prevailing situations, and in this sense all people talk about the **security of the individual** or the citizen.

The third concept is reflected in the viewpoint of Dr. Abdulmunim Al-Mashatt(7) who sees that security means the society's ability to face, not only the individual events or incidences of violence, but also all the phenomena of its compound and vehement nature. Based on that, this concept is dynamic, comprehensive and connects between the military aspects and the other aspects of the security supports. Based on this definition, security is based on 3 variables ; equilibrium and the political stability it incluhes, luxury and the political and economic satisfaction and gratification it involves and the military capability.

Recently, we notice that the concept of political security is used in the wrong way and consequently its meaning is diversified(9).

ference, it was hecided to form a military force called "Dirul Jazeira".

The sixth conference was held in Mascut in the period from 3rd to 6th November 1985 during which the Council ratified the educational policy and the unification of studens' educational procedures throughout all the study stages.

The seventh conference was held in Abu Dhabi in the period from 2nd to 5th November, 1986 and ratified the recommendations submitted concerning military cooperation, the continuatoin of coordination and cooperation in the military field and the contination of executing the Unified Economic Agreement.

The eighth conference was held in Riyadh in November 1988.

The Concept of Political Security in the G.C.C. Countries :

Several concepts of political security will be reviewed hereunder. The first is represnted in viewpoint of Dr. Abdullah Al-Nafeesi who says :(5)

"Political security is a sort of security which tries to tackle the roots of social complaints and political polarization through direct political contact with people, and to find several channels and organization through which this contact can be implemented and which can win people's respect, have thier own credibility and efficiency and form a long-term political content for the political regime.

The political regimes which depended on this concept proved that, by so doing, they tackled the issue of political security in a radical way.

Dr. Nafeesi adds :

"The G.C.C. Countries are concerned with the military aspect and focus on it together with takling the other aspects, particularty

their wish to develop cooperation for the sake of coordination and integration to achieve their unity".

This means that the ultimate goal of the Council is the achievement of unity between these six countries in the Arabian Peninsula, and we hope that the actions and steps taken by the Council lead, at teast, to the uniy of the Arabian Peninsula which is considered a very imporant and vital part of the Arab nation.

During the sessions of their first summit held in Abu Dhabi, the capital of the United Arab Emirates in the period from 25th to 27th May 1981, the rulers of these six states disclosed the establishment of the Gulf Cooperation Council, endorsed, during the first meeting of the Supreme Council, its main law and declared that that day was considered the oficial date of the course of cooperation between the Arabian Gulf Counteries through their Council(4).

The second conference was held in Riyadh in the period from 10th to 11th November, 1981, during which the Unified Econmic Agreement Bill was ratified. Then, the third conference was held in Manama in the period from 9th to 11th November, 1982 during which the Defence Ministers' recommendations including building their countries own force and coordinating between themselves in the military fields so as to achieve their self-dependence as regards the protection of their scurity and the maintenance of their stability were approved.

The fourth conference was held in Doha on 8th November, 1983 during which the leaders decided to expand the scope of economic activities and declared their satisfaction with what had been achieved in the field of military coordination.

The fifth conference was held in Kuwait in the period from 27th to 29th November, 1984 and concentrated on the practical steps which had been achieved in the economic field since the conclusion of the Unified Economic Agreement. During this con-

others who have interests in the region played a very nasty role in the Iran-Iraq war because both Iraq and the Islamic Republic of Iran started forming a major threat to their interests there.

The continuation of the war created adverse impacts on the region, and under these interwoven political situations the Gulf Cooperation Council (G.C.C.) was established, and in spite of the fact that Arab Unity is the main national goal which the Arab nation from east to west seeks to achieve and look forward to with hope and optimism, the membership of the G.C.C. was confined only to six states from the Arabian Peninsula except the "two states of Yemen" which subsequently led to several enquiries. Iraq has contributed to all the aspects of cooperation with the above countries from the early seventies until the establishment of the Council which played its expected role in this respect. In this regard Dr. Su'ad Sabbah stated :(2).

" It is worth mentioning that since the estabiishment of the Council, none of its leaders has spoken about Arab unity until Kuwait Summit was held in 1984 when we heard, for the first time, that the goal of the Council is the creation of Arab unity. The estahlisment charter of the Council did not include any provision for the joining of other Arab countries or even other Gulf States as members in the Council, and Iraq and the two States of Yemen were excluded".

The justification for the establishment of the Council which consists of the U.A.E., Kuwait, Bahrain Qatar, Oman and the Kindom of Saudi Arabia in accordance with Article 5 of the Council's main law pertaining to its members (3) is as follows : " The Gulf Cooperation Council consists of the six states which paricipated in the foreign Ministers meeting held in Riyadh on 4/2/1981. The Council will be etstablished in view of the close ties existing between these states stemming out of their special relations, their Islamic religion, the consistency and similarity of their regimes, the unity of their heritage and their political formation, and based on

from its encmies, it succéeded and withstood in the face of the various currents which played a very important role in directing the attitudes of the Arabian Peninsula States and Iraq, except Yemen, towards joint cooperation in several fields, and consequently these states started to play a very fundamental role in the Arab political events due to their wealth which helped them to do so.

The joint cooperation between these states including Iraq continued unitl, 1981. During that period, the region faced crucial and successive political events including the collapse of the Shah's dictatorship and the establishment of the Islamic Republic of Iran which had some impacts on the region and subsequently made the Big Powers, particularly the Soviet Union and the United States, reconsider their policies in accordance with these new variables following the outbreak of the Islamic Revolution in Iran for the sole purpose of limiting its spread to the neighbouring areas. Based on that, the Soviet Union occupied Afghanistan and deployed more than one hundred and fifty thousand soldiers in that country to tighten its grip of it so as to prevent the establisment of an Islamic government there, whereas the United States of America helped General Kana'an Ivereen to carry out a military coup, and so he oppreseed the Islamic movement under the leadership of the "National Salvation Party", arrested its leader "Najmuddin Arbakan", strruck the leftist movements and permitted the Shah's supporters to carry out hostile activities against the Islamic Republic of Iran from the Turkish lands close to Iran. These supporters existed in eight Turkish villages and were trained in twenty-two Turkish military barracks under the command of the Iranian General "Bahram Ariana" whom the Saha used to support($_1$).

As Turky is a member of the North Atlantic Treaty Organization (NATO), the United States can interfere vro it in the Arbaian Gulf and the Arabian Peninsula if its interests become threatened particularly after it had lost the Shah who used to be a protector and guardian of these intersts in the region and so it started looking for another alternative. In fact the Super Powetr Big Power and

The Establishment of The G. C.C. :

The year 1971 was considered a turning point in the political map of the Gulf region and the Arabian Peninsula, due to several important political factors such as the British decision to withdraw from the political entities in the eastern part of the Arabian Peninsula including Bawrain, Qatar, the United Arab Emirates and Oman which led to an Arab and global concern. As regards the Arabs, this concern stemmed out of the fact that the above entities form part of he Arab Nation, and so, maintaining and protecting them form any foreign internference is incumbent upon them. Internationally, particularly the in Westrn Capitalist World, this concern is due to the fact that this part is considered one of the most important sources of power the above World is in need of, and so, its stability is a basic prerequisite for it. Based on this, the political organizatons of this Capitialist World created the problem of vacancy and the porblem of who is to fill it. The United States of America played a fundamental role in making the Shah of Iran assume the role of the policeman of the region through his dependence on the United Shahes and on the western allies in the field of military support and assistance and supply of the most sophisticated weapons which enabled him to occupy the three Arabian Islands in the Arabian Gulf and to appoint himself, most impudently, guardian of the Western Capitalist World's interests in the region.

Under these political situations, the union of the seven Arabian Emirates was created in the wake of the British withrdawal and the Iranian occupation of the Arabian Islands following the failure of the Nine States Union due to the interference of the foreign powers particularly Iran which objected to Bahrain's Joinnig this Union and the refusal of some neighbouring countries to recognize the State of the Emirates.

Despite the problems and obstacles which faced this Union arising both internally from the separatist current and externally

THE POLTICIAL SECURITY OF GULF COUNTRY COOPERATIVE COUNCIL

Dr. Mohammed Hassan Al-Aidaroos

Facnlty of arts U.A.E. Unfversity

Introduction :

Political Security emanates out of the obstacles facing the Developing Countries including the G.C.C States and the problems and difficulties connected with develpoment on the basis that they are related to each ohter. Some Developing Countries like the G.C.C. Countries try to lay more importance on military issues than on other. We do not, of cvourse, deny the importance of military security, but political security is deemed one of the most important pillars in facing internal and external threats.

On this basis I discussed the establishment of the G.C.C. and the political situations encompassing the region at that time. Then, I discussed the concept of politial security, political stability and the establishment of democratic organizations in the G.C.C. Countries. After that I reviewed the parliamentary experiments in Kuwait, Bahrain and the United Arab Emirates and the prospects of establishing "a Join Gulf Parliament", and finally I discussed the Kuwaiti public opinion concerning political and miliary security in the G.C.C. Countries.

Paper accepted for presentation at the conference held in Novetnber 1988 at The Middle East Studies Association of North America, Dept of Orientat Studies, Univeraity of Arizona, U.S.A. about "Gulr Poldies Past & Present".

(24) Shafiq Mudhakkirati, part 2, section 1, p. 203.

(25) Anis, op. cit. pp. 69 — 70, Mustafa to Ahmad, 18 September 1895. This showed that Mustafa was not a French tool, as waliyy al-Din Yakan and others said. See Yakan, Waliyy al-Din, al-Ma'lum, we' l-majhul, part 1, Cairo, 1909, p. 25.

(26) Anis op. cit., pp. 30, 31, 50, Ahmad to Mustafa, 17 June, Mustafa to Ahmad, 4 August 1895.

(27) Ibid., pp. 44, 46, Mustafa to Ahmad, 30 July and 4 August 1895.

(28) Anis, op. cit., pp. 80, 86, 87 Mustafa to 'Abbas, 19 September 1895, and 16 January 1896.

(29) Ibid., pp. 86, 87, Mustafa to 'Abbas, 16 January 1896.

(30) Ibid., pp. 65, 71, Mustafa to Ahmad 14 and 18 September 1895.

(31) Ibid., pp. 90 — 93, Mustafa to Ahmad, 25 January, 11 & 19 Fetbruary 1896.

(32) Farid, Muhammad, Memoirs, book I, p. 2.

(33) Anis op. cit., p. 53, Mustafa to Ahmad, 9 August 1895.

(34) Farid, Muhammad, Correspondence, file 2, Mustafa to Farid, 22 July and 5 August 1898. For the parts omitted in al-Rafi'i compare the second leter with what isin al-Rafi'i Mustafa Kamil, p. 388.

(35) Shafiq, Mudhakkirati, part 2, section 1, pp. 272 288.

(36) Other members were Muhammad Farid, Labib Moharram, Muhammad 'Uthman, and Sa'id al-Shimi, an A. D. C. of 'Abbas, See al-Sayyid, Ahmad Lutfi, Qissat hayati, Kitab al-Hilal, No. 131, February 1962, pp. 35, 36.

(8) Kamil, 'Ali Fahmi, Mustafa Kamil fi arba'a wa-thalathin rabi'a, part I Cairo, 1908, p. 184.

(9) Ibid., part 2 pp. 55 — '8; al-Rafi'i, Abd al-Rahman, Mustafa Kamil, Ba'ith al-haraka al-wataniyya, 3rd ed., Cairo 1950, p. 38.

(10) Kamil, 'Ali Fahmi, op. cit., part 2, pp. 133 134.

(11) Haykal, Mudhakkirati, part 2, sectin I, p. 190. Cairo 1929, p. 144.

(12) Shafiq, Mudhakkirati, part 2, sectin I, p. 190.

(13) al-Rafi'i, Mustafa Kamil, p. 22; Rashad, op. cit., p. 49. Landail said that a relative helped Mustafa, but he failed to identify which relative, and omitted to state his sources. See Landau J. M., Parliaments and parties in Egypt, Tel-Aviv, 1953, p. 157.

(14) The writer interviewed both separately in October 1963. in Cairo.

(15) Kamil, 'Ali Fahmi, op. cit. part 2, pp. 46, 144, 145.

(16) Shafiq Mudhakkirati, part 2, section I, p. 190.

(17) al-Rafi'i, Mustafa Kamil, pp. 41 — 44.

(18) For the conversation see Shafiq, Mudhakkirati part 2, section 1, pp. 192 — 195.

(19) Anis, Muhammad, Safahat matwiyya min tarikh al-za'im Mustafa Kamil, Cairo, 1962, pp. 56, 57, Mustafa to 'Abd al-Rahim Ahmad 15 August 1895; p. 77 report by Mustafa to the Khedive dated 19 September 1895.

(20) Ibid., pp. 27 — 29, 31, 57, Mustafa to Ahmad, 8 June and 15 August 1895; Ahmad to Mustafa, 17 July 1895.

(21) Kamil, 'Ali Fahmi op. cit. part 3, pp. 155 — 160.

(22) Anis, op. cit., pp. 37, 39, Mustafa to Ahmad 27 June, 6 July 1895.

(23) Kamil, 'Ali Fahmi, op. cit., part 3, p. 53 to part 4, p. 80; Rashad, op. cit., pp. 61 — 88; al-Rafi'i Mustafa Kamil, pp. 47 — 64.

MARGINS :

(1) The former stated in the **Pall Mall Gazette** that Cromer proclaimed the absalute authority of the Khedive, and attacked Cromer's policy during the Ministerial Crises in the **Ninteenth Century.** The latter expressed in the **Westminster Gazette** his very favourable opinion about the Khedive's personality, attihude and maturity.

(2) The press campaign was carried in collaboration with two other French writers : Patinot and Gabriel Charmes. The latter was the correspondent of La Journal des Débats in Egypt in 1881, before the Occupation. See Shafiq, Ahmad, Mudhakkirati fi nisf qarn, part 2 section I, pp. 69, 70, 135 — 138, 175.

(3) The Kherive's private secretary. He was one of his teachers in Vienna.

(4) Shafiq, Mudhakkirati, part 2, section I, pp. 132 — 134.

(5) Ibid., pp. 190 — 192, For the members see **infra,** footnote No. 6.

(6) Shafiq, Mudhakkirati, part 2, section 1, pp. 190 — 192; 'Abbas, "Memoirs", al-Misri 8 May 1951; al-Rafi'i, Mustafa Kamil, pp. 43, 44, Besides Mustafa Kamil, the members were : Louis Rouiller, Ahmad Shafiq, 'Abd al-Aahim Ahmad (members of the Khedive's household). Yusuf Siddiq, Isma'il al-Shimi, Mahmud Salim (iudges in the mixed courts), Pront, Bouteron (French members in the Railway and Domain boards respectively), Broniéres, Ann Marie, Jourdain Petrie (French judges and counsellors), and Aristide Gavillot, the proprietor of Le Journal Egyptien, and the head of the French colony in Egypt. For the secret committee formed by Mahir Pasha see, F. O. 78/4574, Wingate's report, encl. in Cromer to Rosebery No. 20, conf., 28 January 1894.

(7) Rashad, Ahmad, Mustafa Kamil, hayatuh wa kifahuh Sairo, 1958, p. 38.

it formed by 'Abbas and Mustafa in 1896. It was composed of Lutfi al-Sayyid, Mustafa Kamil, and some of his friends. In 1897 Lutfi was sent to Geneva on behalf of this Committee to obtain Swiss nationality, to enjoy the protection of a capitulatory power, and to edit an Anglophobe paper when he returned (36) The project failed because the Sultan refused his approval to the matter of nationality, and Lutfi did not co-operate with 'Abbas when he returned.

(To be continued)

The British suspected that Mustafa was sent by 'Abbas. They treated his brother 'Ali Fhami Kamil badly, and refused to allow him to be transferred from the army to the khedivial gurad. They pressed for a stop to Mustafa's activities (28). When Cromer returned from leave in 1895, 'Abbas was not in a position to resist. The failure of his visit to Constantinople in the same year, the weakness of the Sultan before the powers in the Armenian question, and his wish to change Nubar's ministry. foreed him to give way in October 1895. He ordered Mustafa, through Gavillot, to return (29) and stopped sending him money to meet his expenses (30). Howevr, Mustafa did not return then, and continued his activities.

When Mustafa did return in January 1896, it seems he wanted to etxplain his policy to 'Abbas, to reach some agreement as to their future relations, and to go back to Europe. He threatened to go back and to work independently when 'Abbas was slow to give him a private audience (31). This problem was soon settletd, and Mustafa returned to Europe and received more help from 'Abbas (32). But he tried to be less dependent on the Khedive. Other people were willing to help Mustafa financially(33). Muhammad Farid was one of them. In 1898 Mustafa asked Farid for money and did not ask 'Abbas when he met him in Paris, although his tours in Europe were proving expensive (34). This shows the nature of the relation between the two men. Mustafa maintained his independence although he received the Khedive's help. His main object was to secure the evacuation, and he was ready to co-operate with whoever worked against the Occupation.

What happend to the Committee after the difference between its Egyptian and French members is not clear. It is probable that the European members remained in it, and continued their activities up to Fashoda (35). Some of the Egyptian members probably joined a new secret committee or patriotic party (hizb watani) as Lutfi called

European interests in Egypt; the British were making the Egyptians less capable of governing their country by filling offices with British, Levantines, and incompetent Egyptians; British policy tended to tighten their grip on the country and to further their own interests; the Egyptions were capable of managing their own affairs and paying their debts; they were ready to accept international control; the Egyptians were not fanatics; Britain was hostile to the Sultan and to Islam; she raised the Armenian question to distract attention from the Egyptian question. Mustafa sent articles, from Paris and Vienna, to al-Mu'ayyad and al-Ahram attacking the Occupation, and blaming the Egyptians for their timidity and their failure to make Europe aware of their hatred of the Occupation (23).

This same campaign showed the defects of the organization. The Egyptian and French members did not work smoothly together. Deloncle wanted Mustafa to work as his Arabic secretary, following whatever instructions or advice he gave (24). He was annoyed when Mustafa took an independent line contacted Frenchmen from different parties and began to have his own separate prestige. The difference was on personal grounds, and on grounds of principle too. Mustafa thought that a Frenchman would always defend French interests in Egypt, that the French were not real friends and like the British, were after their own interests, that it would be politic to try to secure their help, but the cause of Egypt would be more effectively defended by Egyptians (25). Deloncle complained to his countrymen in the Committee and began to obstruct Mustafa's work (26). At the same time it seems that the strong language which Mustafa used in his campaign, and his criticism of French policy in Egypt in Le Journal of 2 July 1895, might have embarrassed the French government at a time when they were not happy at the drift of Russia towards the Berlin orbit, and were trying to reach an agreement with Britain on Egypt and the Upper Nile. Deloncle and the French members in the Committee pressed for the return of Mustafa. 'Abbas was not ready to sacrifice French help for Mustafa's sake, although he resisted the pressure for some time (27). But he could not resist any longer when this pressure was coupled with strong Britiah pressure.

stay in Paris for some time to restore his failing health (15), makes it more probable that it was Husayn Wasif who helped Mustafa.

Shafiq said that when Mustafa returned from France in December 1894 'Abbas helped him financially used to meet him secretly in al-Tibri mosque near Qubba Palace, and that they undertook to liberate Egypt from the Occupation (16). He is supported by the fact that while in November 1894 Mustafa intended to work as lawyer, by 4 February 1895 he had deceided to take no case but his country's case (17). He began his campaign against the Occupation by two strongly worded contributions to al-Ahram. The second, on 28 January 1895, was his well known conversation with Colonel Baring, Cromer's brother (18).

So, early in 1895, the propaganda machine of 'Abbas was complete. Its efficiency was made clear during the campaign which Mustafa Kamil waged in France in 1895. He was sent by order of the Khedive, who paid his expenses (19). 'Abd al-Rahim Ahmad was the medium of communication between Mustafa and 'Abbas. Mustafa did not receive any programme; he was to be guided by Deloncle (20). The articles, interviews, and speeches delivered by Mustafa were sent by him to al-Ahram or al-Mu'ayyad (21). He, or Gavillot, sent them to Havas Agency ané to La Journal Egyptien (22).

It was a successful campaign, during which Mustafa delivered four speeches in France, gave three interviews to journalists, wrote two articles and three letters, which were published, to Gladstone and Salisbury, and published a pamphlet on the dangers of the British Occupation. The pamphlet and some of his speeches were printed and sent to known politicians and papers in Europe. Mustafa visited Berlin and Vienna, and thought of visiting St. Petersburg. He made the acquaintance of some politicians and journalists, the most important of them being Madame Juliette Adam, and the editors of the German Berliner Tageblatt and the Austrian Extrablatt. The main points which he made during the campaign were as follow : Britain was undermining French influence in Egypt, and was not acting according to her commitments to Egypt and Europe; the British Occupation threatened

by Ahmad Shafiq was formed, probably early in 1895 (6). This was done by reforming the old one admiting more Egyptians into it.

The relation between 'Abbas and Mustafa began before 1895. Shaykh 'Ali al-Laythi, the poet, introduced him to the Khedive in March 1892(7) Mustafa greeted 'Abbas with a patriotic speech when he visited the School of Law in the Same year. His name began to be known in 1893 by his contributions to al-Ahram and by the publication of his monthly magazine al-Madrasa. In the same year, his political energy and his political thought began to take shape. He made the acquaintance of 'Abd Allah Nadim, who influenced him by what he said about the 'Urabi revolution, and the causes of its failure(8). He joined what was then known as the patriotic party (al-Hizb al-Watani) which gathered around Latif Pasha Salim with al-Mu'ayyad as its organ. There he made the acquaintance of the leading members of the educated class, including Mahmud Pasha Shukri, head of the Khedive's Turkish Bureau (9). In August 1894 Mustafa celebroted the anniversary of the Sultan's accession in Paris. He invited Deloncle, and sent a telegram to the Khedive, telling him of the event (10).

This energy could not have passed unnoticed by the Khedive, who was seeking allies against the Occupation, especially among the educated class. Over the extent of Mustafa's dependence on the Khedive at this juncture, there are differences of opinion. Haykal said, in general terms, that 'Abbas helped Mustafa to follow his study(11). Ahmad Shafiq said that the Khedive Supported Mustafa's visit to Toulouse, which does not necessarily mean financial help (12). al-Rafi'i and Ahmad Rashad said that it was a brother who helped Mustafa, but they differed about the name (13). In interviews with al-Rafi'i and with Hasan Husni, Mustafa Kamil's brother, both said that it was Mustafa's elder brother, Husayn Wasif, who helped him (14). The fact that Husayn Wasif went with Mustafa to Italy in his first journey to France, that Mustafa said that he was happy at his success in the last examination only because it would please his brother, Husayn, and that the latter wrote to him after that examination asking him to

when it was formed. Shafiq wrote about its formation in his memoirs for 1895, and said that 'Abbas formed it in agreement with Mustafa Kamil (5). The latter wrote to a friend on 4 February 1895 that, although he had been registered as a lawyer, he would not take any case, and that if his hopes were realized, the fatherland would be saved. It is probable that the committee wes formed before that date, early in 1895. In his memoirs, 'Abbas called it the French Secret Committee for the Independence of Egypt, and said that Yusuf Siddiq was the only Egyptian member.

This question of membership, date of formation, and previous activities of the European element makes it more probable that two secret committees existed. In fact 'Abbas helped in forming several secret committees in that period. We know of two others : one formed by Mahir Pacha among the army officers before the Frontier Incident, and the other formed with the help of Mustafa Kamil in 1896, of which Lutfi al-Sayyid was member. The French Secret Committee was formed first either in 1893 after the Ministerial Crisis, or early in 1894 before de Reverseaux left Egypt. Yusuf Siddiq was admitted because of his close relations with the Europeans. He was the only Egyptian member of the Committee of the Bourse of Alexandria. Rouiller was the link between them and 'Abbas, and through the French Consul-General, de Reverseaux, they kept in contact with official France. This Committee manageé to obtain the help of Havas News Agency. They even succeeded in substituting a more sympathetic and energetic agent in Cairo for the old one. They secured for Egypt the support of some members of the French Parliament, François Deloncle and Eugene Etienne in particular who later formed the Egyptian committee in the French Parliament. It is probable that Deloncle's visit to Egypt in 1895 was arranged by the French Committee.

Other activities were exerted in Egypt outside the French Committee. But late in 1894, the need was felt to strengthen the propaganda machinery, and to establist some sort of co-ordination, after the Frontier Incident. The other large secret committe mentioned

THE STRUGGLE BETWEEN KHEDIVE 'ABBAS HILMI II AND THE OCCUPATION

By : Prof. Dr. Mohammad Gamal El-Din ElMessaddy
Faculty of Arts, Cairo University

1 — The Propaganda Machine of the Khedive and the Emergence of Mustafa Kamil

Constant efforts to win support in Egypt and abroad, esecially through the press, were the main features of the struggle. The Khedive's first efforts in Europe were in Britain, through Biunt and Francis Adams, after the Ministerial Crisis of January 1895(1). In France 'Abbas worked througt several channels, including Henry - François Boucard, a Suez Canal vice-president, who tried to win support for 'Abbas. He met the French Prime Minister, other ministers, and high officials for that purpose. He started a press campaign in Le Journal des Débats and the Revue des Deux Mondes, and published a booklet under a pen-name on Egypt's independence. The Khedive conferred the stcond class Osmanieth on him (2).

After the Frontier Incident Rouiller (3) went to Vienna on leave to start a press campaign supportin 'Abbas. He met the Minister for Foreign Affairs Count Kâlnoky and other high officials and explained to them the Egyptian point of view on Egyptian affairs. He sent reports to 'Abbas and to Ahmad Shafiq, in which he pointed out that Europeans learnt about Egypt from prejudiced reports, only and suggested more efforts in the European press to explain and defend Egypt's cause (4).

Those activities were the prelude to more organized work by a secret committee formed to defend Egypt against the British by writing under pen-names in French papers, in Egypt and France, and by talks in Egypt and Europe. It was formed of highly educated Egyptians, some of them members of the Khedive's household, and of Europeans mainly French. The sources give no indication of the date

رقم الايداع : ٨٨/٧٣١٧

الترقيم الدولى ٩ ـ ٢٦٠ ـ ٢٣٨ ـ ٩٧٧



The Egyptian Historian

REFEREED HISTORICAL STUDIES & RESEARCHES

Sixth Issue **January, 1991**

All Correspondence to be directed to :

Porf. Dr. Hamed Zayan Ghanem. The Chief Editor, Cairo University, Faculty of Arts, A. R. E.



CAIRO UNIVERSITY
FACULTY OF ARTS

The Egyptian Historian

REFEREED HISTORICAL STUDIES & RESEARCHES

6

JANUARY

1991

ISSUED BY
HISTORY DEPARTMENT



CAIRO UNIVERSITY
FACULTY OF ARTS

The Egyptian Historian

REFEREED HISTORICAL STUDIES & RESEARCHES

6

JANUARY

1991

ISSUED BY
HISTORY DEPARTMENT



جامعة القاهرة
كلية الآداب

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية محكمة

٦

ينـــاير ١٩٩١

يصدرها قسم التاريخ

محتـــوى العــــدد

الصفحة

٣ ـ دليـل الرسائل الجامعيـة :

اعـداد : محمـد نجيب الوسـيمى

ثانيـا : القسـم الانجليزى :